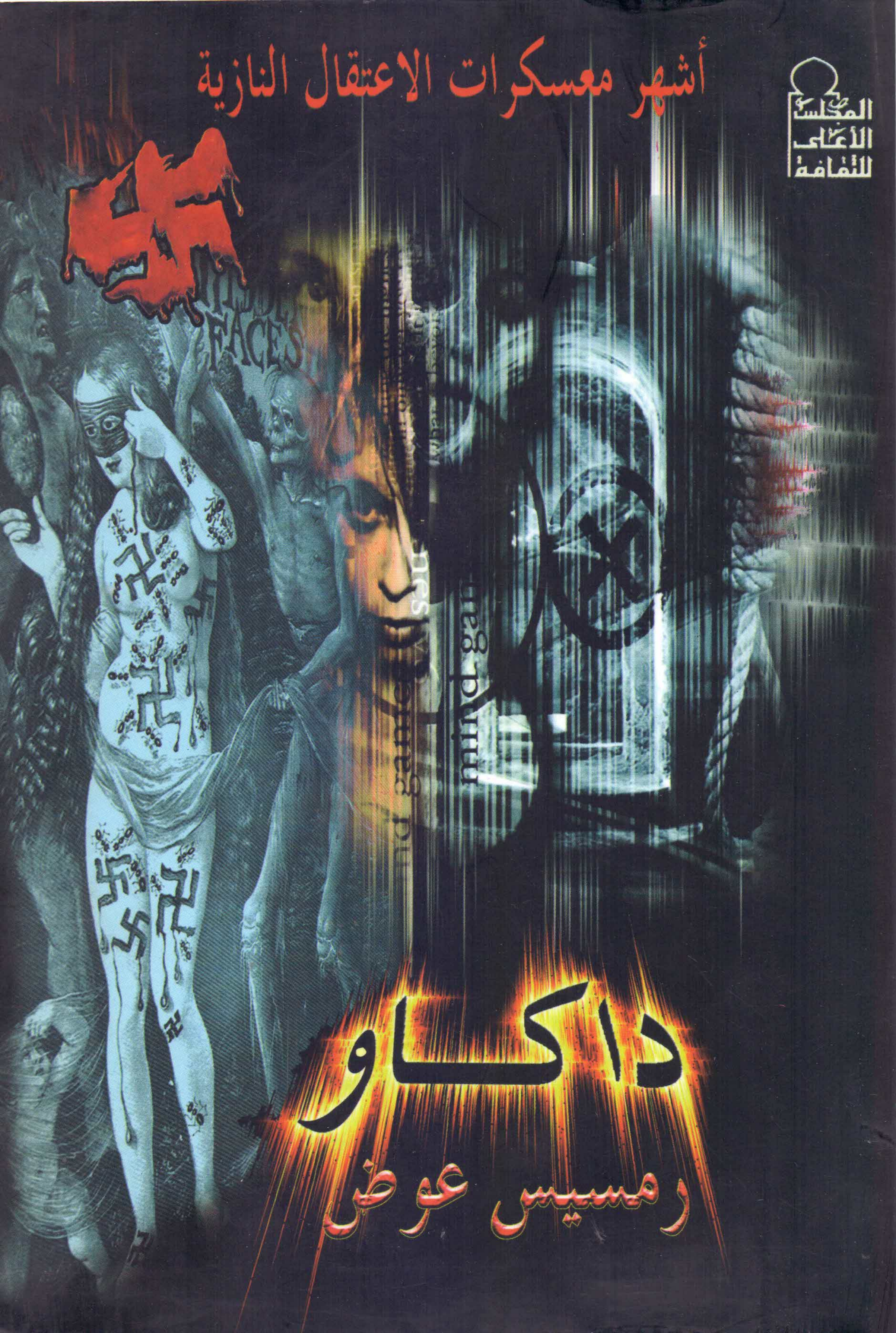

أشهر معسكرات الاعتقال النازية
المجلس الأعلى للثقافة
HIDDEN FACES
داكاو
رمسيس عوض

داكاو مدينة ألمانية صغيرة، تقع على مبعدة خمسة عشركيلو مترًا من شمال غرب ميونيخ على الطريق إلى إنجولستادت، ويبلغ عدد سكانها نحو ثلاثين ألف نسمة. وتقع هذه المدينة على نهر أمبر، وهو أحد روافد نهر إيسار، كما أنها تقع جزئيًا على تل يطل على المنطقة. وعلى حافة قلعتها المحلية يبدو منظر جبال الألب ومدينة ميونيخ رائعًا وخلابًا. وتربة هذه المنطقة ليست خصبة ولكنها مليئة بالمستنقعات والغابات، فضلاً عن أن جوها غير صحى، حيث إن شتاءها قارص وتستمر الثلوج الكثيفة تغطيها حتى شهر أبريل، ومع ذلك فإن مناظرها الطبيعية الخلابة جذبت إليها عددًا من الرسامين.





أشهر معسكرات الاعتقال النازية

داكـــاو

رمسيس عوض



٢٠٠٨

المجلس الأعلى للثقافة

بطاقة الفهرسة
إعداد الهيئة العامة لدار الكتب والوثائق القومية
إدارة الشئون الفنية

عوض ، رمسيس
أشهر معسكرات الاعتقال النازية « داكاو » ،
رمسيس عوض .
القاهرة : المجلس الأعلى للثقافة ، ٢٠٠٨
١٨٤ ص ، ٢٤ سم .
١ - النازية
٢ - المعسكرات الحربية
(أ) العنوان ٣٢٠,٥٣٣

رقم الإيداع ٢٠٠٨/١٣٣٩٠
الترقيم الدولى I.S.B.N. 977 - 437 - 779 - 6
طبع بالهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية

شارع الجبلاية بالأوبرا – الجزيرة – القاهرة ت ٢٧٣٥٢٣٩٦ فاكس ٢٧٣٥٨٠٨٤

El Gabalaya St., Opera House, El Gezira, Cairo

Tel. : 27352396 Fax : 27358084

المحتويات

الجــزء الثانـى

إحصائيات وبيانات عن معسكر داكاو وتوابعه

الإهـداء

إلى ابنتي وتلميذتي

إيفون ألفريد

الجزء الأول

معسكر داكاو

١ - موقع المعسكر وتاريخه :

داكاو (التى ترجمتها فى أبحاثى السابقة إلى داخو Dachau) مدينة ألمانية صغيرة ليست لها أهمية تقع على مبعدة خمسة عشر كيلومترًا من شمال غرب ميونيخ على الطريق إلى إنجولستادت Ingolstadt ، ويبلغ عدد سكانها نحو ثلاثين ألف نسمة . وتقع هذه المدينة على نهر أمبر Amper ، وهو أحد روافد نهر إيسار Isar ، كما أنها تقع جزئيًا على تل يطل على المنطقة . وعلى حافة قلعتها المحلية يبدو منظر جبال الألب ومدينة ميونيخ خلابًا ورائعًا . وتربة هذه المنطقة ليست خصبة ولكنها مليئة بالمستنقعات والغابات ، فضلا عن أن جوها غير صحى ، حيث إن شتاءها قارص وتستمر الثلوج الكثيفة تغطيها حتى شهر أبريل ، ومع ذلك فإن مناظرها الطبيعية الخلابة جذبت إليها عددًا من الرسامين .

وفى تلك البقعة الخلابة قرر النظام النازى إقامة معسكر اعتقال . وفى ٢١ مارس عام ١٩٣٣ أصدر هنريش هملر بيانًا فى الصحف جاء فيه أنه يمكن لهذا المعسكر أن يأوى خمسة آلاف معتقل . وفى ٢٤ مارس من نفس العام أوردت الصحافة المحلية فى داكاو خبرًا مفاده أن هذا المعسكر قام باستقبال أول فوج من السجناء (ويبلغ عددهم ستين سجينًا) يوم ٢٣ مارس ، أى قبل يوم واحد من افتتاح المعسكر رسميًا .

اشتمل معسكر الاعتقال فى داكاو على معدات قديمة وتركيبات خربة ومهدمة لمصنع لإنتاج الذخيرة فى الحرب العالمية الأولى . وبعد انتهاء هذه الحرب تمت تصفية هذا المصنع ونقل معداته طبقًا لبنود معاهدة فرساى . وبعد استيلاء هتلر على مقاليد الحكم شرع الحزب النازى فى تشييد عدد كبير من الثكنات والمساكن والمنشآت الصناعية.

وفى بادئ الأمر كان الهدف من إقامة معسكر داكاو للاعتقال استغلال عمالة السجناء بالمجان. وكان هؤلاء السجناء من الألمان المعارضين للنظام النازى. وبحلول عام ١٩٣٧ (أى قبل نشوب الحرب العالمية الثانية بعامين) تم تخصيص خمسة أكواخ (ثكنات) لإيواء المسجونين السياسيين وكوخين لأعداء المجتمع وكوخ واحد للمهاجرين . أما السجناء المرضى فتم إيداعهم فى كوخ للاستشفاء . وكان المكان المخصص لإيواء السجناء معزولاً عن بقية المجمع عن طريق الأسلاك الشائكة ، ويتولى حراسته حراس يمسكون فى أيديهم مدافع رشاشة أعلى خمسة أبراج للحراسة .

وكان العاملون الأدنى مرتبة فى المعسكر وعائلاتهم يشغلون نحو خمسة عشر كوخًا خارج مجمع السجناء ومنها كوخ مخصص لطهى الطعام . وكان السجناء يسيرون على أقدامهم للوصول إلى المطبخ لاستلام حصتهم من الطعام وأكله فى نفس المكان . ولكن بحلول عام ١٩٣٦ بدأ نقل الطعام من المطبخ إلى المعسكر فى حاويات . وكانت الشعارات تملأ حوائط الأكواخ مثل «المهم هو العمل وليس الكلام» ، و «أثبتوا إحساسكم بالواجب وكونوا رفاقًا» . و« حرب الإنسان ضد نفسه هى أصعب الحروب جميعًا وانتصار الإنسان على ذاته هو أعظم الانتصارات » .

وفى بداية ١٩٣٧ ذكرت وحدة البوليس الخاصة أنه تم التخطيط لتشييد مجموعة هائلة من المبانى . وسخر السجناء فى أعمال البناء والتشييد المضنية . وفى خلال عام ونصف انتهى العمال المساجين من هدم مصنع الذخيرة القديم وإقامة معسكرين ضخمين بدلاً منه : معسكر يأوى وحدة البوليس الخاصة ومعسكر آخر يأوى السجناء . واستمر العمل فى هذين المعسكرين طوال أيام الأسبوع دون مراعاة لعمر السجين أو حالته الصحية . وتم الانتهاء رسميًا من العمل فيهما فى ١٥ أغسطس ١٩٣٨م . وظل معسكر داكاو على حالته بشكل أو آخر ابتداء من عام ١٩٣٩ حتى نهاية الحرب العالمية الثانية عام ١٩٤٥م .

بلغت مساحة معسكر السجناء نحو ٦٠٠ × ٣٠٠ متر . وتم شق طريق واسع من الإسفلت يربط بين معسكر السجناء ومعسكر رجال وحدة البوليس الخاصة .

وعلقت على مدخل معسكر داكاو الرئيسى يافطة تحمل الكلمات الآتية : «العمل يحرر الإنسان» ، وتعيّن على جميع السجناء المرور بهذا المدخل للوصول إلى أرض المعسكر . وبمجرد أن يدلف المرء إلى داخل المعسكر يرى على يمينه مبنى كبيراً يصل طوله إلى نحو مائتى متر فى نهايته جناحان يبلغ كل جناح منهما نحو ستين متراً . وفى قلب المبنى نجد المطبخ والدش والمطعم ومستودعًا لحفظ ملابس السجناء ومتعلقاتهم الشخصية ومحلات الملابس والأحذية والمفروشات ومحل رَتْق الأحذية والترزى . وفى سقف هذا المبنى نرى مكتوبًا على سقفه بطلاء أبيض واضح العبارة الآتية : « هناك طريق واحد للحرية يستند إلى الطاعة والحماس والأمانة والنظام والنظافة وضبط الأهواء والشهوات ، كما يستند إلى الحقيقة والإحساس بالتضحية وحب الوطن » .

وفى المطبخ أعدت الشوربة فى أوانٍ عملاقة قام السجناء بصبها فى علب زرقاء تمهيداً لتوزيعها على الأكواخ .

وكان الطريق الإسفلتى الواسع الذى أشرنا إليه يفضى إلى منطقة فسيحة للغاية يتم فيها النداء على الطوابير وتصطف طوابير السجناء المعاقين وتكفى لاحتواء ما بين أربعين إلى خمسين ألف سجين دفعة واحدة . وفى منتصف هذا الطريق قام المساجين بزرع الأشجار على جانبيه لمسافة تقرب من خمسمائة متر . كان هناك فى المعسكر نحو ٣٤ بلوكًا من الأخشاب والمسطحات الأسمنتية . وفيما بعد أضيف عدد آخر من البلوكات خصص بعضها للمرضى أو الحجر الصحى . وفى المرحلة الأخيرة من وجود هذا المعسكر خصص البلوك رقم ٣٠ لإيواء المرضى والعواجيز الذين هلك بعضهم . وكالعادة كانت دورات المياه مكشوفة يراها الرائح والغادى . وكان كل كوخ (أو ثكنة) يأوى ٢٠٨ أشخاص . وساءت أحوال هذه الثكنات عندما اكتظت أكثر وأكثر بالمساجين .

قلنا : إن معسكر داكاو أقيم أصلا لإيواء المعارضين للنظام النازى مثل الشيوعيين ودعاة الديمقراطية الاشتراكية وكان يحتوى على متحف يضم صوراً لنزلائه وبخاصة اليهود الذين أُخِذَت صور لهم وهم يساومون ويسرقون . وأحيانًا كان المسئولون عن

المتحف يرافقون زوارهم لمشاهدة بعض السجناء الذين تبدو على وجوههم أمارات الإجرام لإقناعهم بأن المساجين ليسوا سوى قلة من الأوباش والبلطجية والمجرمين يجدر تخليص المجتمع منهم .

وفى صيف عام ١٩٤٢ أمر هملر بإقامة بيوت دعارة فى معسكرات الاعتقال تدعى المبانى الخاصة لحل مشكلات السجناء الجنسية ومحاربة اللواط وزيادة معدلات الإنتاج ! وكانت المومسات فى بيوت الدعارة يجئن من معسكر رافنربروك للاعتقال نظير حصولهن على وعد بإطلاق سراحهن بعد ممارسة البغاء لمدة ستة أشهر . وفى منتصف ديسمبر ١٩٤٤ عاشت فى معسكر داكاو ثلاث عشرة امرأة جُنِّدَت لهذا الغرض .

ولعبت الإدارة السياسية لهذا المعتقل دورًا حيويًا فى حياة السجناء ، فهى التى حددت أسلوب معاملتهم ومصائرهم بناء على تعليمات الجستابو .

وبطبيعة الحال احتلت المحرقة مكانًا مهمًا فى معسكر داكاو . وتم هدم الثكنة الأصلية للمحرقة وحل محلها مبنى من الطوب قام بتشييده القساوسة البولنديون بعد أن تلقوا تدريبًا فى أعمال البناء والتشييد وزودت هذه المحرقة بأبواب مزدوجة من شأنها تخفيف شدة الحرارة اللافحة عند فتح الأبواب . ومن التعديلات التى أدخلت على هذه المحرقة إقامتها على مستوى أكثر انخفاضًا من سابقتها ، الأمر الذى سهَّل انزلاق الجثث فيها . واشتمل معسكر داكاو على أربعة أفران تستطيع إحراق سبع أو ثمانى جثث فى المرة الواحدة أو إحراق تسع جثث من النوع النحيل . واستغرقت عملية الحرق الواحدة نحو ساعتين .

ومن الناحية النظرية البحتة كان من المفترض تجميع رماد الجثث فى أوان يمكن لعائلات الضحايا شراءها نظير دفع رسوم معينة . وبطبيعة الحال لم يتمتع بهذا الامتياز غير الألمان القح الذين أبلغتهم السلطات بموت ذويهم . ولم تتجاوز نسبة المستفيدين من هذا الامتياز ١٪ ، غير أنه لم يكن من الممكن فصل رماد الجثث المختلطة عن بعضه البعض لأن المحرقة كانت تقوم بحرق مجموعة من الجثث دفعة واحدة .

وفى نهاية الأمر لم تعد السلطات تتجشم مشقة ملء الأوانى بالرماد واكتفت بدفنه دون تمييز فى أرض المحرقة .

وفى خلال الشهور الأخيرة من وجود معسكر داكاو ارتفع عدد ضحايا المحرقة ارتفاعًا كبيرًا لدرجة أنه لم يعد ممكنًا - رغم استمرار عملها اليومى على مدار الساعة - إحراق جميع الجثث . وكان السجناء الذين يضطلعون بهذه المهمة البشعة يتسلمون كمية أكبر من الطعام والخمر والسجائر كنوع من الحوافز والمكافأة لهم . ولكن هذه الحوافز - بحكم اللوائح - كانت مشروطة ، فهى توزع فقط حين تنشأ ضرورة لحرق الجثث .

وفى الأسابيع الأخيرة التى سبقت تحرير معسكر داكاو عمّت الفوضى فيه ولم تعد المحارق تعمل بطريقة طبيعية أو منتظمة بسبب تراكم الجثث ونقص الوقود . ولهذا صدر أمر بدفن الجثث دون حرقها فى مقابر جماعية فى ليتنبرج Leitenberg بالقرب من المعسكر . وفى حجرة الانتظار الملحقة بمبنى المحرقة بدأ النازيون فى شنق السجناء بتعليقهم فى خطّافات مثبتة لهذا الغرض فى عارضة خشبية . وأقيم خارج المحرقة ساتر صغير يركع أمامه المحكوم عليهم بالإعدام قبل إطلاق النار عليهم وغرقت الحفرة المحفورة فى الرمال بدماء الضحايا المضروبين بالرصاص .

وكان منظر المحرقة يبعث الكآبة فى نفوس السجناء وهم يرون الدخان يتصاعد منها دائمًا أبدًا ويشمون الرائحة النتنة التى تحملها إليهم الرياح الغربية .

ومع إنشاء محرقة جديدة قررت الإدارة المركزية لمعسكرات الاعتقال (التى تعرف اختصارًا بـه .W.V.H.A) تركيب غرفة غاز فى معسكر داكاو لم يقيض تشغيلها أبدًا . وقام المكتب الرئيسى لوحدة البوليس الخاصة التابعة لمنطقة ميونيخ - داكاو بتصميم رسم هندسى مفصّل لمبنى غرفة الغاز الجديدة يرجع تاريخه إلى ١٧ مارس ١٩٤٢م . وتم بناء غرفة الغاز فى الثكنة رقم (١٠) فى غضون خمسة شهور وبلغت تكاليفها ١٢٠٧٠٠ مارك ألمانى . وقد صدر الأمر ببنائها فى يولية ١٩٤٢ وتحدد موعد لافتتاحها غير أنها ظلت دون استخدام رغم أنها كانت نموذجًا يحتذى فى خداع الضحايا وتمويههم ، فهى تتكون من غرفة خلع الملابس وغرفة للاستحمام عن طريق الدش لإيهام المحكوم عليهم

بالموت بأنهم أحضروا لتنظيف أجسامهم وتطهيرها من الحشرات ، فى حين أنهم جاءوا خصيصًا ليموتوا بالغاز السام قبل دخولهم المشرحة . وعلى أية حال لم يُكتب لغرفة الغاز الجديدة فى معسكر داكاو أن تعمل كما سوف نشرح فى الصفحات التالية . ولكن غرفة التطهير والنظافة شرعت فى العمل بهمة ونشاط خلال شتاء عام ١٩٤٤ - ١٩٤٥ تحت إشراف كبير أطباء وحدة البوليس الخاصة فى تعقيم ملابس السجناء بالغاز من القمل والحشرات .

وكان النظام الأمنى فى معسكر داكاو بالغ الدقة ، فهناك بادئ ذى بدء طريق بين البلوكات والسور الخارجى يعلوه شريط من الحشائش يصل عرضه إلى نحو مترين . وكان هذا الشريط بمثابة منطقة عازلة رسمت فيها جماجم بالطلاء وكتب تحذير بقتل من تطأ قدمه أرض هذه المنطقة دون أى إنذار . وخلف هذا كانت هناك حفرة يحيط بها سور منخفض من الأسلاك الشائكة ، ثم سور عالٍ مكهرب . وخلف الأسلاك المكهربة يوجد طريق فيه أبراج المراقبة تستخدمه دوريات الحراسة .

وكان فى كل المعسكر سبعة أبراج للمراقبة تعمل ليلاً ونهارًا ، وفى كل برج منها حارسان يصوبان المدافع الرشاشة نحو المعسكر وعلى أهبة الاستعداد لإطلاق النار . وكانت أبراج المراقبة تهيمن على كل الاتجاهات .

وفى الاتجاه الشرقى من المعسكر كانت هناك مناطق زراعية واسعة تحتوى على عدة مبانٍ وحوانيت وحظائر شيَّدها السجناء بعرقهم . ويضم هذا المجمع منطقة مخصصة لوحدة البوليس الخاصة . وأيضًا أقيمت فى مركز قيادة المعسكر ثكنات الحراس وفيلات الضباط ... . وكان مقر وحدة البوليس الخاصة أكثر اتساعًا بكثير من معسكر السجناء، فقد عاش هؤلاء الضباط فى مبان متميزة فسيحة الأرجاء . وعلى أطراف معسكر وحدة البوليس الخاصة أقيم كثير من الورش . وأيضًا كانت هناك شبكة سكة حديد تتصل بمعسكر داكاو لنقل السجناء فى عربات البضائع الملحقة بالقطارات إلى مكان قريب جداً منه .

هذه صورة إجمالية لمعسكر داكاو الذى استمر طوال اثنى عشر عامًا والذى ضم آلاف السجناء القادمين من كل أرجاء أوروبا ليكابدوا التعاسة والشقاء .

٢ - تصنيف السجناء وأعدادهم :

خلال الفترة الواقعة بين عامى ١٩٣٣ و ١٩٤٥ مر على معسكر داكاو الرئيسى وفروعه الجديدة أكثر من مائتى ألف شخص من مختلف الأعراق والجنسيات ومختلف الطبقات الاجتماعية . وحتى عام ١٩٣٨ كان جميع نزلاء هذا المعسكر من الألمان . وبعد هذا التاريخ تزايد عدد السجناء المنتمين إلى جنسيات مختلفة .

وفى البداية كان معسكر اعتقال رافنزبروك مخصصًا للنساء . ولكن الوضع ما لبث أن تغير ، وأصبحت النساء تسجن فى معسكرات أخرى . ومنذ عام ١٩٤٣ بدأت السجينات يرغمن على العمل فى المعسكرات الفرعية الملحقة بمعسكر داكاو الرئيسى . وفى الأيام الأخيرة من معسكر داكاو وصلت إليه بضع مئات من اليهوديات اللاتى تم ترحيلهن من المعسكرات الأخرى وهن فى حالة من الإعياء الشديد .

وأيضًا رحلت النساء إلى معسكر داكاو لتنفيذ حكم الإعدام فيهن بناء على الأوامر الصادرة من الجستابو دون تسجيل أسمائهن فى سجلات هذا المعسكر باستثناء عدد قليل للغاية منهن .

كان السجناء والسجينات فى معسكر داكاو من جميع الأعمار ، فمنهم أطفال تقل أعمارهم عن العاشرة ومنهم شيوخ فى الثمانين . واقتيدت مجموعات من الأطفال وبخاصة اليهود إلى أماكن غير معلومة تمهيدًا لإرسالهم إلى معسكرات الاعتقال . وأيضًا زج بالأطفال البولنديين والروس والغجر فى داكاو . وتكشف الإحصائيات التى أجرتها إدارة معسكر داكاو فى ١٦ فبراير ١٩٤٥ عن وجود عدد من كبار السن فيه ، فهى تحدثنا عن وجود ٢٣٠٩ رجال و ٤٤ امرأة تتراوح أعمارهم بين الخمسين والستين إلى جانب ٥٤٥ رجلاً واثنتى عشرة امرأة تزيد أعمارهم عن الستين .

قلنا : إن سجناء معسكر داكاو كانوا ينتمون إلى جميع الطبقات والمهن ، فهو يضم رجال دولة ورجال دين وقواد جيش وقضاة وأطباء ، ولكن أغلبية السجناء كانوا من الطبقات العاملة وتم تصنيف السجناء إلى أربعة أقسام : السياسيون - الأعراق

غير الألمانية - المجرمون - المعادون للمجتمع . وكان المسجونون لأسباب سياسية يشكلون السواد الأعظم من سجناء معسكر داكاو للاعتقال .

كان أول من زج بهم النازيون فى معسكر داكاو هم الشيوعيون الألمان والديمقراطيون الاشتراكيون الذين عارضوا مجيء الحزب النازى (أو الحزب الاشتراكى الوطنى) إلى الحكم . ولهذا اعتبرتهم السلطة النازية خطراً عليها .

كذلك ألحق النازيون الخسف بالمحافظين والمؤمنين بالنظام الملكى . كما زج فى هذا المعسكر بكل المخالفين للقوانين واللوائح التى استنها النظام النازى . وتم حبس البعض لاتهامهم بالاستماع إلى محطات الإذاعات الأجنبية أو بانتقاد النظام النازى الحاكم .

وبعد اشتعال الحرب العالمية الثانية زاد عدد المعتقلين السياسيين الوافدين من البلاد الواقعة تحت الاحتلال النازى ممن انخرطوا فى أعمال المقاومة ضده أو كانوا من صفوف البشر غير المرغوب فيهم مثل تجار السوق السوداء . والجدير بالذكر أن عدد المساجين فى معسكر داكاو زاد عقب محاولة اغتيال هتلر فى ٢٠ يولية ١٩٤٤ وإنشاء قوات العاصفة . ثم اتسعت دائرة المعتقلين فى معسكر داكاو لتشمل المعارضين على النظام النازى من غير الألمان. وضمت جبهة المعارضة لهتلر جماعة يتكون السواد الأعظم منها من الأجانب (غير الألمان) - يُشار إليها اختصاراً باسم "NN" (أى الليل والضباب) - الذين زج بهم فى السجن بمقتضى المرسوم الخاص الصادر فى ٧ ديسمبر ١٩٤١م . ورغم أن هذه الشريحة لم تُحاكم فقد رأت وحدة البوليس الخاصة إرسالهم إلى معسكرات الاعتقال داخل الأراضى الألمانية تمهيداً لإبادتهم . وإمعاناً فى تعذيبهم حظر عليهم النازيون الاتصال بالعالم الخارجى . وكان معظم هذا القسم من السجناء يضم الفرنسيين والهولنديين والبلچيكيين الذين سيقوا إلى الموت والإبادة . وعندما تم إجلاء معسكر ناتزويلر Natzweiler رحل الفرنسيون والبريطانيون إلى معسكر داكاو باعتبارهم من الـ NN (وهو اختصار لعبارة الليل والضباب) .

وشملت الشريحة الثانية من سجناء داكاو الأعراق غير الآرية التى اضطهدها النازيون منذ استيلائهم على السلطة . وكان اليهود فى عام ١٩٣٣ من طليعة المحبوسين فى هذا المعسكر ، ولكن أعداد اليهود السجناء شاهدت ارتفاعًا ملحوظًا فى عام ١٩٣٨ كنتيجة لأحداث كريستالناخت Kristallnacht ، حيث تمرّد اليهود على النظام النازى فى التاسع من نوفمبر من العام المذكور . وتعلّلت السلطات النازية فى اضطهادها لليهود بأنهم اغتالوا الملحق الألمانى فى السفارة الألمانية فى باريس . وانتقامًا منهم قام النازيون بتدمير معابد اليهود والاستيلاء على ممتلكاتهم والقبض على الآلاف منهم . بعد مرور بضعة أيام زجوا فى معسكر داكاو بألفين من اليهود بينهم ١٣ طفلاً و ٨٠ أو أكثر من العواجيز . وتضاعفت أعداد اليهود المحبوسين فى داكاو يومًا بعد يوم حتى تجاوز عددهم ثلاثة عشر ألفًا بعد مضى أسبوعين . وفى خلال الشهور القليلة التالية تم الإفراج عن بعض اليهود بعد اضطرارهم إلى التخلى عن معظم ممتلكاتهم إلى الرايخ وتعهدوا بالهجرة منه . وفى نفس الوقت فَقَد أكثر من سبعمائة يهودى حياتهم بسبب المعاملة الوحشية التى تلقوها على أيدى النازيين .

وانتهى الأمر بإرسال اليهود الذين لم يطلق سراحهم إلى معسكرات الاعتقال النازية فى أوروبا الشرقية ، ثم تم ترحيل الألوف منهم إلى معسكر داكاو لإلحاقهم بالعمل فى المصانع الألمانية . وعند تحرير هذا المعسكر ظل على قيد الحياة منهم نحو ٢٢ ألف نسمة وبخاصة فى المعسكرات الفرعية .

وإلى جانب اليهود بدأ النازيون فى القبض على الغجر عام ١٩٣٧ على أساس الانتقاء القبلى والعشائرى . واستُثنِىَ من الحبس عشيرتان من الغجر لأن هملر رأى أنهما ينحدران من أصل إندو - جرمانى قح . وابتداء من عام ١٩٤٢ ألقى القبض على جميع الغجر الآخرين الذين لا ينتمون إلى العشيرتين اللتين استثناهما هملر ليرسل معظمهم إلى معسكر أوشوتيز لإبادتهم هناك . وأيضًا اختفى المئات من الغجر المحبوسين فى داكاو دون أية إشارة إليهم فى قائمة سجناء هذا المعسكر الرسمية التى أعدت فى ٢٦ أبريل ١٩٤٥ ، أى قبل سقوطه فى يد الأمريكان بثلاثة أيام .

ويشكل المجرمون الشريحة الثالثة من المسجونين . وكانت وحدة البوليس الخاصة تميز بين نوعين من سجناء هذه الشريحة يطلق على النوع الأول اختصاراً اسم .P.S.V والنوع الثانى اسم .B.V ، ورغم أن هذين النوعين كانا يلبسان نفس الشارة المميزة فقد كان هناك فرق بينهما . وزج بالمجرمين المعروفين اختصاراً باسم .P.S.V فى معسكرات الاعتقال كإجراء احترازى ودرءاً لخطرهم على المجتمع . ويبرر النازيون حبسهم بأن هذه العناصر الإجرامية قد تستغل حالات الإظلام بسبب الغارات كى تعيث فى البلاد فساداً . أما المجموعة الثانية المعروفة اختصاراً باسم .B.V فكانوا من السجناء الذين رفضت السلطات النازية إطلاق سراحهم رغم أنهم قضوا فترات عقوبتهم فى السجن واتعظوا بما سبق لهم اقترافه من جرائم .

غير أن عدد السجناء السياسيين فى معسكر داكاو كان أكثر بكثير من عدد السجناء المجرمين الذين لم يزيدوا فى ٢٦ أبريل عام ١٩٤٥ عن ٧٥٩ فقط ألحقت وحدة البوليس الخاصة عدداً منهم بالعمل فى مراقبة زملائهم السجناء وأرسلت بعضهم الآخر إلى معسكرات اعتقال أخرى .

أما الشريحة الرابعة من المساجين فكانت تتكون أساساً من المعادين للمجتمع ، وهم مجموعة من الشحاذين والصعاليك والجائلين . وفى كثير من الأحيان كانت تهمة العداء للمجتمع تلقى جزافاً وتلصق ببعض الناس زوراً وبهتاناً .

وإلى جانب الشرائح الأربع الآنفة الذكر فرض النازيون عام ١٩٣٣ الحظر على الطائفة الدينية المارمة المعروفة باسم شهود يهوا . والجدير بالذكر أن هذه الطائفة ابتداءً من عام ١٩٣٧ لم تعترف بولاية الدولة عليها ، فقد رفضت رفضاً باتاً الالتحاق بالخدمة العسكرية ، الأمر الذى دفع النازيين إلى اعتقال أفرادها . ورغم أنهم كانوا فئة صغيرة العدد فإن النظام النازى ضاق بهم ذرعاً وألحق بهم الخسف .

وأيضاً كانت ألمانيا النازية تنكل بوجه خاص بشواذ الجنس وتضعهم فى معسكرات الاعتقال .

وفى البلاد الواقعة تحت الاحتلال النازى طاردت السلطات النازية المهاجرين الذين سبق أن فروا إلى هذه البلاد هربًا من النظام النازى . كما طارد النازيون الألمان الذين حاربوا فى صفوف الجمهوريين فى الحرب الأهلية الإسبانية وزجّوا بالكثيرين منهم فى معسكر داكاو .

وكما سبق أن أسلفنا كان الألمان والأجانب يعاملون بطريقة أفضل من المعاملة التى لقيها اليهود والغجر وشواذ الجنس وشهود يهوا . ولكن عددهم قرب نهاية الحرب يوم ٤ فبراير ١٩٤٥ كان محدودًا للغاية ، فهو لم يزد على ٢٢ شخصًا من بينهم إلزر Elser الذى قام بمحاولة اغتيال هتلر يوم ٩ نوفمبر ١٩٣٩ ، فزج به بضعة أعوام فى معسكر اعتقال ساشنهاوزن قبل أن يختفى تمامًا فى أبريل ١٩٤٥ وأغلب الظن أنه تم إعدامه .

وخرقًا للمعاهدات والمواثيق الدولية الخاصة بمعاملة أسرى الحرب كان النازيون يقتادون أسرى الحرب السوفييت والمنتمين إلى بعض الجنسيات الأخرى إلى مكان قريب من معسكر داكاو يعرف باسم هبرتسهاوزن Hebertshausen لضربهم بالرصاص .

وفى يوم ٢٦ أبريل ١٩٤٥ أى قبل وصول القوات الأمريكية بثلاثة أيام بلغ عدد المعتقلين فى معسكر داكاو أكثر من ٦٧ ألف سجين وُضِعَ ثلاثون ألف منهم فى المعسكر الرئيسى و ٣٧ ألفًا منهم فى معسكرات أخرى .

ويقول الباحثون إنه ليس فى الإمكان معرفة إجمالى عدد المعتقلين على وجه التحديد المحبوسين فى معسكر داكاو خلال فترة وجوده التى استمرت اثنى عشر عامًا بسبب نقص السجلات المستوفاة وبخاصة السجلات الخاصة ببداية تشغيل هذا المَعسكر ونهايته . غير أن الوثائق التى لا تزال محفوظة إلى جانب المذكرات التى تركها بعض النزلاء تجعل من الممكن الوصول إلى تقديرات معقولة لهذه الأعداد . فهذه السجلات والمذكرات تدل على أنه منذ تشغيل معسكر داكاو فى مارس ١٩٣٣ حتى أول أبريل ١٩٤٠ وصل الرقم المسلسل للمعتقلين فى داكاو إلى ٣٧٥٧٥ ، وعند تحرير

المعسكر وصل رقم المعتقلين المسلسل إلى ما يقرب من ١٦٢ ألفًا . والذى ينبغى أن نتنبّه إليه هو أن آلاف السجناء الذين زج بهم فى داكاو فى الفترة من ١٩٣٣ حتى ١٩٤٥ لم يتم تسجيلهم ونذكر منهم على وجه الخصوص اليهود فى الفترة من عام ١٩٣٨ إلى عام ١٩٣٩ ، وكذلك سجناء الحرب الذين نفذ فيهم حكم الإعدام والمرحلين من المعسكرات الأخرى إلى داكاو فى أيامه الأخيرة ، فضلاً عن السجناء الذين نُفِّذَ فيهم حكم الإعدام سرا والسجناء الترانزيت ، والجدير بالذكر أن بعض سجناء معسكر داكاو أعيدوا إليه بعد إرسالهم إلى معسكرات أخرى حاملين أرقامًا مسلسلة جديدة إلى جانب أرقامهم القديمة . وفى ضوء هذه الاعتبارات يمكن القول بأن إجمالى عدد السجناء الذين زج بهم فى معسكر داكاو يربو على مائتى ألف ، فى حين يقدر جولد شميت Gold schmitr عددهم بـ ٢٢٨٣٠٠ سجين .

٣ - قيادة معسكر داكاو وإدارته :

كان هنريش هملر القائد العام لمعسكرات الاعتقال النازية وكانت وحدة البوليس الخاصة تأتمر بأمره . وبينما كان البوليس السرى أو الجستابو يضطلع بمهمة تزويد معسكرات الاعتقال بالسجناء تولت وحدة البوليس الخاصة إدارتها وتشغيل سجنائها ، وكثيراً ما قام هملر بزيارة معسكرات الاعتقال وبخاصة معسكر داكاو الذى كان يعتبر نموذجاً يحتذى بفضل دقته ونظامه . ويعتبر هملر المسئول الأول عن استخدام السجناء كحقول تجارب لإجراء البحوث والتجارب . وفى عام ١٩٤٤ تبوأ هملر قمة السلطة عندما عُيِّن وزيراً للداخلية ، كما عُيِّن بعد محاولة اغتيال الفوهرر فى شهر يولية من هذا العام القائد العام للجيش الاحتياطى ، وكذلك القائد لمجموعة العمليات العسكرية .

وفى عام ١٩٣٤ بدأ التفتيش على معسكرات الاعتقال النازية وقد اضطلع بهذا التفتيش المكتب الرئيسى لوحدة البوليس الخاصة . غير أن مسئولية هذا التفتيش انتقلت فى عام ١٩٤٢ إلى المكتب الاقتصادى والإدارى الرئيسى برئاسة أوزوالد بوهل Oswald Pohl الذى أصبح على يديه تنظيماً كبيراً ، ففى عام ١٩٤٤ بلغ عدد العاملين فى هذا المكتب نحو ١٧٠٠ سجين تولوا ترحيل السجناء من معسكر إلى معسكر ومن مصنع إلى آخر وإدخالهم غرف الغاز .

وعندما نشبت الحرب العالمية الثانية تولى هذا المكتب تسخير السجناء فى العمل واستغلال جهودهم إلى أقصى حد ممكن . ولم يدخر رئيسه بوهل وسعاً فى تحقيق هذا الهدف . وعندما مثل بوهل أمام المحكمة عام ١٩٤٧ بتهمة ارتكاب جرائم حرب قال له القاضى : "إني أسمى هذا عبودية فما رأيك ؟" فجاءت إجابته كالتالى : "نعم ، يمكنك استخدام هذه الكلمة . ولكن لم يكن بيدى حيلة" . كان بوهل على وعى كامل بكل ما يجرى فى معسكر داكاو . واعترف بأنه شاهد فى حضرة هملر عملية تجرى على بعض السجناء فى غرفة ذات ضغط جوى منخفض . وقد حكمت المحكمة عليه بالإعدام يوم ٣ نوفمبر ١٩٤٧ وتم شنقه فى السادس من يونية ١٩٥١ .

واشتمل المكتب الاقتصادى والإدارى الرئيسى على أربعة أفرع انبثقت عنها فروع أخرى . وقد تمتع الفرع (د . D) بقدر عظيم من الاستقلال وبخاصة لأن بعض مكاتبه كانت قريبة من معسكر ساشنهاوزن فى حين كانت بقية المقار فى برلين . ومن الفرع (د . D) من المكتب الرئيسى صدرت الأوامر إلى كل الإدارات بشأن النظام والطعام والإسكان والنقل والعمل ... إلخ .

وبزيادة أعداد المعسكرات النازية وعدد السجناء فيها وفى المعسكرات الفرعية التابعة لها تضخم بطبيعة الحال حجم العمل الإدارى المطلوب مما اضطر السلطات النازية إلى الاستعانة ببعض هؤلاء السجناء . فهؤلاء السجناء يعرفون اللغات التى يستخدمها رفاقهم ويسهل عليهم التفاهم والتعامل مع بنى جلدتهم . وأيضًا سعى النازيون عن هذا الطريق إلى اتباع سياسة فرِّق تَسُد وتفتيت تماسك السجناء وتضافرهم . ولهذا تعمَّد النازيون انتقاء أعوانهم من العناصر الإجرامية بين السجناء التى لا تتورع عن البطش بزملائهم والتنكيل بهم فى سبيل استرضاء سادتهم . ولكن كان من حسن حظ سجناء معسكر داكاو أن السلطات النازية اختارت العناصر التى تتعاون معها من بين السجناء السياسيين الذين ترفقوا بزملائهم ورفضوا إذلالهم على نحو ما فعل السجناء المجرمون .

ولعب المكتب السياسى النازى دورًا هامًا فى تحديد مصائر سجناء المعسكرات فهو الذى يقرر إطلاق سراحهم أو إلحاقهم بخدمة وحدات البوليس الخاصة . وأيضًا أنيط بهذا المكتب التأكد من تنفيذ أوامر الإعدام الصادرة ، وكذلك الأوامر الصادرة من جهات عليا بأن تتم عمليات إبادة السجناء سرا . فضلاً عن تكليفه بمهمة اكتشاف المقاومة السرية ضد النظام النازى والخطط التى يرسمها المساجين من أجل الهرب أو محاولة الاتصال بالعالم الخارجى . ورغم أن القطاع السياسى كان من الناحية الشكلية يتلقى أوامره من قائد المعسكر فإن السلطة الحقيقية تجسدت فى البوليس السرى المعروف بالجستابو الذى اضطلع بمهمة مراقبة السجناء إلى جانب نشاط وحدات البوليس الخاصة ، الأمر الذى جعل الإدارات النازية المختلفة للمعسكرات تتوجس خيفة من الجستابو .

وحتى نحو أبريل ١٩٤٤ كانت هناك كمية كبيرة من الوثائق الخاصة بوفيات المساجين فى داكاو وإجراءات العقاب الموقع عليهم والأوامر الصادرة بإعدامهم . غير أن السلطات النازية خوفًا من افتضاح أمرها قامت بتدمير الكثير من هذه الوثائق ولم تحتفظ فى الملفات إلا ببيانات تحقيق الشخصية .

كان هناك فى معسكر داكاو هرم وظيفى يتكون من ضباط المعسكر Lagerfuhrer وباشويش النداء على الطوابير Rapportfuhrer والمسئولين عن بلوكات وثكنات المعسكر Blockfuhrer والمسئول عن عمالة المساجين Arbeitseinsatzfuhrer يعاونه معاون يدعى Arbeitsdienstfuhrer بالإضافة إلى ضابط التحقيقات Vernehmungs fuhrer . وعلى أية حال كانت وظيفة مسجل المعسكر Lagerschreiber من أهم وأخطر الوظائف التى تسند إلى أحد السجناء ، حيث إنه كان مسئولاً عن متابعة أية تغيرات تطرأ على وضع السجين . وأيضًا كان النازيون يكلفون شيخ السجناء أو كبير السجناء ويعرف باسم الكابو Kapo بمراقبة زملائه والعمل كهمزة وصل بين القيادة النازية والسجناء . وبطبيعة الحال لم يكن فى المعسكر كابو واحد ، بل عدة كابوهات : كابو مسئول عن المطبخ وآخر عن المستشفى وثالث عن عمليات التطهير من الحشرات ورابع عن المحرقة .... .

وفى بداية إنشاء معسكر داكاو كان البوليس الباڤارى مسئولاً عن إدارته فى حين كان رجال وحدة البوليس الخاصة مجرد قوة فرعية أو ثانوية . غير أن هذا الوضع ما لبث أن تغيَّر بعد أن تولى إيك Eicke إدارة المعسكر، فقد حلت وحدة البوليس الخاصة محل البوليس الباڤارى واستمر الوضع على هذا الحال حتى نهاية أيام المعسكر . وبعد تعيين إيك مفتشا على معسكرات الاعتقال عام ١٩٣٤ قام بإنشاء وحدات خاصة انتقاها فى البداية من رجال الوحدة الخاصة كى تقوم بأعمال الحراسة . ولم تكن لهذه الوحدات الخاصة أية صفة عسكرية حتى إنشاء ما سمى بوحدة الموت ، وهى وحدة مسلحة تتكون من رجال الوحدة الخاصة وتتلقى الأوامر العسكرية من هملر مباشرة .

وفى عام ١٩٣٦ لم يزد عدد الحراس فى معسكر داكاو عن ثمانين أو تسعين حارساً . وفى عام ١٩٣٧ ارتفع عددهم إلى مائة وعشرين . وفى عام ١٩٣٩ تكونت وحدة الحراسة من ١٢ ضابطًا و ١٧٧ ضابطًا مساعداً وعدد كبير من العاملين فى وحدة البوليس الخاصة . وعندما قامت الوحدة الخاصة عام ١٩٣٨ بإنشاء كتيبة عسكرية خاصة بها أمكنها تشغيل أعداد غفيرة من وحدات الحراسة التابعة لوحدة البوليس الخاصة بعد أن تلقى أفرادها تدريبًا خاصا للعمل فى معسكرات الاعتقال ، غير أن النازيين أرسلوهم تدريجيًا إلى جبهة القتال أو الأراضى المحتلة للتصدى لأعمال المقاومة ضد الاحتلال النازى . حدث هذا عندما اشتد وطيس الحرب العالمية الثانية وشعر النازيون بالحاجة إلى المزيد من الإمدادات بالجنود .

وفى يوم ٢٣ أبريل عام ١٩٤٥ أى قبيل تحرير معسكر داكاو بستة أيام كانت قوة وحدة البوليس الخاصة العاملة فى إدارات معسكر داكاو المختلفة (القيادة - الإدارة - الحرس) كالآتى :

١ - أفراد القيادة والإدارة :

الوظيفة	العدد
الضباط	٣٣
العاملون فى بلوكات وثكنات المعسكر	١٨٧
آخرون	٢٣
إجمالى العدد	٢٤٥

٢ - وحدة الحراسة التابعة لوحدة البوليس الخاصة :

ضباط	٨
العاملون فى بلوكات وثكنات المعسكر	٨١١
آخرون	٢٧٨٩
إجمالى العدد	٣٨٥٣

٤ - حياة السجناء اليومية فى معسكر داكاو :

لم تستمر الحياة فى معسكر داكاو على حالها ، فقد كان التغير يطرأ عليها من آن إلى آخر . ويمكننا أن نرى بوضوح المعالم التى تميًزت بها الفترة الأولى من إنشاء معسكر داكاو وهى الفترة التى امتدت منذ افتتاح هذا المعسكر فى ربيع ١٩٣٣ حتى ضمت ألمانيا والنمسا إليها عام ١٩٣٨م .

وكما سبق أن ذكرنا كان أول من زُجّ بهم فى هذا المعسكر هم الألمان المعترضون على النظام النازى وأغلبهم من الشيوعيين ، ولأن الحرب العالمية الثانية لم تكن قد نشبت بعد فقد اقتصر نشاط وحدة البوليس الخاصة على المواطنين الألمان دون غيرهم من الجنسيات . واتبعت وحدة البوليس الخاصة التابعة للنظام النازى سياسة استغلال بنى جلدتهم كعمال بناء وفى الورش . ولكن الاعتبارات الاقتصادية لم تحتل المرتبة الأولى فى تفكير النظام النازى بعكس الوضع بعد اندلاع الحرب العالمية الثانية وغزو القوات النازية لكثير من البلاد الواقعة فى غرب وشرق أوروبا .

وابتداء من عام ١٩٣٥ أخذ النازيون يزجون بالعناصر الإجرامية المناهضة للمجتمع فى معسكر داكاو ، ثم جاء بعد ذلك دور الأعراق الإثنية التى اعتبرها النازيون منحطة مثل اليهود والغجر والشرائح الاجتماعية التى وصموها بالدونية مثل رجال الإكليروس وشهود يهوا . وفى هذه المرحلة بدأ معسكر اعتقال داكاو يأخذ شكله النهائى والمستقر .. وفى المرحلة الأخيرة تسبب إجهاد السجناء العاملين فى قطاع التشييد والبناء إلى جانب وحشية الحراس المفرطة فى وفاة عدد كبير منهم .

وبعد أن قامت ألمانيا النازية بضم النمسا إليها بدأت مرحلة ثانية فى معسكر داكاو حيث زجّ فيه بكثير من النمساويين وبالنظر إلى أن هولاء النمساويين تحدّثوا باللغة الألمانية فقد كانوا مؤهلين للحصول على مواطنة الرايخ الألمانى .

وبعد قيام ألمانيا النازية باقتطاع جزء من تشيكوسلوفاكيا وإقامة محمية بوهيميا ومورافيا فيه تم ترحيل أفواج من هناك إلى معسكر داكاو .

وأخيراً قامت ألمانيا النازية بغزو بولندا فى بداية الحرب العالمية الثانية فى سبتمبر ١٩٣٩م ، ثم احتلت ألمانيا النازية كثيراً من بلاد أوروبا الغربية والشرقية مما أدى إلى ارتفاع عدد المساجين المنتمين إلى جنسيات مختلفة فى داكاو . ومع اشتعال فتيل الحرب أصبح الطعام المقدم إلى المساجين يتسم بالسوء والضآلة معاً .

وفى يناير ١٩٤١ أصدر هملر أوامره إلى معسكرات الاعتقال بضرورة تصنيف سجنائها واستبعاد العناصر التى تمثل خطراً على الدولة . وتنفيذاً لرغبة هملر قام هيدريتش بإصدار مرسوم سرى فى ٢ فبراير من نفس العام بتصنيف السجناء وتقسيمهم إلى ثلاث فئات : الفئة الأولى الأقل خطراً ويخصص لها معسكرات إصلاحية تصلح ما اعوجّ فى سلوكهم . وكانت الظروف المعيشية لهؤلاء السجناء أفضل من غيرهم ، ولكن هذا لم يمنع النازيين من استغلال جهدهم والاستفادة من عملهم .

والجدير بالذكر أن داكاو تم تصنيفه على أنه معسكر (أ) يأوى السجناء الذين لا يمثلون خطراً كبيراً فى المجتمع لتمييزه عن المعسكرات الأخرى التى تأوى السجناء الخطرين مثل معسكرى ساشنهاوزن وأوشويتز (١) ، فلا غرو إذا وجدنا السلطات النازية تترفق بنزلاء المعسكرات التابعة للفئة (أ) وتسند إليهم الأعمال غير الشاقة .

أما الصنف الثانى من المساجين الأكثر خطراً فيزجّ به فى معسكرات بوخنوالد ونيونجام Neuengamme وفلوسنبرج Flossenburg وأوشويتز (٢) وناتزويلر Natzweiler .

وخصص القسم الثالث من معسكرات الاعتقال لإيواء المجرمين والحاقدين على المجتمع والمجرمين السياسيين الذين لا أمل فى إصلاحهم مثل معسكرات ماوتوزن Mauthausen وجوسن Gusen وجروس – روزن Gross - Rosen . وقد عقد النازيون النية على إبادة نزلاء هذه المعسكرات فى أقرب وقت ممكن .

ولكن من الخطأ أن نظن أن هذه التصنيفات السالفة كانت جامدة لا يطرأ عليها تبديل أو تغيير . ففى نهاية أبريل ١٩٤٤ مثلاً أدرج معسكر بوخنوالد تحت التصنيف رقم (١) بدلاً من التصنيف رقم (٢) .

غير أن هذه التصنيفات الثلاثة ظلت نظرية أكثر من كونها عملية لأن اشتداد وطيس الحرب حال دون نقل السجناء إلى المعتقل المخصص لهم طبقًا لهذا التصنيف . ولم يلتفت قواد معسكرات الاعتقال إلى مسألة وضع السجين المناسب فى المعسكر المناسب ، بل كان شاغلهم الأوحد هو الاستفادة القصوى من مجهود السجناء الصالحين للعمل والتخلص من السجناء غير الصالحين له . وهكذا اختلطت الأمور لدرجة أن كل معسكر اعتقال ظل يأوى حتى النهاية فئات متباينة من السجناء . وينطبق نفس الشيء على الظروف المعيشية السائدة فى المعسكرات المختلفة . فمن الناحية النظرية البحتة كان الجستابو (البوليس السرى) هو الذى يضطلع بمهمة تصنيف السجناء إلى فئات وفقًا للمعايير التى سبق لنا أن ذكرناها غير أن قيادات المعسكرات لم تهتم مطلقًا بمثل هذه التصنيفات النظرية فالذى كان يعنيها فى المقام الأول هو تسخير السجناء فى العمل إلى أقصى حد ممكن .

والواقع أن الظروف المعيشية فى معسكر داكاو كانت أسوأ من الظروف المعيشية فى معسكر بوخنوالد رغم أن معسكر داكاو ظل يندرج تحت تصنيف الفئة (أ) فى حين اندرج معسكر بوخنوالد تحت تصنيف الفئة (ب) حتى عام ١٩٤٤م . ولم يكن السجناء يدركون الفوارق بين هذه التصنيفات المختلفة . كل ما عرفوه هو أن الحرق والإبادة ينتظرانهم إذا زج بهم فى معسكرات معينة وأن فرص النجاة والبقاء على الحياة سوف تتوفر لهم إذا زج بهم فى معسكرات أخرى .

ولا شك أن الهزائم العسكرية التى منيت بها القوات النازية فى الحرب مثل معركة ستالينجراد وهزيمتها فى شمال إفريقيا وعمليات إنزال قوات الحلفاء فى إيطاليا أرغمت السلطات النازية على تجنيد المساجين فى معسكرات العمل حتى يتفرغ الشباب الألمانى للقتال . وكان النازيون يؤجرون عمالة السجناء للمصانع وشركات الإنتاج مقابل عائد مالى ، فعلى سبيل المثال قام معسكر داكاو بتشغيل آلاف السجناء فى مصانع الذخيرة وبعض المصانع الأخرى فى كل من باڤاريا والنمسا .

ومنذ ربيع ١٩٤٣ أخذت الظروف المعيشية فى معسكر داكاو فى التحسن لتشجيع السجناء على زيادة إنتاجهم كما سمحت السلطات لبعض السجناء باستلام الطرود من الخارج ، وكذلك سمحت لهم بمزاولة بعض الأنشطة الثقافية والرياضية . ولكن هذا التحسن لم يدم طويلاً ، فبعد خريف ١٩٤٤ تدهورت أحوال معسكرات الاعتقال النازية تدهورًا سريعًا وبخاصة بعد عمليات إنزال القوات الحليفة فى نورماندى ، الأمر الذى اضطر النازيين إلى إجلاء سجناء المعسكرات الموجودة فى شرق وغرب ألمانيا وترحيلهم داخل الأراضى الألمانية نفسها مما أدى إلى اكتظاظ معسكر داكاو وتضور سجنائه جوعًا إلى جانب انتشار الأوبئة وزيادة معدلات الوفيات زيادة رهيبة . وفى أيام الحرب الأخيرة عمت الفوضى صفوف النازيين وسادها الارتباك وتقلصت أعداد الحراس وانهارت روح النازيين المعنوية .

كان النازيون يستقبلون السجناء الجدد فى معسكرات الاعتقال بالضرب ويتهكمون عليهم ويكيلون لهم الإهانات . وتعيَّن عليهم ملء استمارات بمجرد وصولهم إلى معسكر داكاو وتحديد هويتهم ومقارنتها بالبيانات الواردة من الجستابو . وكان لكل سجين جديد ملف فيه صورة الوجه من الأمام والجنب . كما كان الجستابو يصدرون أمرًا إلى سلطة المعسكر لأخذ فيش وتشبيه لبعض السجناء .

وكان أحد الضباط ينتظر السجناء الوافدين عند مدخل المعسكر ويقوم بضربهم وإهانتهم ثم يسلمهم إلى الحلاقين لحلق شعر رأسهم على الزيرو وأجسامهم قبل استحمامهم ، ولأن كثيرًا من الحلاقين كانوا من غير المحترفين لمهنة الحلاقة فقد تركوا بأمواسهم جروحًا فى أجساد الضحايا . وألمتهم هذه الجروح كثيرًا عند وضع المطهرات عليها . وحيث إن رجال الوحدة الخاصة كانوا مسئولين عن إدارة الحمامات فقد كانوا يتفننون فى تعذيب السجناء عن طريق التحكم فى درجة حرارة الماء بحيث تصل إلى درجة الغليان أو الصقيع ، وبعد خروجهم من الحمامات عرايا كما ولدتهم أمهاتهم توجه السجناء إلى الغرفة المخصصة لحفظ ممتلكاتهم ومتعلقاتهم الشخصية . ثم تصرف لهم إدارة المعسكر زيًا خاصًا مقلّمًا وقباقيب وإناء وكوبًا وسكينًا وشوكة

وملعقة . كان هذا هو النظام المتبع فى بداية الأمر عندما كانت معسكرات الاعتقال النازية تستوعب أعداداً صغيرة وتعمل بطريقة سلسة . ولكن أسلوب استقبال السجناء ما لبث أن تغيَّر عندما تضخمت أعدادهم وبخاصة فى شهور الحرب الأخيرة . عندئذ كان هؤلاء السجناء يقفون لساعات عديدة وأحياناً لأيام متواصلة فى طابور العرض قبل بدء إجراءات دخولهم إلى المعسكر . وكان الكشف الطبى عليهم أحد هذه الإجراءات . وكانت إدارة السجن تحتفظ ببطاقة لكل سجين تُبَيِّن حالته الصحية عند وصوله إلى أرض المعسكر . وكان التقرير الطِّبى الموجز يهتم اهتماماً خاصا بأسنان السجين ، كما كان رجال الوحدة الخاصة ينتزعون الذهب من أسنان المساجين الموتى . وبعد دخول السجين المعتقل اقتضت التعليمات حياكة شارة مميزة على ملابسه وتدوين رقم مسلسل عليها (انظر خاتمة الكتاب) . وجرت العادة على عزل السجناء الجدد فى الحجر الصحى الذى يحيط به سور من الأسلاك الشائكة ، حيث يمكثون فيه فترة تتراوح بين أربعة وستة أسابيع يتعلَّمون فيها السير فى خطوة عسكرية وأناشيد المارشات ... .

وبعد انتهاء هذه الإجراءات قامت سلطات المعسكر بإجراء تفتيش أخير عليهم ، ثم جاءت مرحلة فرز السجناء الصالحين للعمل وعزلهم عن السجناء غير الصالحين له . وكانت الطامة الكبرى التى تلحق بأى سجين أن يتم تصنيفه على أنه غير صالح للعمل حيث إن هذا كان نذيراً بإبادته .

وفى بادئ الأمر كانت أموال السجناء تحفظ فى حسابات يستطيع السجين أن يسحب منها ١٥ ماركًا ألمانيًا كل شهر . ولكن هذا النظام تغيَّر عام ١٩٤٢ وحل محله نظام الكوبونات وبمقتضاه يتعين على السجين شراء حاجياته من مقصف المعتقل مقابل كوبونات يشتريها بنقوده .

كان المساجين فى معسكر داكاو يستيقظون فى الساعة الخامسة فجراً فى الصيف والسادسة صباحًا فى الشتاء . وفى بعض الأحيان اضطروا إلى الاستيقاظ فى الساعة الثالثة صباحًا . وفى عام ١٩٣٨ عندما كان معتقل داكاو لا يزال يسوده

النظام كان السجين يقضى ثلاثة أرباع ساعة فى الاستحمام وترتيب فراشه ودولابه وتناول قهوته والذهاب إلى دورة المياه إذا أمكنه ذلك . ولكن هذه الفسحة فى الوقت تقلصت بمرور الزمن .

وفى المساء اصطف المساجين فى طوابير للعودة إلى ثكناتهم يتبعون روتينًا معقدًا لا يقل فى تعقيده عن طابور الصباح حيث كان المساجين فى ظلام الفجر يصطفون فى طابور للنداء عليهم واكتشاف الغائب منهم وتوقيع العقاب عليه ، وحتى صيف عام ١٩٤٢ كانوا يحملون زملاءهم الذين يسقطون صرعى من فرط الإنهاك فى ذيل الطابور حتى تعرف سلطات المعسكر أعدادهم .

وإذا غاب أحد السجناء عن الطابور حدثت الطَّامة الكبرى مثلما حدث فى طابور المساء (أى طابور العودة إلى المعسكر) يوم ٢٣ يناير ١٩٣٩ ؛ فقد ظلت إدارة المعسكر تجرى تحريًاتها وتستجوب السجناء حتى الساعة الحادية عشرة من صبيحة اليوم التالى فمات سبعة سجناء نتيجة الإرهاق وسوء المعاملة . ونفس الشىء حدث فى ١٥ مايو فى العام المذكور ، فقد أدى اختفاء أحد الغجر من هذا الطابور إلى الاستمرار فى استجواب المساجين طوال الليل ، بينما المطر ينهمر عليهم ، الأمر الذى أدى إلى وفاة بعضهم . ولم يكن السبب فى تخلف السجين عن حضور الطابور أحيانًا راجعًا إلى وفاته ، فقد حدث أن غط بعضهم فى نوم عميق نتيجة التعب وشدة الإرهاق أو الاختلاء بنفسه ليضع حدا لحياته البائسة . وكان رجال وحدة البوليس الخاصة يتلذذون بمنظر المساجين المصابين وهم يبولون ويتبرزون على أنفسهم فى أثناء وقوفهم بالساعات الطوال فى طوابير النداء . وكان النازيون يخرجون من الطابور المساجين الذين يريدون توقيع العقاب البدنى عليهم وجلدهم خمسة وعشرين جلدة . وقد استمر هذا الوضع حتى خريف عام ١٩٤٤م .

وفى خريف ١٩٣٧ حاول سجين سياسى من ميونيخ يدعى نيومر **Neumeyer** الهرب من معسكر داكاو غير أنه ألقى القبض عليه بعد مرور أيام قليلة من هروبه . وظهر قائد هذا المعسكر واسمه لوريتز فى الطابور وأمر بإحضار رجلين فى ملابس

مدنية أمامه أحدهما هو نيومر السجين الهارب وقد تدلت من رقبته يافطة كتب عليها : "مع تحياتي ، لقد جئت إليكم مرة أخرى" . أما المعتقل الآخر فكان ذلك العامل الذي قام بتوصيل الهارب إلى الجهة التي أرادها وسمح له بالركوب على دراجته البخارية ، فقد عاقبه النازيون بحبسه في معسكر داكاو لمدة سنتين ونصف . وفي يناير ١٩٤٥ أحضر النازيون إلى الطابور أربعة سجناء إيطاليين هاربين هم برتيلليني Bartellini وسكازولا Scazzola ودانيهال D'Annihale وبيكالوجا Piccaluga . وقد عُلِّق على رقبة كل منهم يافطة تقول : "عُدت مرة أخرى" . واقتيد الأربعة إلى البلوك رقم (٣٠) حيث قضى ثلاثة منهم نحبهم .

وفي فترة الحرب العالمية الثانية كان محظورًا على السجناء استلام أية طرود طعام من خارج المعسكر . غير أن سلطات معسكر داكاو سمحت لهم بهذا في شهر نوفمبر ١٩٤٢ تقريبًا ، ومع ذلك فقد استمرت في منع السجناء الروس والطليان واليهود من استلام مثل هذه الطرود . وقبل ذلك التاريخ لم تسمح إدارة معسكر داكاو باستلام السجناء لأية طرود طعام إلا في مناسبة الكريسماس عامي ١٨٣٦ و ١٩٣٨ بحيث لا يزيد وزن الطرد الواحد عن عشرة أرطال . ولكن هذا السماح لم يطبق على اليهود . علمًا بأن طرود الطعام لم تسلم في بعض الأحيان من سطو الحراس عليها وعبثهم بها وتدميرهم لها .

وكانت منظمة الصليب الأحمر ترسل إلى هؤلاء السجناء التعساء من وقت إلى آخر معونات غذائية غير منتظمة أرسلتها الدول المختلفة إلى رعاياها المحبوسين . وكان حجم هذه المعونات الغذائية يختلف من بلد إلى آخر . كما أن بعض الدول مثل روسيا وإيطاليا لم ترسل أية معونات غذائية إلى رعاياها المعتقلين . ولولا هذه المعونات لأصبح وضع السجناء في الشهور الأخيرة من الحرب كارثيًا ، ولم تسلم هذه المعونات من طمع رجال وحدة البوليس الخاصة فيها واستيلائهم عليها وبخاصة في الأيام الأخيرة من الحرب عندما عمَّت الفوضى .

ورغم كل ما تقدم فقد شهد معسكر داكاو للاعتقال - شأنه فى ذلك شأن معسكرات الاعتقال النازية الأخرى - أنواعًا من التضحية والإيثار تدل على النبل والسموق والسمو . فقد ضحى بعض هؤلاء السجناء بجانب من طعامهم لمساعدة من هم أكثر احتياجًا إليه .

كانت فى جميع معسكرات الاعتقال مقاصف ، ولكن الإدارة العامة لجميع مقاصف معسكرات الاعتقال ظلت فى داكاو حتى عام ١٩٤٣م . وكانت هذه المقاصف تبيع أردأ أنواع الطعام للسجناء بأسعار مرتفعة لدرجة أن وحدة البوليس الخاصة جنت أرباحًا طائلة من هذه التجارة الرابحة . وفى بدايات الحرب كانت هذه المقاصف عامرة بالأطعمة والبارڤانات والكريمات ولكنها ما لبثت تدريجيا أن خلت من المأكولات والمشروبات . وكانت المقاصف كثيرًا ما تبيع البضائع التى نهبها واشتراها النازيون من بلاد أخرى مثل الروائح والبرڤانات بأغلى الأسعار . فضلاً عن ابتزازها للسجناء بأن تضطرهم إلى شراء أشياء لا حاجة لهم بها (مثل أمشاط الشعر) إذا أرادوا شراء ما يلزمهم .

والجدير بالذكر أن إدارة معسكرات الاعتقال أعطت المساجين كميات إضافية من الطعام لحفزهم على العمل والإنتاج عندما اشتد وطيس الحرب واضطر النازيون إلى سحب الشباب الألمانى العامل فى المصانع للذهاب إلى جهة القتال وإحلال عمالة السجناء محله، وأوصت السلطات النازية بزيادة وجبة الطعام لتحفيز السجناء على العمل . وكانت هذه الزيادة التى أطلقوا عليها اسم الفطور الثانى تتكون من $\frac{١}{٨}$ أو $\frac{١}{١٠}$ من رغيف العيش وأوقيتين من السجق . ومن هذا المنطلق وحده أوصى مكتب بوهل المعروف اختصاراً بـ (W.V.H.A) قواد وأطباء معسكرات الاعتقال بزيادة حصة السجناء من الطعام .

وعندما حضر المفتشون إلى المعسكر للوقوف على أحواله استخدمت إدارته أساليب التمويه والخداع حتى يخرجوا بانطباع طيب عن المعسكر وأن كل شىء فيه على ما يرام وذلك بتوفير الطعام المناسب والمغذى للسجناء . وما إن ينصرف المفتشون والزوار لحالهم حتى تعود ريمة إلى عادتها القديمة ويعود الطعام إلى سابق رداءته .

وطبقًا لما يقوله الدكتور بلاها Blaha الذى ظل حبيسًا فى معسكر داكاو لعدد من السنوات لم تزد سعرات وجبات السجناء اليومية فى بعض الأحيان عن ما بين ثمانمائة وألف سعر حرارى ، وهى أدنى بكثير من السعرات الحرارية الضرورية لاستمرار حياة الإنسان بشكل طبيعى . وتتكون هذه الوجبة اليومية من بروتين الخضروات و $\frac{١}{١٠}$ أوقية من الدسم وسبع أوقيات من الكاربوهيدريت و ٠٠٤, من الكالسيوم وثلاث أوقيات من المواد الفسفورية و ٠٠٢, من الحديد . وأيضًا كانت الوجبات أحيانًا تتكون من البطاطس المتعفنة والكرنب وقليل من المارجارين والمربَّة والجبن الأبيض والسجق . وكان اللحم المقدم إليهم فى الشوربة يتكون عادة من لحم الخيل . وأدى سوء التغذية إلى هلاك بعض السجناء وارتفاع معدلات سرقات الطعام واقتتالهم فى سبيل كسرة خبز ، بل أدى ببعضهم إلى القتل أحيانًا وأكل لحوم البشر ، بل وأكل الديدان داخل الجثث . وفى يوم ١٤ نوفمبر ١٩٤٢ عثر على بعض الجثث مأكول منها بعض أجزائها وملقاة فى عربات بضائع القطار القادم من ستوتهوف Stutthof والذى يمر على دانزج Danzig ، وسمحت إدارة معسكرات الاعتقال للمساجين بشىء من الترفيه والترويح عن النفس لرفع روحهم المعنوية تحفيزًا لهم لبذل الجهد فى العمل . وحيث إن السجناء لم يبق لديهم بسبب إنهاكهم قدرة على ممارسة الألعاب الرياضية فقد اكتفوا بمشاهدة مباريات كرة القدم التى سمح لهم بمشاهدتها بعد عام ١٩٤١ ، إلى جانب مشاهدة بعض العروض المسرحية والموسيقية . ولا عجب فى ذلك فقد عجت معسكرات الاعتقال النازية بعدد من أصحاب المواهب الفنية والموسيقية بين المساجين . وفى الشهور الأخيرة من حياة معسكر داكاو كانت بعض أفلام الدعاية النازية تعرض على السجناء . وكانت هناك فى معسكر داكاو مكتبة بدأت متواضعة للغاية ثم ما لبثت أن تمت وكبرت على مر الأيام ، غير أن معظم السجناء عزفوا عن ارتيادها بسبب الهموم التى حطت عليهم . وعندما تولى ويس Weiss قيادة المعسكر شجع السجناء على زيارتها غير أن خلفه تخلى تمامًا عن انتهاج سياسة سلفه .

استنت معسكرات الاعتقال عدداً من اللوائح الخاصة بمراسلات السجناء ولم يسمح للسجين بتلقى أية رسائل أو إرسال أية خطابات إلا بعد أن يمضى فترة معينة فى المعتقل يحق له بعدها إرسال الخطابات واستلامها . غير أن هذا الحق كان مشروطاً بحسن سيره وسلوكه ، حيث كان فى مقدور إدارة المعتقل إلغاءه أو تعليقه كعقاب للسجين الذى يثير غضب السلطات عليه . فضلاً عن أن المعسكر لم يسمح لليهود والروس بالانتفاع بهذا الحق ، ثم جاء وقت توقف فيه تلقى السجناء واستلامهم لأية رسائل . ففى يوم ٢٤ سبتمبر ١٩٣٩ - أى بعد فترة وجيزة من اندلاع الحرب - نبهت إدارة معسكر داكاو على جميع سجنائه عدم إرسال أية خطابات حتى إشعار آخر . وعلى أية حال اشترطت إدارة السجن على نزلائه كتابة مراسلاتهم باللغة الألمانية وعدم ذكر أى شىء - عند إطلاق سراحهم - عن حياتهم داخل المعسكر . وإذا عنّ لسجين أن يكتب ما يدعو إلى الريبة حققت معه سلطات المعسكر وحرمته من إرسال الخطابات لفترة من الزمن .

ورغم شدة الحظر الذى فرضه المعسكر على مساجينه فقد استطاع بعضهم عن طريق الرشوة تهريب بعض الممنوعات داخل السجن أو إخفاء خطاباتهم بمهارة حتى لا ينكشف أمرها .

ورغم وجود قواسم مشتركة بين مختلف معسكرات الاعتقال النازية فإن ظروف الحياة فيها لم تكن متطابقة ، بل اختلفت من معسكر إلى آخر . وبوجه عام يمكن القول إن الظروف المعيشية كانت أفضل من المراحل الأولى من إنشاء معسكرات الاعتقال عندما كان الرايخ الثالث فى عز مجده عما آل إليه عندما بدأت الخسائر والهزائم تحيق به . فضلاً عن أن الظروف المعيشية فى المعسكرات الكبيرة مثل أوجسبرج Augsburg وألاخ Allach وكوفرنج Kaufering لم تستمر على وتيرة واحدة ، بل اعتراها كثير من التغيرات .

وعلى سبيل المثـال كانت مصـانع دورينيـه Dorniey فى لاندزبرج Landsberg فى منتصف شهر يولية ١٩٤٤ تدفع مبالغ إضافية تتراوح بين عشرة وعشرين ماركًا ألمانيا شهريا إلى السجناء والمشرف عليهم لمساعدتهم على شراء الطعام مقابل العمل فى المزارع . كان هذا الوضع قائما عندما تقلد الضابط واجنر Wagner مقاليد الأمور فى معسكر داكاو ليشيع الرعب والفزع فى قلوب السجناء .

ولعل معسكر كوفرنج فى داكاو أفظع المعسكرات جميعًا من حيث سوء ظروف نزلائه المعيشية ، فقد وصل إليه فى الفترة من منتصف يونية ١٩٤٤ حتى منتصف مارس ١٩٤٥ ، ٢٨ ألف يهودى (حوالى ٤٢٠٠ منهم من النساء) جاءوا من أشويتز وليتوانيا وبيرجن - بلسن Bergen - Belsen ورافنزبروك . ولكن مركز كوفرنج للاعتقال كان أهم مركز للسجناء اليهود فى معسكر داكاو . وبعد أن نجح الحلفاء بغاراتهم الجوية فى تدمير مصانع مسرشميدت Messerschmidt الموجودة فى موقع أوجسبرج قرر النازيون بناء منشآت بديلة تحت الأرض . والجدير بالذكر أن النازيين حشدوا خمسة عشر ألف سجين للعمل على مدار الساعة فى تشييد مصانع ضخمة فى الغابات القريبة من محطة سكة حديد كوفرنج على خط السكة الحديد الذى يصل ميونيخ بلنداو Lindau ، وكان هناك أحد عشر معسكرًا صغيرًا يمتد من ليتشفيلد Lechfeld إلى أميرسى Ammersee . كانت هذه المعسكرات الفرعية التابعة لمنطقة كوفرنج لا تحمل أسماء ، بل أرقامًا مثل كوفرنج (٥) وكوفرنج (١٠) . وكان معسكر كوفرنج (٤) يحتوى على ٧٠ ثكنة تم تخصيص ٦٠ منها كسجن للرجال . وفى البداية عاش فى هذا المعسكر الفرعى ٥٠٠ رجل و ٢٨ امرأة . ولكن عددهم زاد إلى ثلاثة آلاف سجين وثلاثة آلاف سجينة فى آخر أيام هذا المعسكر . وكان السجناء لا يغيرون ملابسهم الداخلية أبدًا لأنه لم تكن فرصة لتنظيفها وغسلها أو لبس ملابس داخلية أخرى . وكانت هناك فى معسكر داكاو أربع دورات مياه يستخدمها السجناء ودورة مياه مخصصة للنساء وأخرى لاستخدام السجناء المعينين للإشراف على زملائهم . وكان السجين يحرص على حذائه حرصه على عينيه لدرجة أنه كان يستخدمها كمخدة حتى لا يسرقه أحد . وقد أدى حفاء عدد من السجناء نتيجة ضياع أحذيتهم إلى فقدان حياتهم .

وكثيراً ما كان السجناء فى معسكر داكاو يستيقظون من نومهم فى الساعة الرابعة والنصف صباحًا ، ثم يعقب صحوهم النداء على الطابور الذى يستغرق نحو ساعة ونصف . وكما أسلفنا كان السجناء يقفون فى الطابور فى العراء مهما كانت الأحوال الجوية سيئة : يقفون فى الطين والثلج وفى أثناء هطول الأمطار . وأجبر تمبل Tempel مسئول وحدة البوليس الخاصة السجناء الضعفاء على التخلى عن أحذيتهم لإعطائها للسجناء الأشداء حتى يمكنهم الوصول إلى مقار أعمالهم مشيًا على الأقدام ليعملوا هناك حتى الساعة السادسة مساء . وعند موت أحد السجناء فى موقع العمل يحمل زملاؤه جثته بعد انتهائهم من العمل ويرجعون بها إلى المعسكر .

كان الطعام الذى يتناوله السجناء مزريًا للغاية فهو لا يحتوى على أية قيمة غذائية ولا يزيد عن بعض حبات البطاطس المعطوبة والكرنب وكسرة خبز صغر حجمها وتناقص وزنها مع مرور الأيام حتى وصل إلى $\frac{١}{٨}$ رغيف يزن ثلاثة أرطال . أضف إلى ذلك أن عدد الأطباق الموجودة فى معسكر داكاو كان أربعمائة طبق يستخدمها ثلاثة آلاف شخص حيث إن السجناء كانوا يتبادلون الأطباق فى حين تناول آخرون طعامهم فى علب من الصفيح ، وكانت الأطباق المتسخة لا تعرف الغسيل أبدًا .

وعندما تَفَشَّى وباء التيفوس فى المعسكر ارتفع عدد المتوفين ارتفاعًا مخيفًا . وتهرَّب الأطباء الألمان من زيارة المعسكر خوفًا على حياتهم ، فسعى الأطباء من المساجين قدر طاقتهم لمعالجة زملائهم وكلَّفهم ذلك أحيانًا التضحية بحياتهم . واعتباراً من ديسمبر ١٩٤٤ أصبح المعسكر رقم (٤) مخصصًا للمرضى فى كل منطقة كوفرنج . وخلال الشهور الخمسة التى انتشر فيها وباء التيفوس بلغ عدد ضحاياه نحو ثلاثة آلاف رجل . وعندما حضر الكابتن بارنيت Barnett العضو الأمريكى فى لجنة التحقيق فى جرائم الحرب لزيارة المعسكر كان رجال وحدة البوليس الخاصة قد أضرموا فيه النار لطمس معالم جرائمهم ، وعثر بارنيت على حفرتين احتوت إحداهما على ألفى جثة واحتوت الأخرى على ألفى وخمسمائة جثة . كما عثر على ٢٦٨ جثة إضافية مبعثرة فى أرجاء المكان .

وزاد من قسوة حياة معسكر داكاو أن بعض سجنائه كانوا فى حالة ترحيل مستمر . وهذا ما حدث لمجموعة من سجناء داكاو فى الفترة الواقعة بين ربيع عام ١٩٤٤ وتحرير المعسكر فى أبريل ١٩٤٥م . ففى عيد القيامة المجيد عام ١٩٤٤ تم نقل خمسمائة سجين من معسكر داكاو إلى منطقة نيو أوبنج Neu - Aubing للعمل فى مصانع دورينيه . غير أن هذا المعسكر كان لا يبعد أكثر من ثلاثمائة ياردة من المصانع مما عرضه لمخاطر الأعمال القتالية . وفى التاسع عشر من شهر يولية شن الحلفاء غارة جوية دمرت إحدى قاعاته الكبيرة . وفى ٢١ يولية من العام السالف الذكر تم تدمير المصنع بالكامل وتسويته بالأرض ، كما قصف الحلفاء المعسكر بالقنابل الفسفورية مما أشعل النار فى جميع الثكنات باستثناء ثكنة واحدة . ونتيجة لهذا القصف الجوى اضطر السجناء إلى حشر أنفسهم فى إحدى الثكنات السليمة ، حيث بقوا لمدة أسبوعين قبل نقلهم إلى أونتر فافنهوفن – جيرمرنج Unterpfaffenhofen - Germering . وفى سبتمبر تم إعادة السجناء إلى داكاو وزاد عددهم حتى بلغ ٨٠٠ سجين ، توجهوا هذه المرة إلى أوبرلنجن Uberlingen حيث أُقيمت مصانع تحت الأرض . وبطبيعة الحال كان العمل فى سراديبها الستة مضنيًا للغاية . وقد تميز قائد الوحدة الخاصة واسمه جرونبرج Grunberg وحراسه بالوحشية التى ليس لها مثيل . وظل السجناء يعملون تحت الأرض فى ورديات على مدار الساعة فى جو العنابر الخانق . وأفضى العمل تحت سطح الأرض فى ظل ظروف غير إنسانية إلى ارتفاع نسبة الوفيات بين المساجين وبخاصة بين الروس والطليان . وساعد سوء التغذية على تدهور صحتهم ووفاتهم ، ولحسن الحظ تسلَّم هؤلاء السجناء فى أوبرلنجن كميات لا بأس بها من التفاح وعددًا ضئيلاً من الطرود التى قام الصليب الأحمر بإرسالها إليهم .

وفى بداية عام ١٩٤٥ انتشر وباء التيفوس فى أوبرلنجن التى رحل إليها سجناء فريدريشهافن Friedrichshafen بعد تدمير المصانع المقامة هناك ، وإلى جانب الأضرار الناجمة عن أعمال الخلفاء العسكرية وقع كثير من الحوادث ومنها انهيار نفق راح ضحيته ٢٢ سجينًا وثمانية عمال مدنيين وأرسل النازيون عددًا كبيرًا من السجناء لرفع الأنقاض وهم فى حالة إعياء شديد . وفى ٢١ أبريل من عام ١٩٤٥ تم إعادة ترحيل

السجناء الباقين على قيد الحياة إلى معسكر داكاو . ولكن سائق القطار الذى يقلهم غيَّر مساره ووصل إلى آلاخ يوم ٢٣ أبريل من العام المذكور . ولم تمض أيام قليلة حتى وصلت القوات الأمريكية لتضع حداً لهذا الكابوس المرعب .

وكما سبق أن ذكرنا كان النازيون أحياناً يزجون بشهود يهوا فى معسكرات الاعتقال . ففى عام ١٩٢٨ زجوا بتسعة منهم فى معسكر وولف جانج Wolf Gang بالنمسا تحت إشراف أحد السجناء السياسيين ، وأيضاً كان النازيون يستغلون عمالة المساجين لأغراض شخصيته . فقد اقتنى المشرف الألمانى على العمال واسمه لوريتز Loritz قطعة أرض فى غابة قريبة من بحيرة فأرسل المساجين الخاضعين له لقطع الأخشاب وتطهير الأرض من المخلفات لوضع أساس الفيلا الخاصة به التى كان يعتزم بناءها . ومن أجل حثهم على العمل كان لا يبخل عليهم بالطعام . وكان هؤلاء السجناء يقومون بعملهم فى أثناء النهار . وعندما يأتى المساء كان لوريتز يحبسهم فى إحدى المدن المجاورة . وبعد انتهاء هذا الفريق من تمهيد الأرض حلَّت محلهم مجموعة من السجناء فى معسكر داكاو المتخصصين فى أعمال البناء .

كان كل هذا يتم فى سرية تامة ، حتى الأهالى والألمان القاطنين فى الأماكن القريبة من المعسكر لم يكونوا يعرفون حقيقة ما يجرى حولهم وكان النازيون قبل الإفراج عن أى سجين يأخذون عليه تعهداً كتابياً بألا يبوح بكلمة واحدة عما شاهد فى هذه المعسكرات ، وهددوه بأنهم سوف يعيدونه إلى معسكرات الاعتقال إذا خالف أوامرهم .

ورغم أن هملر زار معسكر داكاو عدة مرات فإن المسئولين عن المعسكر استطاعوا ترتيب هذه الزيارات بحيث يخرج الزائر الكبير وهو مقتنع بأنه ليس فى الإمكان أبدع مما كان وأن معسكرات الاعتقال أمكنة رائعة يرجع الفضل فى استحداثها إلى الرايخ الثالث . وهذا واضح من الشهادات التى أدلى بها كبار الزوار النازيين أمام محاكم جرائم الحرب . فقد أبدى الكثيرون منهم دهشتهم من سماع الأعمال الوحشية التى جرت فى معسكر داكاو للاعتقال مؤكدين أنه كان نموذجاً يحتذى لا تشوبه أية شائبة .

وفى شهادته قال المارشال ميلتش Milch إنه زار معسكر داكاو عام ١٩٣٥ وأنه دهش دهشة بالغة عندما سمع بعد انتهاء الحرب أن معسكر داكاو كان يأوى سجناء أجانب كما أشاد بأناقة الثكنات وإحكام بنائها وجودة الطعام الذى يقدم إليهم ، وأيضا أشاد بإعطاء السجناء فرصة القراءة والاطلاع والترويح عن أنفسهم ، كان هذا فى عام ١٩٣٥ عند بدء إنشاء معسكر الاعتقال قبل أن يتحول إلى محور شر وتعذيب .

وأيضًا أدلى شاهد آخر هو الجنرال كارل وولف Karl Wolff بشهادة مماثلة عند محاكمة المارشال ميلتش . قال إنه زار معسكر داكاو عام ١٩٤٢ ولكنه لم يذهب إلى أبعد من البلوك رقم (٢) المخصص لاستقبال كبار الزوار . وأشاد هذا الرجل بنظافة هذا المعسكر قائلاً إنه يمكن للمرء أن يتناول طعامه على الأرض .

وأيضًا عبَّر المستشار الألمانى السابق فون بابن Von Papen عن نفس هذا الانطباع الجميل . قال إن الدهشة اعترته عندما علم بأمر الفظاعات التى جرت داخل هذا المعسكر والتى كشفت القوات الأمريكية عنها عند قيامها بتحريره . وأضاف بابن أن الرايخ الألمانى دعا عدداً من خبراء الشرطة الأجانب لزيارة معسكر داكاو والاطلاع على أحواله وعلى الأسلوب النموذجى المتبع فى إدارته . وخرج هؤلاء الزوار الأجانب وهم يثنون عليه ويمتدحونه ، الأمر الذى يدل على قدرة النازيين المذهلة على الختل والخداع .

أما السجناء فى معسكر داكاو فكانوا يعرفون الحقيقة ولكنهم لم يجرءوا على البوح بها خوفًا من الانتقام منهم والتنكيل بهم . وضرب فون بابن مثلاً على جهل العالم الخارجى بما يحدث فى داكاو وغيره من معسكرات الاعتقال قائلاً إن ابنه التحق بمدرسة عسكرية بالقرب من جوتا Gotha على بُعد ما يقرب من خمسة عشر ميلاً من معسكر اعتقال بوخنوالد الشهير . ورغم ذلك فإنه لم يكن يعرف بوجوده . وأضاف بابن أن اسم بوخنوالد كان مرتبطًا فى الأذهان باسم حامية تابعة لوحدة البوليس الخاصة متمركزة هناك . ومعنى هذا أن الدعاية النازية برعت فى فرض التعتيم على معسكرات الاعتقال وما يجرى فيها من أهوال يشيب لها الولدان .

قال هملر ببراءة قد تكون كاذبة فى حديثه إلى أفراد القوات المسلحة النازية عام ١٩٣٧ : " يتم تدريب الرجال فى هذه المعسكرات بطريقة منظمة ، فهم يعيشون فى ثكنات نظيفة ولا يستطيع تحقيق مثل هذه المنجزات غير الألمان . ولا توجد دولة فى العالم تتسم بما تتسم به ألمانيا من إنسانية ورحمة . ونزلاء هذه المعسكرات يغيرون ملابسهم بشكل متكرر . ويتم تدريب الرجال على الاستحمام مرتين فى اليوم واستعمال فُرش الأسنان وهو شيء لم تعرفه غالبيتهم من قبل" . وإمعانًا فى خداعها ادّعت السلطات النازية أنه فى حالة تطبيق عقوبة الجَلْد خمسة وعشرين جلدة على سجين لإتيانه بمخالفة جسيمة نصت اللوائح على توقيع هذا العقاب البدنى فى حضرة طبيب . وأكدت هذه السلطات أن العقوبات البدنية تخلو تمامًا من السادية .

ولكن بمرور الوقت وانتشار معسكرات الاعتقال فى العديد من المواقع بدأ الشعب الألمانى يحس بوجودها فهو يشاهد أمام عينيه طوابير السجناء وآلاف المهندسين والعمال ورجال الصناعة بالقرب من قراهم ، كما أن الشعب الألمانى رأى القطارات تنقل هؤلاء التعساء وجثث بعض الضحايا المتناثرة على الطريق نتيجة الإرهاق أو إطلاق الحراس النار عليهم .

٥ – عمل السجناء :

كان العمل إجبارياً بالنسبة إلى جميع السجناء بلا استثناء منذ إنشاء معسكرات الاعتقال . فالفقرة رقم (١١) من اللائحة التنظيمية الداخلية فى معسكر داكاو والصادرة فى ٢٩ مايو ١٩٣٣ تنص على ما يلى : "يتعيَّن على السجناء من الفئات الثلاث العمل ولقائد المعسكر أن يحدد فترة هذا العمل ومقداره" . وبناء على هذا القرار أنشأ النازيون عدداً كبيراً من الورش كانت أساساً للنشاط التجارى الموسع الذى انخرطت فيه وحدة البوليس الخاصة فى السنوات التالية . وعلى سبيل المثال أقام النازيون فى داكاو ورشة نجارة ومصنع أقفال ومصنع لإنتاج الأدوات الكهربائية وورشة لإصلاح الأحذية وورشة لصناعة أسرجة الخيل ، ومحل جزارة كبير ومخبز ، وأيضاً أقام النازيون ورشاً مثيلة فى جميع المعسكرات الأخرى بناء على التعليمات التى أصدرها إيك الذى عُيِّن مفتشاً عامًّا لمعسكرات الاعتقال فى يولية ١٩٣٤ احتذاء بمعسكر داكاو وقت أن كان هذا الرجل قائداً له . وفى الأيام الأولى من إنشاء المعسكرات اضطلع السجناء بأداء ثلاثة أنواع من العمل هى : العمل فى الورش والعمل فى الخدمات العامة والعمل فى قطاع الصناعة ونقل مواد البناء والصرف الصحى . وكان الهدف الأصلى من هذا العمل توفير ما يلزمه معسكر داكاو من طعام وملابس ومأوى ولكن اتضح للمسئولين عن المعسكر أن إنتاج السجناء يفوق حاجة المعسكر . ولهذا فكَّرت وحدة البوليس الخاصة فى استغلال عمالة السجناء فى تحقيق المغانم والمكاسب . وظلت معسكرات الاعتقال حتى عام ١٩٣٨ فى يد قوادها . ولكن هملر ما لبث أن أسند إدارتها إلى وحدة البوليس الخاصة التابعة له عن طريق المكتب الإدارى الذى أنشئ عام ١٩٣٤ تحت إدارة بوهل . ويتضح لنا من البيانات التى أصدرها بوهل أن محل الجزارة والمخبز أصبحا تابعين لمكتبه فى نفس العام المشار إليه .

ولكن قرار هملر لم يرق فى عين إيريك وقادة معسكرات الاعتقال ، حيث إنهم رفضوا التنازل عن سلطتهم على هذه الورش لما تدر عليهم من مكاسب شخصية لهم ولعائلاتهم .

وفى عام ١٩٣٦ أصبحت هذه الورش فى داكاو تحت إدارة ويتزل Weitzel مسئول وحدة البوليس الخاصة . ومن هذه المشروعات التجارية المجزية مصنع البورسيلين المقام بالقرب من داكاو والذى آل إلى هيئة أركان هملر فى عام ١٩٣٦م . وفى عام ١٩٣٧ تم نقل مصانع آلاخ إلى مبنى كبير . وفى عام ١٩٤٠ أجرى النازيون توسعات فى مصانع آلاخ التى أسند إليها إنتاج السيراميك فى حين تخصص سجناء داكاو فى صناعة البورسيلين . وفى بادئ الأمر عارض هملر استخدام المساجين فى هذه المصانع ولكن نقص العمالة فى عام ١٩٤١ أرغمه على قبوله استخدام وحدة البوليس الخاصة بهم .

وفى عام ١٩٣٦ قامت وحدة البوليس الخاصة بتشكيل شركة تولَّت فى (١٩٣٧ - ١٩٣٨) بناء منازل للمسئولين عن إدارة معسكر داكاو . واستولت هذه الشركة على أرض ومبان معظمها فى مدينة برلين كانت فيما مضى ملكًا لليهود . واستخدمت سلطات المعسكر عددًا كبيرًا من سجناء داكاو فى بنائها ، وأيضًا بادر هملر وهيئة أركانه بإنشاء طائفة كبيرة من المشروعات الاستثمارية فى مجالات شتى مثل التصوير الفوتوغرافى وقطع غيار الدراجات . وكان لبعض قيادات وحدة البوليس الخاصة أسهم فى هذه المشروعات . ومن بين هؤلاء المنتفعين لوبيل Loibl سائق سيارة هتلر الذى حصل على نصف أرباح شركة أنطون لوبيل لصناعة الدراجات . وفى عام ١٩٣٨ أصبحت هذه الشركات - مثل بقية الورش - تابعة لإدارة وحدة البوليس الخاصة . وكما أسلفنا اعتمدت هذه المشروعات الاستثمارية على كد وعرق سجناء معسكرات الاعتقال .

وبعد عام ١٩٣٨ رأى هملر ضرورة زيادة عدد هذه المشروعات الاستثمارية وإحكام قبضة وحدة البوليس الخاصة عليها حتى تصبح مستقلة تمامًا . وأدت هذه الزيادة إلى إنشاء معسكرات جديدة على غرار معسكر داكاو . وتقرر إنشاء المزيد من معسكرات الاعتقال فى كل من فلوسنبرج وماثوزن وجوسن فى عام ١٩٣٨ ، وجروس روزن فى عام ١٩٣٩ وناتزويلر فى عام ١٩٤١م . وقد شجع على هذا وجود محاجر مجاورة لهذه المعسكرات ، ثم قامت وحدة البوليس الخاصة بإنشاء شركة فى برلين فى

نهاية عام ١٩٣٨ لاستغلال المحاجر والصناعات المتصلة بالبناء والتشييد . وأقامت شركة دست DEST نحو عام ١٩٣٨ مصانع لإنتاج مواد البناء بالقرب من معسكر ساشنهاوزن وبوخنوالد ، كما أقامت مصانع مشابهة عام ١٩٤٢ بالقرب من شتنهوف (دانزج) إلى جانب معسكر نونتنجهام الذى أنشئ عام ١٩٤٠ . غير أن شركة دست الألمانية انصرفت إلى إنتاج السلاح والذخيرة عندما بدأت الهزائم العسكرية تلحق بالقوات النازية مثلما فعلت مصانع مسرشميدت Messerschmidt وستير Steyr ورهينميتال بورسنج Rheinmetall Borsing وهنكل Henkel .

وفى مايو ١٩٣٩ قامت شركة DAW بالاستيلاء على ورش المعسكر التى كان بوهل يديرها عام ١٩٣٨م . وقد بدأت هذه الشركة نشاطها الاستثمارى فى معسكر داكاو الذى ذكرنا أنه يحتوى على ورش لإنتاج الأقفال وأعمال الحدادة والأدوات الكهربائية إلى جانب إنتاج أثاث المعسكرات والثكنات ... وأيضًا كان فى داكاو مجزر كبير يورد اللحوم لاستهلاك نحو ٢٥ ألف شخص من جنود المعسكر وسجنائه ، ومخبز تصل طاقته الإنتاجية إلى ثمانية آلاف رغيف فى اليوم ، ومحل بقالة لخدمة عائلات الضباط والحراس وورشة لصنع الملابس ، ومحل إصلاح الأحذية وصناعة السروج .

وفيما بعد قرر بوهل تخصيص شركة DAW لإنتاج المصنوعات الخشبية والمعدنية ، كما تكونت شركات جديدة . وفى أواخر ١٩٤١ انتقلت ملكية الجزارة والمخبز ومحال الطعام إلى شركة حديثة الإنشاء هى شركة دوتش ليبتز ميتيل Deutsche Lebersmittel ، كما آلت ملكية محال الملابس وإصلاح الأحذية إلى شركة بيكليدنجر الموجودة فى داكاو والتى كانت تنتج يونيفورم (الزى الموحد) لأفراد الوحدة الخاصة . واتسع نطاق نشاط DAW ، كما ارتفع عدد سجناء داكاو من ١٢٠٠ سجين فى عام ١٩٤٠ إلى ١٥٥٠٠ فى عام ١٩٤٣ مما زاد من مكاسب شركة DAW . وابتداء من عام ١٩٤٢ اتجه نشاط الشركة إلى إنتاج الذخيرة وإصلاحها ، وكذلك إصلاح المركبات . وكان معسكر داكاو يغير نشاطه الإنتاجى والاستثمارى من آن إلى آخر . فقد تحمس كل من هملر وبوهل لإدخال إصلاحات جذرية فى صناعة الغذاء والدواء . فحثَّا العلماء الألمان على إنتاج الأدوية

ذات المكونات الطبيعية ، كما حثَّا الشعب الألمانى على الإحجام عن تناول الأدوية ذات المكونات الكيماوية . فضلاً عن أنهما حثَّاه على الامتناع عن استخدام التوابل الأجنبية واستخدام التوابل الألمانية بدلاً منها .

وفى يناير ١٩٣٩ أسس بوهل خارج معسكر داكاو مجمعًا ضخمًا لزراعة التوابل وكذلك النباتات التى تدخل فى تركيبة العقاقير الطبيعية . وقام سجناء هذا المعسكر ببناء بيوت استزراع النباتات وحوانيت ومعامل وورش . وكان الفلفل الألمانى من أهم زراعات معسكر داكاو وبخاصة بعد حظر استيراد التوابل من الخارج نتيجة نشوب الحرب ، وأصبح استعمال التوابل الألمانية لزامًا على أفراد وحدة البوليس الخاص والشرطة بوجه عام إلى جانب القوات المسلحة بحرًا وبرًا وجوًا .

وهكذا نجد أن المشروعات الاستثمارية فى داكاو حيث يكدح ويكد ألوف السجناء فى أقسى الظروف الجوية وحيث مات الكثيرون منهم ضربًا بالرصاص من أنجح المشروعات الاستغلالية التابعة لوحدة البوليس الخاص . وقد بلغت أرباح هذه المشروعات السنوية مئات الآلاف من الماركات الألمانية ، ثم اتسع نشاط هذه المشروعات الاستثمارية بشراء وحدة البوليس الخاصة للمزيد من المزارع والأراضى والغابات . وأولى هملر طرق الزراعة الحديثة كل اهتمامه . فقد توفر على دراسة علم الاقتصاد الزراعى واعتبر نفسه متخصصًا فيه . وبحلول نهاية سبتمبر ١٩٤٤ امتلكت الشركة ٢٢ مشروعًا درَّت إنتاجًا ضئيلاً باستثناء إنتاج معسكر داكاو الوفير . فضلاً عن اهتمامها بإنشاء مزارع أسماك وشروعها فى إنشاء مدرسة فى مدينة أونترب فاهلايم Unterp Fahleim بالقرب من ميونيخ لتعليم مقعدى الحرب ومعوقيها صيد السمك . واختير ثلاثون سجينًا من سجناء معسكر داكاو – معظهم من شهود يهوا – للعمل فى هذه المدرسة .

وفى يونية ١٩٤٠ تأسست فى داكاو مؤسسة لصناعة النسيج اتخذت عام ١٩٤٣ من برلين مقرا لها . وكان لهذه المؤسسة مصانع في العديد من معسكرات الاعتقال الأخرى وبخاصة فى رافنزبروك ، حيث تخصصت السجينات فى إنتاج الملابس والجوارب وطائفة كبيرة من الأشياء التى تحتاج إليها القوات المسلحة والمعسكرات .

وكانت هذه الشركة تعمل بالتعاون مع شركة أخرى تابعة لوحدة البوليس الخاصة . وكان مقرها الرئيسى فى داكاو . ولدعم موقفها الاقتصادى ودمج مشاريعها الاستثمارية المختلفة أقامت وحدة البوليس الخاصة فى نهاية ١٩٤٠ شركة عملاقة باسم DWB مقرها فى برلين يرأسها بوهل وتديرها وحدة البوليس الخاصة . واشتمل نشاطها على مجالات شديدة التنوع مثل إنتاج المياه المعدنية والبيرة وعلب الطعام المحفوظ والأخشاب والأثاث والسيراميك والفراء والأدوية ، كما تم إنشاء عدد آخر من الشركات . وكانت وحدة البوليس الخاصة تطمع فى إنتاج وقود المحركات . ولذا وقع اختيارها على بئر زيت ورتمبرج Wurttemberg . وساق النازيون عشرة آلاف سجين للعمل فى حقول الزيت فى كل من دوتمرجن Dauttmergen وسكورزنجن Schorzingen . وهما معسكران صغيران تابعان لمعسكر نانزويلر . ومن ناحية سعى بوهلر إلى تذليل جميع العقبات التى قد يثيرها قواد المعسكرات ، فشجعهم على الاستثمار فى هذه المشروعات التابعة لوحدة البوليس الخاصة . وفى نهاية أبريل ١٩٤٢ قرر بوهل تعيين قواد المعسكرات كمديرين تنفيذيين لمشروعات وحدة البوليس الخاصة التى أسندت إليها مهمة توفير العمالة المطلوبة لهذه المشروعات نظير مكافآت شهرية مجزية . وحصل قائد معسكر داكاو على مكافأة قدرها ٣٠٠ مارك ألمانى . وفى المرسوم الذى أصدره بوهل فى ٣٠ أبريل ١٩٤٢ قام بتكليف قواد المعسكر ومنفذى المشروعات بمسئوليات محددة . وأقر بوهل مبدأ عاما مفاده أن المسئولية عن إنتاج المصانع المختلفة تقع على عاتق قائد المعسكر وحده ، كما طالبت بضرورة تشغيل المساجين إلى حد الإنهاك دون تحديد للساعات التى يعملونها تاركًا أمر تحديدها إلى تقديرات القائد . فضلاً عن أنه طلب بذل أقصى جهد لاختصار وقت الطابور حتى لا يكون هذا سببًا فى تعطيل المساجين عن الذهاب إلى مواقع أعمالهم .

وأمام اشتداد هجوم القوات الحليفة على الجيش النازى اضطر النازيون إلى تجنيد الشباب الألمانى العامل فى المصانع للالتحاق بصفوف الجيش ، كما حثوا السجناء والمعتقلين على زيادة إنتاجهم فى كل المواقع التى يعملون بها . وأعطت السلطات النازية شخصًا يدعى سوكل Sawckel كل الصلاحيات الكفيلة بتحقيق هذا

الغـرض . وفي يوم ٣١ مـارس ١٩٤٣ أبلغ هذا الرجل هتلر بـأنه جَـنَّـد ثلاثة مـلايين وستمائة ألف عامل أجنبى لتنشيط اقتصـاد الحرب الألمانى . والواقع أن عدد العمـال الأجانب الذين استخدمهم النازيون بلغ خمسة ملايين عامل لم يتطوع منهم لهذا العمل غير مـائتى ألف أجنبى . وانتـهكت السلطات النازية مواثيـق لاهـاى الدولية التى تحظر تشغيل السـجناء ، فشَـغَّلت أكثر من مليون وستمائة ألف سـجين فى مصـانع الذخيرة وإنتـاج السـلاح ، غير أن التغيـر فى مسـار الحرب أملى على النازين اتبـاع سياسـة جديدة إزاء معسكرات الاعتـقال . يقـول بوهـل فى بيـان أرفقـه بالمرسوم الذى أصـدره فى ٣٠ أبريل ١٩٤٢ :

"من الواضح أن الحرب غيَّرت شكل معسكرات الاعتقال ، كمـا غيَّـرت طريقتنا فى تنظيم الحبس ، حيث إن القبض على السجناء لم يعد ذا أهمية قصوى حيث أصبح لزاماً علينا تركيز جهودنا على المجال الاقتصادى . ولهذا يتعين علينا اتخاذ الإجراءات اللازمـة لتـحويل معـسكرات الاعتـقال يومـيا من هـدفـها السياسـى المحض مثلما كان الحال ، كما تعين علينا التواؤم مع الواجبات الاقتصادية " .

ومنذ ذلك الوقت تضـافـرت جـهود ألمانيـا النازية للزج بأكـبر عـدد من النـاس فى معـسكرات الاعـتـقال لاسـتنفـاد طاقـتهـم فى العمل المضـنى واسـتـنزافهـا حـتى الموت . وكانت إدارة وحدة البوليس الخاصة تؤجر سجناء المعسكر عن بكرة أبيهم إلى أصحـاب مصانع الذخيرة لقاء مبالغ مالية يدفعونها لها .

ومع نهاية الحرب ارتفع عدد المعسكرات الفرعية فى داكاو إلى ١٦٥ معسكراً أغلبها فى باڤاريا العليا فى ورتمبرج Wurttemberg والتيرول Tyrol وفورارلبرج Vorarlberg وسالزبورج Salzburg والنمسا العليا وستيريا Styria وكارينثيا Carinthia . وقد نشـأت معظم هذه المعسكرات عام ١٩٤٤ - ١٩٤٥ لمساعدة الصناعات الحربية على الازدهار . علماً بأن السلطات النازية سـمحت لبعض شركات خاصة صغيرة باستئجار عدد معين من السـجناء . غيـر أن أهم جمـاعات السـجناء كانت مـوجودة فى منطقة أوجسـبرج بفرسى Augsburg - Pfersee ، وقد تكونت فى بداية عام ١٩٤٢ حيث بلغ متوسط عدد

العاملين فى مصانع مسرشميدت Messerschmidt لصناعة الطائرات ١٥٠٠ عامل ، وفى ألاخ Alpach بلغ متوسط عدد السجناء العاملين فى مصانع ب . إم . دابليو لصناعة الطائرات ٣٨٠٠ سجين إلى جانب معسكرات العمل التابعة لمنظمة تودت Todt وهى معسكرات كوفرنج Kaufering التى تحمل أرقام ٣ و ١١ و ٧ ، حيث تراوح متوسط العاملين فيها من ١٢٠٠ إلى ٢٠٠٠ سجين . وقد تكونت هذه المعسكرات فى نهاية عام ١٩٤٤ ، وكذلك المصانع فى موهلدوف Muhldoif التى أنشئت فى منتصف عام ١٩٤٤ والتى بلغ متوسط العمالة فيها إلى ٤٣٠٠ سجين يعملون لصالح منظمة تودت ، وبلغ عدد العاملين فى المعسكر رقم (١) فى كوفرنج ٤٣٠٠ سجين والمعسكر رقم (٤) ٣٠٨٠ سجينًا . وأيضًا تم فى خريف ١٩٤٤ إنشاء معسكر عمل فى ميونيخ – رييم Munich - Riem بلغ متوسط العاملين فيه ألف سجين . ومعسكر بيرجو Burgau فى أوائل عام ١٩٤٥ الذى ضم ألف عامل تابعين لمصانع مسرشميدت . وكذلك كانت هناك أيضًا إحدى عشرة مجموعة من النساء العاملات تحت إشراف معسكر داكاو . والتحقت أكبر هذه المجموعات بالعمل فى مصانع أجفا Agfa فى ميونيخ ويبلغ متوسط السجينات العاملات فيه ٥٠٠ سجينة كما كان متوسط العاملات فى مصانع أوجسبرك فيكيلورك ٤٥٠ نزيلة يعملن فى مجال صناعة الآلات .

ورغم أن السلطات النازية أصدرت تعليمات بضرورة استنزاف السجناء فى إنتاج المصانع ، فإن هذا لم يمنع أفراد هـذه السلطات من استغلال هذه العمالة لنفعهم الشخصى .

وبطبيعة الحال واجه عدد من السجناء محنة كبيرة نظرًا إلى عدم قدرتهم على إتقان الأعمال اليدوية المسندة إليهم . وكانت أعمال السكرتارية بمثابة الحصن المنيع الذى لا يستطيع اختراقه غير أعداد محدودة للغاية ممن يعرفون اللغة الألمانية .

وفى السنوات الأولى من إنشاء معسكرات الاعتقال بلغت ساعات العمل اليومى ما بين عشر وإحدى عشرة ساعة . وفى سنوات الحرب العالمية الأولى تراوحت ساعات العمل بين ثمانى وتسع ساعات يوميا ، غير أنه بحلول شهر نوفمبر ١٩٤٣ قرر بوهل

تحديد فترة العمل اليومى إلى ١١ ساعة حتى فى زمهرير الشتاء ، غير أنه سمح باستثناء العمال الذين تقتضى أعمالهم البقاء خارج المعسكرات (مثل عمال البناء) وأذن لهم بالعودة مبكرًا إلى معسكرات الاعتقال بسبب قصر ساعات النهار . أما عمال المصانع فقد انكبوا على العمل لمدة إحدى عشرة ساعة . وكان أخشى ما يخشاه قواد المعسكر هرب السجناء منه مستغلين انتشار الضباب وسوء الأحوال الجوية ، الأمر الذى جعل هؤلاء القواد يحددون ساعات العمل طبقًا لهذه الأحوال .

كان إنتاج السجناء ضئيلاً إذا قيس بإنتاج المدنيين فى الحياة العادية بسبب شدة إنهاك هؤلاء السجناء المعنوى والجسدى فى مختلف مجالات الصناعة . فهم يتعرضون أبدًا للضرب والزَّجْر ويقفون فى طوابير لا تنتهى ينتظرون النداء عليهم وينتظرون وقتًا طويلاً لتوزيع الطعام عليهم ويسيرون بخطى عسكرية مهما كان الطقس . ورغم ذلك فقد سعى رجال الوحدة الخاصة ما وسعهم السعى إلى حثهم على زيادة الإنتاج وذلك بتحفيزهم على العمل ، فقد أصدر بوهل منشورًا فى ١٥ مايو ١٩٤٣ ينص على مكافأة السجناء المتحمسين للعمل والمتميزين بحسن السير والسلوك عن طريق منحهم فترات استراحة من حبسهم وإعطائهم كميات إضافية من الطعام والتبغ والسماح لهم بزيارة بيت الدعارة الملحق بالمعسكر . ورغم كل هذه الحوافز فإنهم عجزوا عن الوصول بالإنتاج إلى نصف معدل إنتاج العمال المدنيين ، بل إنه فى بعض قطاعات العمل بالمعسكرات وصل معدل الإنتاج إلى مجرد (٥٪) فقط من معدل الإنتاج فى الحياة المدنية . ورغم هذا القصور فقد كانت عمالة السجناء تمثل مصدر دخل مهم فى مجالات الإنتاج الصناعى المختلفة نظير مقابل مادى لا يتجاوز ٠,٣٠ من المارك الألمانى كانت تصرف للسجين حتى نهاية عام ١٩٤٢م . وعلى أية حال كانت بعض الشركات الخاصة فى عام ١٩٤٢ تدفع ما بين ثلاثة إلى ستة ماركات للسجين العامل حسب مؤهلاته . وأيضًا تحسنت بالتدريج أجور السجناء العاملين بحلول أبريل ١٩٤٤ ، وتراوحت بين ١ $\frac{١}{٢}$ إلى ٥ ماركات ألمانية ولم يسمح الجستابو للسجناء بامتلاك النقود ، لضمان عدم استعمالها فى الهرب . ولهذا تقرر تحويل هذه النقود إلى

كوبونات لشراء بعض الحاجيات من مقصف المعسكر، ولكن هذا لم يمثل رصيداً كبيراً لصالح السجين، حيث إنه لم يزد عن مارك ألمانى واحد فى السنتين الأخيرتين من الحرب .

وفى السنوات الأولى من إنشاء معسكر داكاو لم تدر عمالة السجناء دخلاً كبيراً ، حيث إن إدارة هذا المعسكر كانت تلحق عدداً ضئيلاً من السجناء بمواقع الإنتاج فى حين وظفت معظمهم فى إنشاء شبكات الصرف الصحى والزراعة ومحاجر الرمل والحصى. وقد ترك لنا بعض السجناء مذكرات تشير إلى أن الهدف الأساسى من تشغيل السجناء كان إذلال أعداء النظام النازى عقليا وجسديا ، ولم تكن الأدوات اللازمة متوفرة ولهذا كانوا يُسَخِّرُونَ السجناء فى جر المحاريث والعربات المليئة بالحجارة الثقيلة ومعدات تعبيد الطرق . وتعيَّن عليهم قطع جذوع الشجر بأيديهم وأظافرهم بغض النظر عن سوء الأحوال الجوية .

والجدير بالذكر أن السلطات النازية قررت منذ عام ١٩٤٢ – من الناحية النظرية على أقل تقدير – أن تتوقف عن ضرب السجناء وزجرهم وأن تحسن معاملتهم تحفيزاً لهم على زيادة إنتاجهم . ويتجلى لنا هذا من المنشور الذى أصدره جلوكس Glucks مفتش المعسكرات بتاريخ ٨ ديسمبر ١٩٤٣ ، ولكن من الناحية العملية لم يكن هناك أى ضمان لتطبيقه على أرض الواقع .

ولاحظ رجال وحدة البوليس الخاصة تزايد أعداد الوفيات بين السجناء ، الأمر الذى جعلهم يعدون إحصائيات بها بهدف الاقتصاد فى استعمال عمالة السجناء وليس بهدف إنقاذ حياتهم . وفى ٣٠ سبتمبر ١٩٤٣ قام بوهل بإبلاغ هملر بأن متوسط وفيات السجناء فى أغسطس من نفس العام كان أربعين متوفًى من طاقم عمل يتكون من ١٧٣٠٠ شخص ، أى بنسبة ٢٣,٪ فى حين بلغت نسبة الوفيات فى الشهر السابق ٣٢,٪ أى أن نسبة الوفيات انخفضت بمقدار ٠٩,٠٪ . وقدم هملر تهنئة لبوهل على هذا الإنجاز العظيم . وعلى أية حال ارتفعت معدلات الوفيات بين السجناء القائمين ببناء المصانع تحت الأرض . وبوجه عام بلغت نسبة الوفيات بين السجناء حداً مفزعاً .

٦ - ترحيل شحنات المساجين فى القطارات :

فى البداية عندما كان معسكر داكاو يتكون من الألمان كانوا يصلون إلى محطة سكة الحديد فرادى أو فى مجموعات صغيرة . وإلى جانب القطارات كانوا يحملون بالشاحنات أيضًا ، ثم أعقب ذلك ترحيل السجناء فى أفواج كبيرة نتيجة الإجراءات التى اتخذها النازيون ضد اليهود على أساس عرقى بحت . وقد بدأت مرحلة ترحيل هذه الأفواج الكبيرة العدد بعد أن قامت ألمانيا النازية بضم النمسا إليها وتدمير تشيكوسلوفاكيا . وبعد اندلاع الحرب فى سبتمبر ١٩٣٩ بدأ ترحيل أفواج المساجين الذين تم القبض عليهم فى ألمانيا والأراضى المحتلة . وكان النازيون يهدفون من وراء القبض عليهم إلى اجتثاث عناصر المقاومة من ناحية وتوفير أعداد كثيرة منهم لاستخدامها فى الصناعات الحربية من ناحية أخرى ، فضلاً عن أن النظام النازى سعى حثيثًا إلى إبادة الأعراق المنحطة وبخاصة اليهود .

وعندما توالت الهزائم العسكرية فى صفوف القوات النازية ساءت ظروف ترحيل أفواج المساجين وزادت من سوء تدهور أحوالهم تلك الغارات الجوية التى شنتها قوات الحلفاء مما أدى إلى قطع سبل المواصلات الألمانية وتدمير الآلات والمعدات وإلى ترحيل المساجين فى شاحنات البهائم وغيرها من وسائل النقل البدائية دون طعام أو شراب فى رحلات طويلة تستغرق الوقت المديد تحت حراس غلاظ القلب يسومونهم مر العذاب . وكان عدد من السجناء يموتون فى أثناء ترحيلهم بالقطارات والشاحنات .

وفى بداية شهر نوفمبر عام ١٩٤٢ وصل قطار من معسكر ماثوزن يحمل على متنه ما يقرب من تسعمائة سجين ، مات معظمهم بعد وصولهم بوقت قصير نتيجة الإنهاك الشديد وتدهور أحوالهم المعيشية .

وفى نوفمبر عام ١٩٤٢ وصل عدد من السجناء الروس والبولنديين من دانزج - ستاتوف Dansig - Stuttof . ويقول شاهد عيان اسمه جوز Joos إن منظرهم كان أبشع ما رآه فى حياته . واستغرقت هذه الرحلة عشرة أيام أمضى المساجين نحو ثمانية منها دون طعام .

وقضى نحو خمسمائة من هؤلاء المساجين نحبهم ، الأمر الذى اضطر حراسهم إلى إلقاء جثثهم خارج الشاحنات . وتحمل ست جثث منها آثار أكل لحوم البشر فقد نهش زملاؤهم لحم بعض أعضائهم حتى ظهرت عظامهم . ثم اتجه بقية زملائهم عرايا كما ولدتهم أمهاتهم إلى الاستحمام تحت الدش فى موكب كئيب مفزع وهم مجرد جلد على عظم . وقد مات معظمهم فى غضون أسابيع قلائل .

وفى ٢ يولية ١٩٤٤ غادر القطار محطة كومبيين Compiegne فى فرنسا ليصل إلى داكاو بعد ظهر الخامس من يولية . وغادر القطار المحطة فى الساعة ٩,٤٥ صباحاً وهو يحمل ٢٥٢١ سجيناً فى عربات بضائع احتوت كل عربة منها على مائة سجين . وكانت التهوية مجرد طاقة تسدها الأسلاك الشائكة فى كل عربة مساحتها ٢ قدم و ٦ بوصات × ١ قدم و ٨ بوصات . ولم يمض وقت يذكر حتى حدث ما لا يحمد عقباه بسبب شدة الحرارة داخل العربات ووقوف القطار المتكرر لفترات طويلة تحت أشعة شمس الصيف الحارقة واكتظاظ العربات ونقص الماء . ففى احدى العربات تملك الهذيان السجناء وأصابتهم لوثة فبدءوا يقتلون بعضهم بعضاً . ولم يبق على قيد الحياة منهم سوى ٢٤ سجيناً اضطروا إلى النوم على جثث زملائهم . ثم لم تمض ساعتان أو ثلاث حتى كان ٧٤ آخرون من زملائهم قد ماتوا أيضا بسبب الحرارة والاختناق والعطش . وعندما وصل قطار الموت إلى داكاو فى الواحدة واثنين وعشرين دقيقة من مساء يوم ٥ يولية كان مجموع الناجين من الموت فى هذا القطار ١٥٣٧ ناجياً . وبذلك بلغ إجمالى المتوفين فى شحنة قطار واحد ٩٨٤ ميتاً .

وإلى جانب سوء المعاملة كان السجناء بعد وصولهم إلى معسكر داكاو يرسلون باستمرار إلى جهات غير معلومة دون تبليغهم بمكان الترحيل أو سببه . وأحياناً لجأ الجستابو إلى ترحيل المساجين المستمر من أجل تفريقهم ومنعهم من تكوين أى جماعات متضامنة قد تكون لها نفس الميول السياسية أو قد يربطها ببعض انتماؤها إلى جنسيات معينة . وقد تم نقل أعداد كبيرة من السجناء فى عام ١٩٤٤ إلى معسكرات أخرى بهدف تحطيم منظمات السجناء السرية . وفى بعض الأحيان تم نقل مجموعات بأكملها من المساجين لتوظيفهم فى تشييد معسكرات اعتقال جديدة وقد

نقلت مجموعة مكونة من خمسمائة سجين إلى معسكر نيونجام فى ٢٦ أغسطس ١٩٤٠ لهذا الغرض .

وعندما تم الإخلاء المؤقت لمعسكر داكاو فى ٢٩ سبتمبر ١٩٣٩ لتشغيل كتيبة توتنكومت Totenkopt تعيَّن على ٢١٣٨ سجينًا التوجه إلى معسكر بوخنوالد ونحو ١٦٠٠ سجين إلى معسكر ماثوزن و ٩٨١ إلى معسكر فلوسنبرج . وكان الباعث الحقيقى لإجلاء معسكر داكاو وترحيل أعداد كبيرة من نزلائه إلى المعسكرات الأخرى هو تشغيل عمالة السجناء فى الصناعات الحربية . وكما أسلفنا كانت هذه العمالة تنتقى من الأشداء والقادرين على العمل فى حين اتجه النازيون إلى التخلص من الضعفاء والمرضى . ونحن نرى أن سلطات معسكر بوخنوالد تشكو إلى سلطات وحدة البوليس الخاصة من طريقتها فى انتقاء فوج قادم من معسكر داكاو وإرسال عدد من الضعفاء إلى معسكرات العمل . ويعطينا التقرير الذى أعدّه الدكتور هوفر Hoover كبير أطباء وحدة البوليس الخاصة والمؤرخ فى ١٥ يولية ١٩٤١ صورة لما حدث . فقد جاء من معسكر داكاو إلى المعسكرات الأخرى فوجان يتكون كل منهما من ألف سجين . يقول التقرير المشار إليه بصدد هذين الفوجين : "كان الفوجان اللذان نقلهما القطار من داكاو يومى الخامس والثانى عشر من يولية عبئًا يثقل كاهل المستشفى وكاهل المعسكر بأسره ، فقد اعترفت السلطات الطبية بأن ٣٤٣ من سجناء داكاو مرضى وأن معظمهم أجريت لهم عمليات جراحية " . وأضاف الدكتور هوفر فى تقريره أن جروحهم كانت شديدة التقيح وأن قروحهم كانت فى حجم كف اليد يعلوها صديد أخضر . فضلاً عن وجود حروق فى أقدامهم من الدرجة الثانية والثالثة . ويضيف التقرير أن ٣٢ سجينًا من هذين الفوجين كانوا يعانون من مرضى السل وتم عزلهم عن زملائهم وأن خمسة منهم لقوا حتفهم بالفعل . وبحلول ٢٤ يولية توفى ٢٤ سجينًا خمسة منهم ماتوا من السل . واتضح أنه لم يكن هناك سجين واحد صالح حقيقة للعمل .

وقام قائد معسكر بوخنوالد برفع هذا التقرير الطبى إلى الإدارة العليا للمعسكرات فى ١٦ يولية ثم أرفق بهذا التقرير مذكرة مفادها أن عدد الوفيات بين المساجين ارتفع إلى ثلاثين وذهب إلى أن ٥٪ من السجناء على أكثر تقدير يمكنهم أداء أى عمل حقيقى بعد أن ينالوا قسطًا من الراحة والاستحمام لمدة خمسة أو ستة أسابيع . وذكر التقرير المشار إليه أن هذين الفوجين ضمًا بعض المساجين الذين سبق ترحيلهم من معسكر بوخنوالد إلى معسكر داكاو لعدم قدرتهم على العمل . ومن المفارقة بمكان أن يُعيد معسكر داكاو ترحيلهم إلى معسكر بوخنوالد رغم ضعفهم وعجزهم عن العمل . وإذا دل هذا على شىء فإنه يدل على المصير البائس الذى ينتظر هؤلاء المعتلين صحيا ، فهم يرحلون من معسكر إلى معسكر ، الأمر الذى استنفد قواهم وأنهكهم حتى الموت .

وعلينا أن نذكر أن برنامج القتل الرحيم امتد ليشمل سجناء معسكرات الاعتقال تحت بند (الإجراء ١٤ ف ١٣) وهو البند الذى ينص على إيداع السجناء غير الأصحاء مؤسسة مجهزة للتخلص منهم . وقد تم تطبيق برنامج القتل الرحيم على مجموعة من أفواج السجناء الذين غادروا معسكر داكاو للالتحاق بمعسكر هارثايم Hartheim بالقرب من لينز Linz فى النمسا فى الفترة من ١٩٤٢ حتى ١٩٤٤م . وقد تمكَّن الباحثون من معرفة أعداد هؤلاء التعساء الذين طبق عليهم برنامج القتل الرحيم وتواريخ تنفيذه (ويتراوح عددهم من ١٠٠ إلى ١٢٠ شخصًا) ، وهم ينتمون إلى ٣٢ فوجًا (٣١ فوجًا فى عام ١٩٤٢ وفوج واحد فى عام ١٩٤٤) ، ويبلغ مجموع الذين تمت إبادتهم من معسكر داكاو بهذه الطريقة ٣١٦٦ سجينًا .

وكما قلنا اتخذت السلطات النازية الإجراءات ضد من اعتبرتهم أعراقًا منحطة مثل البولنديين والروس واليهود والغجر وذلك بترحيلهم من معسكر داكاو إلى معسكرات الاعتقال فى أوروبا الشرقية . ولكن هذه السلطات ما لبثت بعد مرور عدة سنوات أن أعادت إلى داكاو عددًا كبيرًا من هؤلاء السجناء المرحلين إلى شرق أوروبا للاستفادة القصوى من جهودهم ، وبالإضافة إلى ذلك قام النازيون بإعادة تجميع رجال الإكليروس المبعثرين فى معسكرات مختلفة ثم إلحاقهم بالسجناء المتجهين إلى معسكر داكاو وبعض المعسكرات الأخرى .

وكثيراً ما كان هؤلاء المساجين يَصلُونَ إلى محطات وصولهم جثثًا هامدة أو فى حالة شديدة السوء ، الأمر الذى جعل قواد المعسكرات يشكون إلى الإدارة العامة لمعسكرات الاعتقال . وذكر أحد هؤلاء القادة أن نسبة تتراوح ما بين ٥٪ و ١٠٪ من السجناء وصلوا فى حالة احتضار أو جثثًا هامدة ، فضلاً عن إصابة الكثيرين بحالة من الإنهاك والانهيار الشديد نتيجة الرحلات الطويلة المضنية والترحيل المستمر من معسكر إلى آخر . وعلَّق بعض القواد بأنهم شعروا بالحرج من هذا الوضع المزرى للسجناء لأن الأهالى الألمان رأوا بأنفسهم شقاءهم ، مما اضطر قواد المعسكرات إلى إخفائهم عن العيون بقدر الإمكان . وبعد الحرب مثل روبرت Rupport المتهم بجرائم الحرب أمام محكمة داكاو وقال فى شهادته : " أما بالنسبة إلى شحنات القطارات من السجناء القادمين من معسكرات الاعتقال الأخرى فإنى أعرف أنهم فى أغلب الأحيان بلغوا حالة بالغة السوء ، فقد أسلم الروح سجناء بمجرد وصولهم . وكانت أسوأ الشحنات البشرية سوءًا تلك التى وصلت قرب انتهاء الحرب .

ومن شحنات المساجين التى وصلت إلى معسكر داكاو فى الأسابيع الأخيرة من الحرب تلك الشحنة التى جاءت من معسكر بوخنوالد والتى تعتبر مثلاً على ما جرى . فقد قام النازيون بإرسال مجموعة من السجناء تتكون من نحو خمسة آلاف شخص إلى محطة سكة حديد وايمر Weimar وزجوا بهم فى عربات بضائع مقفولة ، أودع فى كل منها عدد يتراوح من ٧٠ إلى ١٠٠ سجين فى عربة البضائع الواحدة . وتُوفِّى الكثيرون منهم فى أثناء الرحلة نتيجة الجوع والعطش وفظاظة رجال وحدة البوليس الخاصة. وبقى على قيد الحياة من هذه الشحنة الآدمية التى وصلت إلى معسكر داكاو فى ٢٨ أبريل ١٩٤٥ بعد رحلة عذاب استغرقت عشرين يومًا نحو ١٢٠٠ لا أكثر. وبلغ العطش بهم مبلغًا لدرجة أنهم أطفئوا ظمأهم بالتجرع المستمر للماء رغم التحذيرات بخطر ذلك على حياتهم ، ولهذا مات بعضهم بمجرد الوقوف على قدميه ، وتعفَّنت جثثهم لدرجة أن رجال التطهير اضطروا إلى وضع كمامات على أنوفهم .

ومنذ بدء عمليات إجلاء معسكرات الاعتقال وصل إلى داكاو عشرات الآلاف من السجناء فى حالة إنهاك مروِّع . ومات عدد كبير منهم قبل وبعد تحرير المعسكر على يد قوات الحلفاء . وزاد الطينة بلة – كما سبق أن ذكرنا – انتشار وبائى التيفود والتيفوس فى معسكر داكاو . وأخيراً اضطرت السلطات النازية إلى إجلاء سجناء داكاو وترحيلهم إلى معسكر التيرول Tyrol ، ولكن اقتراب القوات الأمريكية المنتصرة من معسكر داكاو أرغم النازيين على التوقف عن عمليات الترحيل التى لا معنى لها !

ورغم عدم معرفة عدد الذين تم إجلاؤهم وترحيلهم إلى معسكر داكاو على وجه اليقين فإن عدد الذين جاءوا إليه من معسكرات أخرى لا يقل عن مائتى ألف سجين . وتم إرسال ما يقرب من ٦٧ ألف سجين إلى أماكن أخرى فى الفترة الواقعة بين ١٨ فبراير ١٩٤٠ وتحرير معسكر داكاو فى ١٩٤٥ ، فضلاً عن أنه تم إرسال ثلاثة آلاف سجين مريض إلى هارثيم Hartheim لإبادتهم . ويزيد من صعوبة إحصاء الضحايا عمليات الترحيل المستمر من معسكر داكاو الرئيسى وفروعه العديدة التى يقع بعضها على مسافة كبيرة من داكاو .

٧ - الأمراض تتفشى بين السجناء :

تفشّت الأمراض بين السجناء فى معسكر داكاو حتى بين الأقوياء والأصحاء منهم بسبب سوء التغذية والإنهاك فى العمل وسوء الأحوال المعيشية . وظلّت هذه الأمراض متفشّية فى هذا المعسكر طوال فترة بقائه التى دامت اثنتى عشرة سنة . وكانت الأمراض البسيطة تتفاقم بسبب إهمال علاجها لتصبح أمراضًا قاتلة وخطيرة . وفى مقدمة الأمراض المنتشرة أمراض الجهاز الهضمى وبخاصة الإسهال والتهاب الأمعاء ، فضلاً عن الأوديما Oedema التى تتسبب فى قروح القدم والالتهاب الرئوى والأمراض الجلدية المعدية . وعانى كثير من السجناء من نقص الوزن نتيجة سوء الظروف المعيشية . وإلى جانب ذلك انتشرت أمراض أخرى فى المعسكر مثل التيفوس والدوزنتاريا والتيفود . وكانت إدارة المعسكر تطلق اسم المسلمين على السجناء الذين أصابهم الذبول والهزال وانطوت أجسامهم إلى نصفين . ويدل تشريح جثث المساجين على حدوث ضمور شديد فى أكباد معظمهم لدرجة أن حجمها صار خمس ما كانت عليه . بالإضافة إلى الضمور الذى أصاب قلوبهم والأذى الذى أتلف رئاتهم .

وفى الفترة من ١٩٣٦ حتى ١٩٣٨ كان السجناء الذين يشكون من الأمراض يخرجون من الطابور فإذا رأى المشرف أنهم يتمارضون ينزل بهم أشد العقاب ويرغمهم على أداء المزيد من التدريبات البدنية المرهقة . وكان المرضى يصطفون فى طابور خاص بهم فى أسوأ الظروف الجوية انتظارًا للكشف عليهم . وكان النازيون يقومون بإبادة السجناء الذين ليس هناك أمل فى شفائهم .

وتلقى سجناء داكاو المرضى العلاج فى البلوك (أ) والبلوك (ب) ولكن هذين البلوكين لم يعودا كافيين لاستيعاب جميع المرضى بحلول عام ١٩٤٠ ؛ ولهذا أضيف إليهما البلوكات أرقام ١ ، ٣ ، ٥ . ومع زيادة عدد السجناء ابتداء من عام ١٩٤٢ اضطرت السلطات النازية إلى توسيع مكان الاستشفاء ليشمل سبعة بلوكات تحتوى على صيدلية ومعمل وحجرات مخصصة لإجراء التجارب . وفى النصف الثانى من عام ١٩٤٤ تم توصيل هذه البلوكات السبعة بممر طويل ، ثم أضيفت إلى هذه البلوكات ثلاثة بلوكات أخرى .

واضطلع أطباء الأسنان بمهمة نزع الذهب من أسنان الموتى . وتولى كبير أطباء وحدة البوليس الخاصة إدارة وتنظيم البلوكات الخاصة بمعالجة المرضى ، ولكن أطباء الوحدة الخاصة تجنبوا مخالطتهم خشية انتقال العدوى إليهم . وفى شتاء ١٩٤٢ - ١٩٤٣ وهى الفترة التى انتشر فيها وباء التيفود فى المعسكر وصلت نسبة الوفيات بين المساجين إلى ٢٥٪ . وعندما بدأت القوات النازية تترنح أمام ضربات الحلفاء القوية شعرت بشدة حاجتها إلى تجنيد المزيد من الشباب الألمانى ، الأمر الذى اضطر معسكر داكاو إلى الاستعانة بخبرة السجناء الأطباء من سائر الجنسيات . وجاء هذا لصالح السجناء الآخرين ، حيث إن كثيراً من الأطباء السجناء كانوا أكثر رفقًا بزملائهم من الأطباء الألمان والنمساويين . ومن دلائل التحسن فى ظروف السجناء المعيشية إنشاء مبنى خاص يقع بين البلوك رقم (١١) والبلوك رقم (١٣) لمعالجة أمراض الصدر . وفى الشهور الأخيرة من الحرب اكتظ هذا المبنى بعدد غفير من المرضى لدرجة أن إدارة المعسكر أخْلَت المرضى منه قبل أن يتم شفاؤهم لاستقبال مرضى جدد .

وبوجه عام تم صرف أربع وجبات أساسية لسجناء معسكر داكاو قامت كبيرة المرضات بتحديد مواعيدها . وكثيراً ما دب الشجار بين المساجين وتقاتلوا على كسرة خبز .

قلنا : إن الأمراض والأوبئة حصدت حياة أعداد كبيرة من السجناء . فالتيفود الذى انتشر فى شتاء ١٩٤٢ - ١٩٤٣ حصد حياة ربع السجناء . ولكن النازيين نجحوا فى السيطرة عليه ، غير أنهم أخفقوا فى السيطرة على وباء التيفوس الذى انتشر فى الشتاء التالى . وقد أدى إخلاء معسكرات الاعتقال الواقعة فى شرق أوروبا إلى ترحيل آلاف السجناء اليهود والبولنديين والمجرميين إلى معسكر داكاو . ومما زاد من تدهور الأحوال الصحية أن الدكتور هنترماير Hintermayer تجاهل انتشار هذا الوباء وحاول التغطية عليه مدعيا أنه محاولة لتلطيخ سمعة الألمان وتعطيل مجهودهم الحربى . ولم يبدأ رجال وحدة البوليس الخاصة فى التصدى لهذا الوباء بشكل جاد

إلا فى كريسماس عام ١٩٤٤ عندما أصدرت برلين أوامرها بإقامة حجر صحى جزئى . وفى أغسطس ارتفعت الإصابات بهذا المرض حيث بلغ معدل الوفيات ثمانية أشخاص يوميا ليرتفع عدد الوفيات إلى ١٥ شخصًا فى شهر نوفمبر ، ثم ثلاثين شخصًا فى شهر ديسمبر . واستمر عدد الوفيات فى الارتفاع فى بداية يناير ١٩٤٥ حيث وصل إلى ١٦٨ حالة وفاة كان ١٢٠ منهم يعيشون فى البلوك رقم (٣٠) .

كانت حالة السجناء فى البلوك رقم (٣٠) يرثى لها ، ففيه تم إيواء العاجزين عن العمل الذين قررت إدارة وحدة البوليس الخاصة إرسالهم إلى حتفهم عن طريق سوء تغذيتهم وانتزاع معاطفهم وأغطيتهم حتى يهلكوا بطريقة طبيعية دون الحاجة إلى قتلهم . وفى شهر ديسمبر ١٩٤٤ قام رجال وحدة البوليس الخاصة بخلع نوافذ البلوكات لتعريض السجناء إلى نزلات برد شديدة والتهابات رئوية . وكما يقول نوهوزلر Neuhausler "الذى حدث ابتداء من نهاية ديسمبر ١٩٤٤ ويناير وفبراير ١٩٤٥ فى معسكر اعتقال داكاو يشكل واحدة من أفظع المآسى فى تاريخ جميع معسكرات الاعتقال" .

ومنذ عام ١٩٤٣ فصاعداً تم تشريح جثث جميع سجناء داكاو الذين ماتوا فى بلوك المرضى أو فى أى مكان آخر من هذا المعسكر . وأيضًا شُرِّحَت جثث الضحايا الذين أجريت عليهم التجارب الطبية . وحتى عام ١٩٤٢ كان المعدل اليومى لتشريح الجثث عشرة كل يوم ثم زاد هذا المعدل بحلول عام ١٩٤٤ ليصل إلى ٢٥ جثة أو أكثر يوميا . وعندما بلغت نسبة الوفيات ذروتها نتيجة اجتياح الأوبئة التى حصدت نحو مائتى أو ثلاثمائة ضحية يوميا ، اكتفى الأطباء بتشريح نماذج قليلة منها على نحو عشوائى . وقد تم تشريح عدد من الجثث تحت إشراف الدكتور بلاها Blaha من بينهم عدد من النساء. وحتى بداية عام ١٩٤٤ كانت النتائج المستخلصة من عمليات التشريح ترسل إلى ميونيخ لدراستها فى المؤسسات العلمية والبحثية .

ورغم أن إدارة معسكر داكاو حذرت السجناء ضد خطر القمل والحشرات فإن هذا لم يُجْدِ فتيلاً ، وبخاصة فى الفترات الأخيرة حيث اكتظ هذا المعسكر بالسجناء . وعجزت ميزانية المعتقل عن توفير مستلزمات النظافة ، حتى أسلوب تطهير المعسكر من

الحشرات لم يؤت ثماره بسبب ما شابه من قصور . فعلى سبيل المثال بعد الانتهاء من تطهير أحد المبانى تعين على نزلائه مغادرته بعد ترك ملابسهم داخل الحجرات . وأرسل جميع السجناء - المرضى منهم والأصحاء - إلى عنبر الاستحمام فى الساعة السادسة صباحًا ليبقوا فيه بلا طعام أو شراب حتى الثامنة مساء ، ثم يعودوا إلى غرفتهم حفاة الأقدام . وقضى الكثيرون نحبهم فى أثناء عمليات التطهير التى كانت تتم فى مبنى فى الركن الشمالى الغربى من المعسكر .

وكان لكل مريض سجين فى معسكر داكاو ملف خاص به ، كما كان هناك سجل تدون فيه الوفيات وأسبابها ، غير أن المعسكر لم يتحر الدقة فى ذكر سبب الوفاة . فهو أحيانًا ينسب الوفاة إلى السكتة القلبية .. مخفيا بذلك سبب الوفاة الحقيقى وهو إعطاء المريض حقنة مميتة . وكما أسلفنا كانت سلطات المعسكر تخدع الزوار بإدخالهم فى غرف عمليات حديثة التجهيزات فيها بطاقات طبية تسجل درجة حرارة كل مريض .

ورغم هذه الصورة القاتمة لحالة المرضى فإنها لم تخل تمامًا من بعض الجوانب الإيجابية والمضيئة . فقد كان الأطباء المرضون والممرضات السجناء يظهرون عطفًا على زملائهم فيقومون بتزوير الوثائق وتغيير سجل درجات حرارتهم لإعطائهم فرصة للنجاة من الإبادة . وفى فترة انتشار وباء التيفوس فى شتاء ١٩٤٣ - ١٩٤٤ مثلاً تضافرت جهود المرضين والممرضات والمشرفين على معسكرات العمل لإنقاذ كثير من المرضى عن طريق تهريب الأدوية إليهم . وكانت هذه المساعدات للسجناء بمثابة بقعة مضيئة فى بحر من الظلام .

٨ - تنفيذ العقوبات وأحكام الإعدام فى السجناء :

وضع إيك رئيس وحدة البوليس الخاصة اللوائح المنظمة لمعسكر داكاو والتى تنهى الحراس والإدارة على الصعيد النظرى عن إظهار أى لين أو تسامح باعتباره علامة ضعف. ويدل الملحق رقم (١٥) لهذه اللوائح على مدى وحشية وشراسة وحدة البوليس الخاصة. ويوضِّح هذا الملحق أنواع العقوبات التى يحق للسلطات النازية إنزالها بالسجناء مثل القبض عليهم وضربهم والحكم بإعدامهم وتسخيرهم فى أداء الأعمال الشاقة ، فضلاً عن أن هذه الوحدة أنزلت بهم عقوبات لا ينص عليها القانون .

وفى الأعوام التالية استن النظام النازى مجموعة كبيرة من اللوائح الخاصة بالعقوبات فى معسكرات الاعتقال . ورغم هذا فقد ادعى هملر أن لوائح معاقبة السجناء تتجنب إهانتهم وتخلو تماماً من عنصر السادية فى حين أن الواقع كان يختلف تماماً ، حيث إن رجال وحدة البوليس الخاصة استخدموا هذه العقوبات على نحو متعسف ولأهون سبب مثل اتهامهم للسجناء بعدم العناية بتنظيف ملابسهم وأحذيتهم .

وعند مخاطبة السجين لأية رتبة من رتب وحدة البوليس الخاصة تعين عليه الابتعاد عنه بثلاث ياردات حتى لا يتهم بمحاولة الاعتداء عليه ، كما تعيَّن عليه الوقوف فى حالة انتباه خالعًا لباس الرأس ومخاطبًا إياه بالعبارة التالية "السجين رقم ٢٧٤٨٢ يتوسل إليكم باحترام" . وكان من عادة الحراس فرض العقوبات الجماعية لمعاقبة الأخطاء الفردية ، سواء كانت هذه الأخطاء حقيقية أو مزعومة . وفى معظم الأحيان كان السجين يعاقب - وهو مكتوف اليدين والقدمين - بخمس وعشرين أو ثلاثين جلدة ، وربما أكثر من ذلك . وكان الحارس الذى يوقع هذه العقوبة يقوم بعد الجلدات بصوت مرتفع ، فإذا أخطأ فى العدد يبدأ الجلد من جديد . ويتم فك قيود السجين المعاقب وعجزه ينزف دمًا فيقوم المرض بوضع صبغة اليود عليه ، ثم يطلب من السجين تحريك ركبتيه لتليين عضلاتهما ، ثم يعترف السجين بأنه يستحق العقاب الموقع عليه ويعلن نوع الجُرْم الذى ارتكبه ، وأحيانًا كانت الجلدات تقع عن قصد أو غير قصد على موضع الكلى ، الأمر الذى اقتضى أحيانًا التدخل الجراحى . ووقع الاختيار على

بعض السجناء من معتادى الإجرام لتوقيع العقوبات البدنية على زملائهم لأن السجناء السياسيين رفضوا القيام بمثل هذه الأعمال الوحشية ، الأمر الذى أثار سخط السلطات النازية عليهم . وبعد إنزال العقوبة البدنية على المذنب كان يزج به فى الزنزانة لمدة ٤٢ يومًا أو ما يزيد ، وقد أمضى النائب الشيوعى السابق فى مجلس النواب الألمانى چورج بولانچيه George Boulanger ثلاثة أعوام متصلة فى زنازين كانت إحداها دون نوافذ . وفى عام ١٩٣٣ بلغ عدد الزنازين ما بين عشر واثنتى عشرة زنزانة . ولكن مع إقامة المعسكر ارتفع عدد الزنازين إلى نحو خمسين أو ستين زنزانة دون نوافذ . وكانت آخر ثكنة شيِّدت قادرة على استيعاب ١٢٠ سجينًا .

ومن أخف أنواع العقاب حبس السجين حبسًا انفراديًا فى زنزانة مزودة بألواح خشبية ينام عليها . وأحيانًا كان السجين يمنع من الرقاد إلا فى أثناء الليل . وكانت إدارة السجن تصرف له الوجبة المعتادة من الطعام وربما أعطته وجبة ساخنة كل أربعة أيام ، أما العقوبة الأغلظ فتمثلت فى الزج بالسجين فى زنزانة دائمة الظلام وإنقاص وجبته ، بل وحرمانه أحيانًا من الطعام لفترات متفاوتة . أما العقوبة القصوى فتمثلت فى الزج بالسجين فى زنزانة شيِّدت خصيصًا لمنعه من الرقاد أو الوقوف ، الأمر الذى أدى إلى الانكماش على نفسه وطيها نصفين طيلة الوقت . وبعد قضاء أربع وعشرين ساعة فى هذا الوضع المنكمش دون أن يذوق الخبز والماء كان يُعاد إلى زنزانة عادية يقضى فيها ليلة واحدة فقط يستطيع فى أثنائها الرقاد الطبيعى على ألواح الخشب ، لتبدأ من جديد دائرة التعذيب الجهنمية المتمثلة فى اضطرار السجين إلى ثنى جسده نصفين بسبب ضيق الزنزانة ، وحتى يبثوا الرعب والفزع فى قلوب السجناء وإمعانًا فى تعذيبهم كان الحراس يتحرشون بكلاب الحراسة حتى تستمر فى النُّباح وتحرم السجناء من أن يذوقوا طعم الراحة ، كما تعمَّدوا سَكْب الشربة على أرضية الزنزانة حتى يضطر السجين إلى لعقها وهى مسكوبة على الأرض .

وقبل اندلاع الحرب العالمية الثانية مَارَس معسكر داكاو فى عهد رئيسه لوريتز Loritz أبشع أنواع العقاب البدنى على نحو متكرر . وفى عام ١٩٣٦ استحدث النازيون نوعًا

من العقاب البدنى يُطلق عليه "الشجرة" أو "العامود" كان يوقع فى أيام محددة مرتين كل أسبوع . وكانوا يوثقون يَدِى السجين خلف ظهره ويربطونه ثم يدلونه من خُطَّاف مثبت فى عامود طوله ثمانية أقدام ، وكان يقف على كرسى خشبى منخفض معلقًا فى عامود ، ثم يزيحون هذا الكرسى بعيدًا عن قدميه فيتدلى فى الهواء لمدة ساعة أو ساعتين يتأرجح فى أثنائهما جسده ، أو يتعرض للعبط على عجزه . وكان التدلى المفاجئ يؤدى إلى كسور فى مفاصله فيعجز عن استخدام يديه لمدة أسابيع . وفى بادئ الأمر كان هذا الأسلوب من العقاب يتم فى فناء المعسكر الذى أقيمت فيه سبعة عمدان فى كل منها أربعة خُطَّافات تكفى لتعليق ٢٨ ضحية فى المرة الواحدة . وفيما بعد وابتداء من عام ١٩٤١ على وجه التحديد أصبحت تدلية الضحايا من الخطافات تحدث فى حجرة الاستحمام بالدُّش التى اتسعت لتعليق خمسين سجينًا مرة واحدة ، ولكن هذا الأسلوب من التعذيب البدنى ألغى عام ١٩٤٣ بسبب شدة حاجة النازيين إلى عمالة السجناء . وهكذا نجد أن أقصى عقوبة بدنية لحقت بالسجناء كانت عن طريق إرغام السجين على الجلوس طاويًا نفسه نصفين لساعات طويلة داخل الزنزانة أو تعليق جسده من أعلى شجرة أو عامود .

وعندما أنشئ معسكر داكاو الجديد كان العقاب البدنى يجرى فى البلوكات أرقام ١٥ و ١٧ و ١٩ التى تعزلها الأسلاك الشائكة عن سائر البلوكات . وقبل عام ١٩٤٠ كان النازيون يزجُّون بالشيوعيين واليهود فى هذه البلوكات الثلاثة ، حيث يسودهم نظام صارم ويلقون معاملة قاسية . وإمعانًا فى إذلال أصحاب العقوبات البدنية لم تسمح لهم سلطات المعسكر بإرسال واستقبال أكثر من خطاب واحد كل ثلاثة شهور . وكان عمل السجناء فى المحاجر وبخاصة محاجر الرمال من أشق الأعمال التى يضطلعون بها .

ولكن هذه العقوبات البدنية ما لبثت أن خفضت عامى ١٩٣٨ و ١٩٣٩ ؛ وبعد عام ١٩٤٠ اكتفت سلطات المعسكر بعقاب المذنبين كأفراد بدلاً من إنزال العقاب الجماعى

بهم . وتم إلغاء العقاب البدنى لفترات طويلة ، ولكنه أُعيد العمل به فى عام ١٩٤٤ ، وأدى احتياج القوات النازية إلى عمالة السجناء إلى إطلاق سراحهم من بلوكات العقاب البدنى .

وكثيراً ما كان يعن لرجال وحدة البوليس الخاصة التنكيل بالسجناء واستحداث عقوبات من عندياتهم لا وجود لها فى نصوص اللوائح والقوانين مثل إرغام بعض السجناء على الوقوف فى حالة انتباه على بوابة المعسكر طوال الوقت بعد الانتهاء من أداء أعمالهم فى معسكرات العمل دون غطاء رأس فى أثناء فسحة الظُّهْر والمساء حتى حلول وقت حظر التجول لا يأكلون شيئًا غير جراية الخبز التى تصرف لهم إلى جانب إرغامهم على أداء التدريبات العسكرية المنهكة ؛ فإذا تقاعسوا تعرضوا للضرب . فضلاً عن نقلهم أحمالاً ثقيلة من الحجارة والأسمنت وجرّ العربات الثقيلة ونقل مواد البناء من مكان إلى آخر ثم إرجاعها إلى مكانها الأصلى وحَفْر الحُفَر ثم ردمها .

كان النازيون فى معسكر داكاو يتفننون فى إذلال السجناء فكان بعضهم يلقى بالطعام على الأرض لإرغام السجناء الذين يتضورون جوعًا على الزحف على بطونهم لالتقاطه بأفواههم . وأحيانًا أخرى كان الحراس يضعون الطعام على أيديهم ، ثم يطلبون من السجناء الزاحفين على بطونهم التقاطه . وكان آخرون يرغمون السجناء على تلطيخ وجوههم بالبراز . وعندما تجرأً بعض السجناء فى بلوك رقم (٢٥) على الشكوى من سوء الطعام المقدَّم إليهم وعدهم رجل وحدة البوليس الخاصة بإحضار شيء من الخبز والزبد فى اليوم التالى . وأوفى الرجل بوعده ولكنه أحضر إليهم خبزًا ومربًى مختلطين بالبراز على سبيل المزاح .

وكان لبعض الجماعات – وفى مقدمتهم اليهود – نصيب وافر من الإذلال ، فقد أرغمهم النازيون على غناء بعض الأغنيات المنشورة فى صحيفة ستريتشر Streicher المعادية للسامية والتى تصف اليهود بأنهم قمامة وخنازير . وكان يعهد إليهم أداء أكثر الأعمال حقارة ومدعاة للاشمئزاز ويتعرضون للضرب المتواصل .

وأيضًا كان السجناء القادمون من شرق أوروبا وبخاصة الروس يعاملون بقسوة أشد من القسوة التى يعامل بها السجناء الآخرون . ولم تكن معاملة النازيين للإيطاليين أحسن حالاً من معاملتهم للروس . ولكنها على أية حال أفضل من معاملة شهود يهوا الذين اكتفى النازيون بإرغامهم على الوقوف فوق كومة من الرجال ليعترفوا بأعلى صوتهم بأنهم أكبر حمقى ومغفلين فى القرن العشرين . وكان من المألوف أن يكيل النازيون الضربات والإهانات والتنكيل والإذلال لسجناء معسكر داكاو . ولكن الأدهى من كل هذا قيامهم بقتل عدد كبير من سجناء هذا المعسكر وفروعه . وكان الحراس أحيانًا يتسلون بإطلاق الرصاص عشوائيا على بعض السجناء متعللين زورًا وبهتانًا بأن هذا السجين أو ذاك حاول الهرب مثلما حدث للشيوعى فرانز ستنزر Franz Stenzer .

فى مايو ١٩٣٣ عاش فرانز ستنزر لمدة أسابيع على الخبز والماء فى إحدى الزنزانات وأصابه مرض الأوديما وغطّى رجليه لدرجة أنه أصبح عاجزًا عن الجرى لمسافة عشرين ياردة . ونفس الشيء حدث لمحام اسمه الدكتور ألفريد ستراوس Alfred Strauss الذى قتله الحراس يوم ٢٤ مايو ١٩٣٣ بدعوى محاولته الهرب .

دأب النازيون فى معسكر داكاو على قتل عدد كبير من السجناء والادعاء بأنهم ماتوا ميتة طبيعية أو بالسكتة القلبية فى حين أن الحقيقة كانت مغايرة لذلك تمامًا . وقد شرح رجل الوحدة الخاصة مورجن Morgen حقيقة ما جرى فى أثناء محاكمة نورمبرج .

كانت الإعدامات فى سجن داكاو تجرى على قدم وساق وتنفذ فى عدد كبير من الأفراد . وفى ٦ يناير ١٩٤٣ أصدر هملر منشورًا سريا بشأن الإعدام الفردى فى معسكرات الاعتقال ونص هذا المنشور على إعدام الألمان داخل المعسكرات وإعدام الأجانب فى نفس الأمكنة التى يرتكبون فيها جرائمهم حتى يكونوا عبرة لزملائهم . وكان الشخص المحكوم عليه بالإعدام داخل المعسكر يقف على بُعد ياردتين من جدار الإعدام وتركت للسجين حرية الاختيار بين الموت وهو يعطى وجهه للجدار أو الموت وهو يواجه فرقة الإعدام . وتتكون هذه الفرقة من أحد قواد وحدة البوليس الخاصة يرافقه ستة على الأقل من العاملين فيها . وكانت فرقة الإعدام تقف على بُعد خمس ياردات

من الضحية ، وأحيانًا كانت إدارة وحدة البونيس الخاصة تُكَلِّف أحد المساجين بتنفيذ عقوبة الشنق فى زملائه مقابل ثلاث سجائر . وكان تصوير عمليات الإعدام محظوراً كما كان من الضرورى قيام الطبيب بتحرير شهادة الوفاة .

وعندما كانت الإعدامات تحدث خارج المعسكرات كانت تتم فى أماكن منعزلة مثل محجر أو غابة صغيرة . وفى العادة كانت هذه الإعدامات لا تتم أمام الجمهور إلا إذا صدر أمر بأن يكون الإعدام علنيا ، أما إذا كان المحكوم عليه بالإعدام بولنديا أو عاملاً من أوروبا الشرقية فكان يسمح لأصدقائه بالوقوف فى طابور كى يمروا عليه ويروه معلقًا على حبل المشنقة .

كان السجناء فى معسكر داكاو يشنقون ويضربون بالرصاص فى فناء الثكنات وبالقرب من المحرقة. واستمرت هذه الإعدامات حتى الأيام الأخيرة من وجود المعسكر. ورغم أن الباحثين يعلمون تواريخ بعض هذه الإعدامات فإنهم يجهلون تفاصيلها فى أغلب الحالات . وبوجه عام كان الإعدام ينفذ فى بعض الأفراد أو فى مجموعة قليلة العدد من السجناء . ولكن معسكر داكاو شاهد أيامًا دموية وبخاصة يوم ٤ سبتمبر ١٩٤٤ ، ففى صبيحة هذا اليوم تم قتل تسعين ضابطًا روسيًا بالقرب من المحرقة .

والجدير بالذكر أن معظم المحكوم عليهم بالموت كانوا مسجلين فى سجلات المعسكر ، غير أن النازيين قاموا بإرسال بعض الناس من أماكن أخرى إلى معسكر داكاو خصيصًا لتنفيذ حكم الإعدام فيهم . وكانت هناك إعدامات بالجملة لسجناء الحرب الروس – ومعظمهم من القوميسادات – خارج نطاق المعسكر ، وقد تم ترحيلهم إلى هيربرتشاوزن Herbertshausen لضربهم بالرصاص ، ورغم عدم توفر أية تفاصيل دقيقة خاصة بهذه الإعدامات فإن عدد الضحايا بلغ الألوف .

واتبع النازيون أسلوبًا آخر للتخلص من السجناء وتصفيتهم جسديا وذلك باقتيادهم إلى المصحة بحجة الاستشفاء فيها . وفى العادة وقع الاختيار على السجناء غير القادرين على العمل لتطبيق برنامج القتل الرحيم الذى أقره الرايخ الألمانى عليهم . وكان برنامج القتل الرحيم يعرف باسم "١٤ ف ١٣" التابع للقسم (د) فى

الهيئة المعروفة اختصاراً بـ W.V.H.A . وتلقى مسئول وحدة البوليس الخاصة ذات يوم ورقة مكتوباً عليها "يعاملون معاملة خاصة" وممهورة بتوقيع ليبهنشل Lebehenschel ومؤرخة فى ١٠ ديسمبر ١٩٤١م . وجاء فى هذه الورقة أن اللجان الطبية فى سبيلها للوصول إلى المعسكر فى غضون أيام قليلة لتقوم بفرز العناصر غير الصالحة للعمل . ولتسهيل مهمة هذه اللجنة الطبية القادمة قامت إدارة المعسكر بتنظيم سجلات المرضى لعرضها على الدكتور مينيك Menecke العضو البارز فى هذه اللجنة . وقد أدلى مينيك بشهادته فى أثناء محاكمة الأطباء فى ١٧ يناير ١٩٤٧ معترفًا بأن هذه اللجان الطبية لم تكن تتحرك بدوافع طبية محضة ، بل كانت بواعثها عرقية وسياسية حيث إن هدفها كان استئصال شأفة اليهود والمعارضين السياسيين للنظام النازى . وطبقًا لما يقوله الدكتور موثيج Muthig بدأ انتقاء العناصر غير الصالحة للعمل فى معسكر داكاو فى خريف عام ١٩٤١ ، وتولى عملية الاختيار شخص شرير اسمه هيدن Heiden . وغادرت اللجنة الطبية مقر المعسكر فى ديسمبر ١٩٤١ ، وبعد مرور أسابيع قليلة غادرت بالقطار أول شحنة من السجناء المختارين (وهى بالمئات) متجهة إلى محطة قلعة هارثايم Hartheim بالقرب من لينز (وهو معسكر فرعى تابع لمعسكر ماوثاوزن) حيث تم إعدامهم بالغاز السام ، وأيضًا غادرت شحنة أخرى بالقطار مكونة من عدة مئات من المساجين فى يناير ١٩٤٢ ليلقوا نفس المصير .

وكما سبق أن نكرنا أدت عمليات القتل الرحيم المعروفة باسم (١٤ ف ١٣) إلى القضاء على أكثر من ثلاثة آلاف سجين خلال عام ١٩٤٢م . وفى نهاية عام ١٩٤٤ أصدرت مستشارية الفوهرر الأوامر إلى زيريس Ziereis قائد معسكر ماثاوزن بوقف أنشطة القتل الرحيم والاحتفاظ بسريتها . ولكن زيريس قائد المعسكر أعلن فى ٣٠ ديسمبر ١٩٤٤ نيته فى إحياء برنامج القتل الرحيم فى منتصف يناير ١٩٤٥م .

٩ - التجارب الطبية :

عندما أنشئت معسكرات الاعتقال النازية كان الهدف منها فى البداية التخلص من أعداء النظام النازى ومعارضيه ، ولكن فيما بعد خطر للسلطات النازية أن تستفيد من هذه المعسكرات فى تقدم العلوم الطبية الألمانية . ومنذ البداية توفر أطباء وحدة البوليس الخاصة على إجراء التجارب الطبية على السجناء ، الأمر الذى أثار اهتمام السلطات العليا النازية وأدى إلى إقامة مراكز للتجارب الطبية فى معسكرات الاعتقال على قدر كبير من التنظيم تحت إشراف معهد الصحة التابع لوحدة البوليس الخاصة فى برلين الذى تحمّس هملر لإنشائه . وقد أكدت ذلك مئات الوثائق والبيانات التى أدلى بها الشهود فى المحاكمة التى عقدت للأطباء التى بدأت فى ٩ ديسمبر ١٩٤٦ وانتهت فى ١٩ يولية ١٩٤٧م .

قام الأطباء الألمان بإجراء تجارب وحشية على آلاف السجناء من الرجال والنساء والأطفال دون واعز من ضمير أو اكتراث بما انطوت عليه هذه التجارب من فواجع إنسانية . ولم تتكشف تفاصيل هذه التجارب العلمية المفزعة إلا بعد انتهاء الحرب العالمية الثانية والبدء فى تقديم مجرمى الحرب النازيين إلى المحاكمة . وقد استمر إجراء هذه التجارب لعدة سنوات بتوجيه الجيش وإشراف القوات المسلحة النازية ، إلى جانب رجال الصناعة والمنتجين الألمان الذين شجعوا على تجريب بعض المواد الكيميائية المستحدثة على السجناء .

وبطبيعة الحال وفر السجناء فرصة ذهبية لتدريب طلبة الطب . وفى محاكمات نورمبرج لجرائم الحرب النازية اعترف الدكتور بلاها بأن عدداً من التجارب أجرى منذ منتصف عام ١٩٤١ حتى نهاية عام ١٩٤٢ على نحو خمسمائة سجين ممن يتمتعون بموفور الصحة وأن معظم الذين أجروا عليهم هذه التجارب كانوا طلبة فى كلية الطب لا تزيد فترة تدريبهم عن عامين . وبناء على الأوامر التى أصدرها هملر تم ابتداء من شهر مارس ١٩٤١ تخصيص البلوك رقم (٥) لدراسة مرضى السل فى مجموعات كبيرة من المرضى . وخوفًا من وصول العدوى إليهم قام النازيون بعزل هذا البلوك عن

سائر البلوكات . ولم يكن هؤلاء السجناء المرضى من معسكر داكاو وحده ، فقد انضم إلى المرضى الخمسمائة عدد من المرضى القادمين من معسكرات أخرى ، وبعد إجراء التجارب الطبية عليهم وحصول الباحثين على النتائج المنشودة تم ترحيلهم فى قوافل إلى غرف الغاز . ويقول نيف Neff إن كبير الأطباء الدكتور وولتر Wolter وافق على الاحتفاظ بخمسة وثلاثين مريضًا من مجموع المرضى بالسل البالغ عددهم خمسمائة مريض .

تجارب على المصابين بمرض الملاريا :

بدأ البروفيسور كلاوس شلنج Klaus Schilling أبحاثه حول مرض الملاريا عام ١٨٩٨م . وقد تخصص هذا الطبيب فى أمراض المناطق الاستوائية وسبق له العمل فى إيطاليا والمستعمرات الألمانية فى قارة إفريقيا . وقد أهدته مؤسسة روكفلر الأمريكية ومؤسسة كاهن Kahn فى باريس بالمال اللازم لإجراء أبحاثه وتجاربه . كان كلاوس يشغل وظيفة أستاذ الطفيليات فى كلية الطب بجامعة برلين ، ثم تعرَّف على هملر الذى جَنَّده لمواصلة أبحاثه الطبية فى معسكر داكاو واستحداث دواء من شأنه أن يعطى الجسم البشرى مناعة من الإصابة بمرض الملاريا .

وكانت مؤسسة أبحاث الملاريا التى اعتنى بتنظيمها عناية فائقة محط أنظار الزوار . فهى على قدر عظيم من النظافة والترتيب والنظام ، وكان يحتفظ ببعوض الملاريا الذى أحضره من مستنقعات بونتين Pontine فى إيطاليا ومن منطقة القرم فى أقفاص صغيرة . وكان الدكتور شلنج يختار حقول تجاربه من السجناء ، وساعده فى ذلك الدكتور براخت Bracht ثم الدكتور بلوتنر Plottner ، وكان يختار نوع البعوض الذى يهاجم ضحاياه ، ثم ينتظر ليرى النتيجة . وكان يراقب عن كثب وبصورة دائمة المريض الذى يتعرض لهجوم البعوض والتطورات التى تطرأ على حالته الصحية . وكانت غالبية اختياراته تقع على مجموعة كبيرة من رجال الإكليروس البولنديين تتراوح أعمارهم بين عشرين وخمس وأربعين سنة .

وقد أعد الدكتور إيوجين أوست Eugene Ost من لوكسمبرج الذى كان يعمل مسجلاً فى مؤسسة الملاريا قائمة تضم نحو ألف ومائة سجين أجريت التجارب عليهم. وقد أعدّ هذا الطبيب هذه القائمة سراً ويعد لأى شديد ولكنه قام بتدميرها قبل تحرير معسكر داكاو ووقوعه فى يد الحلفاء . وتحتوى هذه القائمة على تاريخ إجراء كل تجربة إلى جانب معلومات مفصّلة عن كل مريض . ويتضح لنا من هذا السجل أن الدكتور شلنج مسئول مسئولية مباشرة عن وفاة عشرة سجناء . أما الضحايا الآخرون فقد ماتوا نتيجة الأمراض الأخرى .

وقد أولى مسئول وحدة البوليس الخاصة اهتماماً عظيماً لتجارب الدكتور شلنج . وبعد قيامه بزيارة مؤسسة الملاريا بصحبة الدكتور كونتى Conti قال للمرضى ذات يوم : "أبنائى إن الخدمة التى قدمتموها إلى الوطن فى مثل عظمة الخدمة التى يقدمها جنودنا على جبهة القتال ، ولن أنساكم عندما يحين وقت الإفراج التالى عن السجناء" وبطبيعة الحال حنث هذا المسئول الألمانى بوعده .

وفى المحاكمة التى أجريت للأطباء فى عام ١٩٤٧ اتهم كل من كارل براندت Karl Brandt وهاندلوزن Handlosen وشرودر Schroder وجيبهاردت Gebhardt وبلوم Blome ورودلف براندت Rudolf Brandt ومرجوسكى Mrugowsky وبوبنديك Popendieck وسيفرز Sievers بالاشتراك مع الدكتور شلنج فى إجراء التجارب على المساجين . وقد حكم على شلنج بالإعدام ونفذته محكمة مجرمى الحرب فى داكاو . وكان شلنج فى الرابعة والسبعين من عمره عند تقديمه إلى المحاكمة حيث اعترف بأن المرضى الذين قبلوا إجراء التجارب عليهم لم يكونوا من المتطوعين ، ولكنه زعم أن هدفه كان خدمة الجنس البشرى ، كما أعرب عن أسفه لاضطراره إلى إيقاف أبحاثه ومجهوداته .

التجارب الخاصة بالارتفاعات الكبيرة :

كانت هذه التجارب السالفة الذكر ، وكذلك تجارب تجميد الدم أو تجليطه عند درجة حرارة منخفضة من أقسى التجارب التى أجريت على السجناء فى معسكر داكاو . وقد لعب الدكتور راسشر Rascher دوراً بارزاً فى إجراء هذه التجارب الأخيرة التى أجريت فى الفترة بين مارس ١٩٤٢ ومارس ١٩٤٣ ، وأيضاً اشترك فى إجراء مثل هذه التجارب كل من الدكتور روف Ruff والدكتور رومبرج Romberg والدكتور ويلتز Weltz . وقد شغل ثلاثتهم على التوالى المناصب التالية : مدير المعهد الطبى فى مؤسسة تجارب الفضاء ، ورئيس مؤسسة تجارب الفضاء ، ورئيس معهد طب الفضاء فى ميونيخ . وكانت هذه التجارب تهدف إلى معرفة ما يحدث لملاحى الفضاء إذا تحطمت كبائن طائراتهم التى تُحَلِّق على ارتفاع شاهق ، وماذا يحدث أيضاً إذا تعرَّض ملاحو الفضاء لمدة ثوان قليلة لانخفاض الضغط ونقص الأوكسچين . وسعى الباحثون فى هذا المجال إلى إيجاد مختلف الطرق الممكنة لإنقاذ حياة مثل هؤلاء الملاحين ، الأمر الذى اقتضى منهم بناء غرف ذات ضغط منخفض فى معسكر داكاو حتى يتمكن الباحثون من دراسة ردود فعل ملاح الفضاء عندما يسقط من ارتفاع شاهق ومن اكتشاف طرق إنقاذه .

وُلد سيجموند راسشر Rascher عام ١٩٠٩ وعمل طبيباً على البواخر وكان نازياً شديد التعصب لدرجة أنه فى عام ١٩٣٩ أبلغ عن اعتراض والده الطبيب فى هامبورج على النظام النازى . وعاشر هذا الرجل امرأة تكبره بخمسة عشر عاماً تزوج بها فى عام ١٩٤١م . وكان هملر يعرف هذه المرأة الطموحة التى قدمت زوجها إليه تحدوها الرغبة فى اعتلاء زوجها أرفع المناصب . وكان سوء راسشر لا يقل عن سوء زوجته ، فهو يفتقر إلى الواعز الأخلاقى تماماً ويتظاهر بالعطف على السجناء الذين استغلهم دون واعز من ضمير لمصلحته الخاصة ومصلحة عائلته . كما أنه استغل صلته الوثيقة بهملر إلى أقصى حد ممكن . وكان كثير التشاحن مع زملائه ورؤسائه لدرجة أن كثيراً منهم رفض التعاون معه فى إجراء التجارب التى يقترحها بسبب نفورهم من أنانيته المقزِّزة وضميره الميت .

شجع هملر هذا الرجل على الاستمرار فى إجراء تجاربه على البشر حتى بعد حظرها من الناحية الرسمية . وعندما كان راسشر فى عام ١٩٤١ يعمل فى معسكر لوفتجوك كوماندو رقم (٧) Luftgaukommando فى ميونيخ سطر خطاباً فى ١٥ مايو من العام المذكور يطلب من هملر السماح له بإجراء تجاربه على السجناء قائلاً : " إننى فى هذه اللحظة فى ميونيخ للتدرب على القيام بالاختيار أو الفرز الطبى فى معسكر لوفتجوك كوماندو رقم (٧) . وفى أثناء هذا التدريب الذى لعب فيه الطيران على ارتفاعات شاهقة دوراً مهماً للغاية بسبب قدرة الطائرات البريطانية المقاتلة على ارتفاع أعلى قليلاً (من الطيران الألمانى) عَبَّر الناس عن أسفهم لأننا لم نستطع إجراء التجارب هنا على البشر بحجة أنها تجارب شديدة الخطورة ، كما أن الناس يرفضون التطوع لإجرائها عليهم ، وهذا يجعلنى أسأل سؤالاً غاية فى الأهمية : لماذا لا يتوفر لدينا اثنان أو ثلاثة من عتاة المجرمين المحترفين لإجراء هذه التجارب عليهم ؟! " .

كان راسشر يدرك أن التجارب التى يجريها مميتة ولها أوخم العواقب، فهو يقول: "كنت أشترك فى إجراء التجارب التى من الواضح أنها قد تؤدى إلى الموت". وأضاف أن هذه التجارب بالغة الأهمية ولا يمكن إجراؤها على القردة ، (حيث إنه تبيَّن فشل إجراؤها عليها) نظراً إلى الاختلاف الكامل فى الظروف والملابسات" ، ثم استطرد قائلاً : إن أصحاب العاهات العقلية يصلحون لإجراء هذه التجارب عليهم .

وقد وجد طلب راسشر استجابة ، فقد تلقَّى من مساعد هملر واسمه رودلف براندت Brandt خطاباً يبلغه فيه بالموافقة على طلبه بوضع السجناء اللازمين لإجراء التجارب الخاصة تحت تصرفه . وفى ٢١ مارس من العام المذكور قام هملر بإبلاغ براندت بموافقته على إجراء هذه التجارب شريطة اشتراك راسشر فيها . ومن ناحيته قام راسشر بانتظام بإبلاغ هملر بنتائج أبحاثه ، وأرسل إليه خطاباً فى الخامس من أبريل يدعوه إلى الحضور لمشاهدة إحدى تجاربه معبراً عن ثقته بأنها سوف تثير بالغ اهتمامه .

واختارت وحدة البوليس الخاصة معظم ضحايا راسشر من اليهود والروس والبولنديين والألمان . وفى محاكمات نورمبرج لجرائم الحرب أدلى نيف Nef بشهادة مفادها أن عدد الذين أجريت عليهم التجارب تراوح بين ١٨٠ و ٢٠٠ سجين لم يزد عدد المتطوعين منهم عن عشرة، مضيفًا أن نحو أربعين منهم لم يكن محكومًا عليهم بالإعدام. وفى خلال هذه التجارب تُوفِّى ما بين سبعين وثمانين سجينًا .

واتضح فى أثناء محاكمة الأطباء فى معسكر داكاو أن السجناء الذين أجرى عليهم راسشر تجاربه ينقسمون إلى مجموعتين مختلفتين : مجموعة أولى تتكون من عشرة إلى خمسة عشر سجينًا يعرفون فى معسكر داكاو بأنهم "مرضى للعرض" أو حقول تجارب دائمة ، وكان معظمهم تقريبًا من الألمان المحبوسين فى داكاو بسبب إجرامهم العتيد . وكانت سلطات هذا المعسكر تضعهم فى مكان واحد وتعتنى بتقديم الغذاء الطَّيِّب لهم . والجدير بالذكر أن إصابة واحدة لم تلحق بأى منهم فى أثناء إجراء التجارب عليهم . أما المجموعة الثانية فكانت تتكون من مائة وخمسين إلى مائتى شخص تختارهم وحدة البوليس الخاصة بطريقة عشوائية لإخضاعهم للتجارب بالإكراه . وقد أفضت التجارب إلى وفاة ما بين ٧٠ و ٨٠ منهم .

وأرفق راسشر بخطابه المؤرخ فى ٥ أبريل ١٩٤٢ أول تقرير له وصف فيه كيفية إعادة الحياة للخاضعين لتجاربه عندما كان ملاح الفضاء يسقط من ارتفاع يقل عن خمسة أميال . وأضاف قائلاً : إن التجربة أدت إلى الوفاة عندما كان السقوط يحدث من ارتفاع يزيد عن ستة أميال ونصف . كما يضيف التقرير وفاة سجين يهودى ونتائج تشريح جثته بعد مرور نصف ساعة فقط على وفاته . يقول راسشر فى هذا التقرير : "تطورت التجربة الثالثة تطورًا غير عادى . ونظرًا إلى أننى كنت أقوم بإجراء هذه التجارب بمفردى ، فقد استدعيت طبيب المعسكر التابع لوحدة البوليس الخاصة لمشاهدتها . وكانت هذه التجربة تتلخص فى حرمان السجين (وهو يهودى بصحة جيدة فى السابعة والثلاثين من عمره) من الأوكسجين لفترة محددة على ارتفاع سبعة أميال ونصف .

واستمر تنفس الضحية لمدة ثلاثين دقيقة. وبعد أربع دقائق بدأ الضحية يتصبب عرقًا ويهز رأسه كما يهز الكلب ذيله. وبعد خمس دقائق ظهرت التشنجات على عضلات جسمه ، ثم أخذ تنفسه فى التسارع لمدة ست أو سبع دقائق ، ثم فقد الضحية وعيه وأخذ تنفسه يتباطأ لمدة تتراوح بين إحدى عشرة وثلاثين دقيقة لينخفض إلى ثلاثة أنفاس فى الدقيقة ، ثم توقف تنفسه توقفًا كاملاً ، وفى نفس الوقت ظهرت عليه زرقة واضحة ثم بدأ الزبد يخرج من فمه" .

وفى ١٨ أبريل من نفس العام أعلن براندت أن هملر طالع تقرير راسشر المؤرخ فى ٥ أبريل وطلب الاستمرار فى التجارب وتبليغه بنتائجها . وفى نفس اليوم قام هملر شخصيًا بالكتابة إلى راسشر ليطمئنه إلى شدة اهتمامه بتجاربه ويشجعه على الاستمرار فى إجرائها على السجناء المحكوم عليهم بالإعدام ، وقرر إلغاء حكم الإعدام على السجين إذا نجح راسشر فى إعادة الحياة إليه والاكتفاء بحبسه حبسًا مؤبدًا فى معسكرات الاعتقال .

وفى التقرير الذى أعدّه راسشر بتاريخ ١٦ أبريل ذكر أنه كرر هذه التجارب أربع مرات بنفس التاريخ وأن السجين واجنر مات فى أثناء إجراء التجارب عليه . ولم يخف راسشر حماسه بهذه التجارب وفخره باهتمام هملر بها . وقد اعترف الدكتور رومبرج Romberg أحد المتهمين فى قضية محاكمة الأطباء بأنه شاهد وفاة ثلاثة سجناء ممن أجرى عليهم تجاربه . قال : " أعرف أن أُناسًا آخرين توفوا فى أثناء غيابى وإنى أقدر عددهم بخمسة أو عشرة أشخاص » .

ولم يصدق راسشر أن هملر سوف يعفو عن السجناء المحكوم عليهم بالإعدام ويخفف عقوبتهم إلى السجن المؤبد إذا نجوا من الموت بعد إجراء التجارب عليهم . فقد أبرق يوم ٢٠ أكتوبر إلى براندت لسؤاله عن مصائر حقول التجارب الروسية والبولندية التى أجرى عليها تجاربه والتى صدرت ضدهم أحكام بالإعدام – وهل ستعاملهم السطات النازية فعلاً بالرحمة . فرد عليه براندت فى اليوم التالى (٢١ أكتوبر) ببرقية تقول إن الرأْفة لا يجوز استعمالها مع الروس والبولنديين .

وفى مايو ١٩٤٢ توقف إجراء التجارب المشار إليها ، وإلى جانب التقارير التى سطرها راسشر عَثَر الباحثون على تقرير مطوَّل يقع فى أربع وعشرين صفحة يحمل توقيعات كل من راسشر وروف Ruff وورومبرج جاء فيه ما يلى :

"تم إجراء عدد كبير من التجارب على السقوط من ارتفاع تسعة أميال ونصف ، الأمر الذى أكد أن هذا الارتفاع يمثل تقريبًا الإمكانات العملية لعمليات الهبوط ... وأيضًا وضع السجين فى ظروف تماثل الظروف المحيطة بالارتفاع البالغ تسعة أميال ونصف وهو يلبس قناع الأكسچين ثم ينزع عنه القناع ويبدأ السقوط .

وكانت هذه التجارب الخاصة بالهبوط من ارتفاعات شاهقة متشابهة . ونورد فيما يلى وصفًا للنتائج الناجمة عن هذا الهبوط ، عندما يصل السجين فى هبوطه إلى مسافة ثلاثة أميال ونصف نراه يسقط صارخًا بعد مضى ١٣ دقيقة . وعندما يصل هبوطه إلى مسافة تتراوح بين ميل واحد وثلاثة أرباع ميل نراه يصرخ بشكل متقطع وتظهر التقلصات على وجهه ويعض لسانه . وعندما يصل إلى مستوى الأرض يبدو فاقدًا لوعيه تمامًا ، ثم يتم ملاحظة ردود أفعاله بعد مضى خمس أو سبع دقائق ، وهكذا دواليك ، كما نلاحظ عدم اتساق إجاباته عن الأسئلة التى تطرح عليه .

وأخيرًا تفحص حالة المريض بعد انقضاء ٢٤ ساعة على إجراء هذه التجربة عليه . ويؤكد التقرير أنه لم تحدث أية وفيات فى أثناء هذه التجربة رغم تكرار إجرائها . وينتهى التقرير باستخلاص الاستنتاجات العملية المتعلقة بإمكانات إنقاذ الطيارين الذين يحلقون فى الجو على ارتفاعات متنوعة .

وفى ١١ سبتمبر ١٩٤٢ قامت وزارة الطيران الألمانى بتوجيه كل من رومبرج وراسشر لعرض فيلم يصور هذه التجارب . ولكن راسشر أصر على ضرورة الاحتفاظ بهذه النتائج سرا حسب التعليمات التى أصدرها هملر . وقد عَثَر الحلفاء بعد انتهاء الحرب على فيلم يصور جميع مراحل التجربة فى منزل راسشر فى معسكر داكاو شاملة تشريح جثة الضحية .

التجارب الخاصة بشدة التبريد فى درجات حرارة منخفضة :

فى صيف عام ١٩٤٢ ألح هملر على ضرورة إجراء التجارب الخاصة بتبريد جسم الإنسان نظراً إلى أهميتها للجيش وسلاح الطيران والبحرية . ولهذا نراه يكلف راسشر بمهمة معرفة الوسائل التى يستخدمها سكان بحر الشمال فى إنقاذ الركاب الذين تتحطم سفنهم ويجدون أنفسهم فى درجات حرارة شديدة الانخفاض . وركز راسشر أبحاثه على كيفية بعث الدفء فى الكائنات الحية والطرق الشائعة المستخدمة فى هذا الشأن .

ومن ناحيته رأى هملر أنه ينبغى على السجناء الخضوع لهذه التجارب الخاصة بالتبريد وخصوصًا بعد الخسائر الفادحة فى الأرواح التى تكبدتها القوات النازية فى شرق أوروبا وسقوط الآلاف من الجنود الألمان صرعى فى ميدان القتال .

غير أن رومبرج كان عازفًا عن الاشتراك مع راسشر فى العمل بسبب ما لاحظه عليه من قسوة واحتقار للحياة الإنسانية . واقترح راسشر أن يتولى الدكتور هولز لوهنر Holz Lohner سلسلة من البحوث يجريها بالاشتراك مع كل من الدكتور راسشر والدكتور فينك Finke . وقام تفتيش الصحة فى لوفتواف Luftwaffe (سلاح الطيران) بتوجيههم إلى دراسة الطرق التى تستخدم لإنقاذ الطيارين الذين تسقط طائراتهم فى مياه بحر الشمال المتجمدة ، ويصلون إلى حافة الموت من جراء شدة البرودة . وكان الهدف من وراء هذه التجارب معرفة المدة التى يمكن للإنسان أن يتحمل فيها الرطوبة والبرودة ومعرفة درجة الحرارة التى يمكن عندها إعادة الحياة إلى شخص يموت من شدة البرودة والطرق اللازمة لتحقيق هذا . وبناء على هذه المعلومات يتم تصميم الملابس التى يرتديها الطيار وأجهزة طائرته .

قام راسشر بتصميم دبابات خاصة فى داكاو مساحتها مترين × مترين ، ثم بدأ إجراء تجاربه على مجموعة من المتطوعين يختارون من بين المجرمين . وأرسل التقرير الأول عن هذه التجارب إلى هملر بتاريخ ١٠ سبتمبر ١٩٤٢ ، وشرح راسشر فى تقريره كيف وضع هؤلاء السجناء فى الماء وهم يرتدون ملابس الطيارين . وكانوا يوضعون فى

هذا الماء فى أوضاع مختلفة دون غمس بعض أعضاء أجسامهم فى هذا الماء . يقول التقرير فى هذا الشأن : "خلال هذه التجارب عندما وصلت درجة حرارة جسم السجين إلى ٢٨ سنتيجراد كان من المؤكد أن يموت رغم كل المحاولات التى تبذل لإنقاذه . وفى الرد الذى بعث به هملر إلى راسشر فى ٢٢ سبتمبر ١٩٤٢ أصر على بذل الباحثين قصارى جهدهم للحصول على تدفئة الجسم السريعة بما فى ذلك تدفئة الحيوان ، وكذلك الحصول على الأدوية" .

وقام فريق العمل المكون من هولز لوهنر وفينيك وراسشر بتقديم تقرير مكون من ٣٢ صفحة إلى برلين يوم ١٠ أكتوبر من العام المشار إليه ، وأرفقوا بهذا التقرير خطابًا أرسله راسشر إلى هملر . ويعتبر هذا التقرير وذلك الخطاب بمثابة الأساس الذى نظمت هيئة لوفتواف للخدمة الصحية فى نورمبرج حلقة بحثية حوله . وأعلن راسشر نيته فى المضى فى إجراء التجارب بمفرده بسبب رحيل زميليه عن داكاو منذ أسبوع . ويفيد التقرير بأنه اتضح بعد فحص ست حالات أن ضحية التجربة أسلمت الروح إذا انخفضت درجة حرارتها ، وتراوحت بين ٢٤,٢ و ٢٥,٧ سنتجراد ، فضلاً عن أن التقرير أورد وصفًا لموت السجين الخاضع للتجريب عندما يعطى ٢٥, ملليجرام من مادة الستروفانتين Strophantine .

وعند إجراء هذه التجارب فى نورمبرج لم يعترض أو يحتج على إجرائها أحد من مئات الحاضرين . وكذلك لم يَتَفَوَّه واحد منهم بكلمة امتعاض أو اعتراض عندما قام الباحث هولز وهنر بعرض تجربته للمرة الثانية أمام أطباء وهرماخت Wehrmacht فى ديسمبر ، كما أن واحدًا منهم لم يعبر عن شكوكه ومخاوفه من مثل هذه التجارب .

استمر راسشر فى إجراء التجارب بمفرده من أكتوبر ١٩٤٢ حتى مايو ١٩٤٣ ، وتلبية لرغبات هملر حاول فى تجاربه أن يكتشف عمليات التدفئة عند الحيوان . وكان هملر قد كتب إليه يوم ٢٤ أكتوبر قائلاً : "إننا لا نزال نجد حتى يومنا الراهن أناسًا يرفضون إجراء هذه التجارب على البشر ويفضلون تركهم لشأنهم حتى يموتوا من التجمد . وإنى أعتبر هؤلاء الناس خونة ولن أتردد فى التبليغ عنهم للجهات المسئولة" .

ووضع راسشر خطة بحثية خاصة بتجارب التدفئة بالتعاون مع أربع سجينات كن قد تم إحضارهن من معسكر رافنزبروك للعمل في معسكر داكاو . ولكنه رفض إجراء التجارب على إحدى السجينات عندما تأكد له أنها تنحدر من أصل نوردى . وشعر بالغضب عندما أخبرته السجينة أنها قبلت التطوع للعمل كعاهرة في بيت دعارة المعسكر نظير وعد السلطات لها بإطلاق سراحها بعد العمل فيه لمدة ستة أشهر ويرجع غضب راسشر في حقيقة الأمر إلى انحيازه العرقي الكامل للدم النوردى .

وفي ١٢ فبراير ١٩٤٣ أبلغ راسشر ولى نعمته هملر ردود فعل المساجين الذين يقذف بهم وهم مرتدون وخالعون ثيابهم في الماء الذى يتم تبريده تدريجيا . وعندما تصل درجة حرارة فتحة الشرج إلى ٣٠ سنتجراد يخرج السجين من الماء ليكتشفوا أنه فقد وعيه ، ثم يضعون كلا من السجناء الستة في الفراش بين امرأتين لتدفئته ثم يغطونه ببطانية للإسراع في عملية التدفئة . وأوضح راسشر أن هذه الطريقة كانت أنجح من غيرها في مساعدة السجين على استعادة وعيه ، بل إنها جعلته قادراً على المضاجعة الجنسية . وأوضح راسشر أن التدفئة الناجمة عن ملاصقة امرأة واحدة كانت أسرع من التدفئة الناجمة عن ملاصقة امرأتين له . وكتب راسشر يقول : إن واحداً فقط فشل رغم استخدام هذه الطريقة في استعادة وعيه ولم يعد إليه سوى قدر ضئيل من الدفء ثم مات من نزيف المخ . واقترح راسشر للذهاب إلى معسكر أوشويتز الشهير برفقة نيف لإجراء مثل هذه التجارب على نطاق واسع لعدة أسباب في مقدمتها برودة الجو في أوشويتز واتساع المكان ، ولكن هذا الاقتراح لم يدخل حيز التنفيذ .

وفي الرابع من أبريل ١٩٤٣ أبلغ راسشر براندت بنتائج أبحاثه ، قائلاً : "شكرًا للّه . لقد تجمّد الجو مرة أخرى في داكاو . وتعرّض السجناء في العراء للصقيع لمدة ١٤ ساعة في درجة حرارة تبلغ ست درجات ، أما حرارة أجسامهم الداخلية فقد انخفضت إلى ٢٥ درجة مع لسعة الصقيع . ثم تتم تدفئتهم عن طريق الحمامات الساخنة . وأيضًا أجرى راسشر نوعًا من تجارب التبريد في الهواء الجاف وليس عن طريق الغمس في الماء . وقال في وصف هذا النوع من التجارب : "يوضع

المرء عارياً على نقالة أمام البلوك فى المعسكر ، ثم يغطى ببطانية ، ثم يصبون عليه كل ساعة دلواً من الماء البارد حتى قدوم الصباح " . ولم يسمح راسشر لأى مريض بتغطية جسمه حتى لا يمنع الهواء من أن يقوم بعمله وينخر فى جسده" .

والجدير بالذكر أن التجربة التالية أجريت على مجموعة مكونة من عشرة سجناء يعتقد نيف أن ثلاثة منهم قضوا نحبهم . كان السجناء يوضعون فى العراء من الساعة السادسة مساء حتى التاسعة صباحاً ، وهم يعانون معاناة مروعة . ورفض راسشر تخديرهم للتخفيف من آلامهم . ولكنه اضطر إلى تخديرهم بسبب صرخات ألمهم العالية التى منعته من الاستمرار فى إجراء التجارب عليهم . وكان أفظع التجارب تلك التى حضرها نيف والتى أجريت على ضابطين روسيين . فقد تم اقتيادهما من محبسهما وإلقاؤهما عريانين فى وعاء ماء نحو السادسة صباحاً واستمرا يقاومان لمدة خمس ساعات تقريباً . وعندما حاول نيف وشاب بولندى تقديم العون لهذين البائسين بإعطائهما مخدر الكلورتورم ثارت ثائرة راسشر وصوب مسدسه نحوهما . غير أن الدكتور رومبرج شكك فى صحة هذه الرواية لأنه رأى أن عملية تجميد المريض سوف تؤدى إلى تجميد أطرافه وبالتالى إلى عجزه عن الإتيان بأية حركة أو النطق بأية كلمة بعد مضى عشر أو عشرين دقيقة من التجمد .

وسواء كانت رواية نيف عن هذه التجربة صحيحة أو غير صحيحة فقد قدر عدد الذين أجريت عليهم مثل هذه التجارب بنحو ٢٨٠ إلى ثلاثمائة سجين . وأجريت على بعض هؤلاء السجناء ثلاث تجارب مما يشير إلى أن مجموع التجارب التى أجريت عليهم بلغ ما بين ٣٦٠ إلى ٤٠٠ تجربة . وفى خلال فترة التجارب التى أجراها الفريق البحثى المكون من هؤلاء : هولز لوهنر وفينيك وراسشر والتى انتهت فى أكتوبر عام ١٩٤٢ . يقال إن عدد السجناء الذين أجريت عليهم تجارب تراوح بين خمسين وستين سجيناً مات منهم بين ١٥ و١٨ سجيناً . ويعتقد أن عدد السجناء الذين ماتوا من جراء هذه التجارب بلغ ٨٠ أو ٩٠ سجيناً .

تجارب تجليط الدم :

فى عام ١٩٣٩ كان راسشر قد بدأ أبحاثه وتجاربه فى داكاو حول بلورة الدم . وشجعته زوجته ، كما شجعه هملر على إجراء هذه التجارب فضلاً عن أن أحد دوافعه كان زيادة دخله . وأراد راسشر استغلال اكتشاف ما كان السجين اليهودى المتخصص فى علم الكيمياء روبرت فيكس Robert Feix قد توصل إليه ، وهو اكتشاف خاص بتجليط الدم اسمه بوليجال Polygal مما يساعد على إنقاذ الكثيرين من جرحى الحرب .

كان راسشر يجرى تجاربه على السجناء الذين ينفذ فيهم حكم الإعدام . وكان أحدهم - وهو قوميسار روسى - يجلس فوق كرسى ثم يطلق رجل وحدة البوليس الخاصة طلقة رصاص على كتفه الأيمن . واخترقت الرصاصة جسده بالقرب من المرارة . وظل الرجل جالساً على كرسيه ثم أسلم الروح بعد مرور نحو عشرين دقيقة . ويصف راسشر التشريح الطبى لجثته والجروح والإصابات التى لحقت برئتيه والأورطى وطريقة تجليط الدم النازف بالبوليجال الذى كان سبباً فى إطالة حياة المصاب بعد إطلاق الرصاص عليه بوقت طويل . وعندما عرف عم راسشر أن ابن أخيه تورط فى هذه التجارب الإجرامية غضب منه غضباً وظل يجادله طول الليل . وأخيراً اعترف راسشر لعمه بأنه سلك الطريق غير القويم ولكن لم يعد بمقدوره الرجوع عنه .

وفى عام ١٩٤٤ تكشفت المخالفات التى ارتكبها راسشر وزوجته ، مثل ضم بعض الأطفال إليها بطريقة غير مشروعة ، إلى جانب اتهام راسشر نفسه بالفساد المالى والتربح من تجاربه. وألقى البوليس الألمانى القبض عليه غير أن هملر تَدَخَّل للإفراج عنه. ولكن البوليس الألمانى استمر فى التحقيق مع راسشر وزوجته ، ثم زج به فى سجن الثكنات التابعة لوحدة البوليس الخاصة فى ميونيخ - فريمان Munich - Freimann ثم فى معسكر داكاو ، الأمر الذى اضطر هملر إلى التخلى عنهما . وقد انتهت حياة راسشر نهاية غامضة ، ومن المحتمل أنه لقى مصرعه فى زنزانته فى داكاو وأنه تم شنق زوجته فى معسكر رافنزبروك .

التجارب الخاصة بالبلغم (والمخاط) :

فى خلال عام ١٩٤٢ و ١٩٤٣ أجريت تجارب مروعة على شفاء العظام وتجددها وعلى زرع الأعضاء واستخدام مادة السلفانوميد فى علاج الجروح . وكانت هذه التجارب تجرى فى عيادة أمراض العظام فى هوهنلشن Hohenlychen الواقعة على مبعدة سبعة أميال ونصف من معسكر رافنزبروك . وفى نفس الوقت أجريت فى معسكر داكاو تجارب لاكتشاف أدوية وتركيبات كيماوية لشفاء العظام .

وفى التجارب الخاصة بالبلغم كان الدكتور والتر Wolter يختار مرضاه من بين رجال الإكليروس من شتى الجنسيات . وتحت إشراف الدكتور شوتز Schurz والكيماوى الحيوى الدكتور كيسويتر Kiesuetter تولى الدكتور باب Pape نقل العدوى إلى رجال الإكليروس فى عنبر الجراحة . وأجريت وسائل متنوعة للعلاج من عدوى البلغم ، ونجح الأطباء فى اكتشاف بعض الأدوية الجديدة لعلاجه .

وكانت وسائل العلاج المستخدمة مفيدة فى شفاء بعض الأمراض الباطنية . وقد أحيط هملر علماً بسير هذه التجارب . فقد رفع إليه الدكتور راويتز Rawitz تقريراً مؤرخاً فى ٢٩ أغسطس ١٩٤٢ مفاده أنه تم تحليل أربعين حالة ، سبع عشرة حالة منها يعانون من البلغم . وبتفتيش منزل الدكتور راويتز تم العثور على ملف خاص بسجين يدعى ناتورسكى ستيفان Natorsk Stefan من مواليد ١٩٠٩ ويحمل رقم ٣٠٣٠٠ ، دخل هذا المريض المستشفى فى ١٠ نوفمبر ١٩٤٢ وخرج منها فى ١٨ يناير ١٩٤٣ . وفى الملف عثر الباحثون على التطور اليومى لمرضى المخاط أو البلغم الذى يعطى للمريض . وبعد دخول المستشفى قام الأطباء بحقن ناتورسكى بكمية من الصديد فى فخذه الأيسر ثم فتح الجراح جسمه وقام بتسجيل كل التفاصيل بدقة شديدة بما فى ذلك الآلام الشديدة التى يعانى منها المريض . والجدير بالذكر أن هذا المريض غادر المستشفى يوم ١٨ يناير ١٩٤٣ بعد أن تحسنت حالته بشكل ملحوظ فى الأيام الأخيرة .

وعند تقديم الأطباء النازيين للمحاكمة كان معظم المشتركين فى هذه التجارب قد اختفوا أو وافتهم المنية باستثناء الدكتور جبهاردت Gebhardt الذى زعم أنه احتج على إجراء هذه التجارب دون جدوى مما دعاه إلى رفع شكواه إلى هملر . وقد وصلتنا معلومات عن أعداد السجناء المستخدمين فى هذا النوع من التجارب عن طريق سجين سياسى يعمل فى التمريض اسمه هنريتش ستوهر Heinrich Stohr الذى أفاد بموت سبعة من عشرة سجناء ألمان فاضت أرواحهم من جراء هذه التجارب ، وأيضًا تُوفِّى اثنا عشر قسيسًا من مجموعة من القساوسة تبلغ الأربعين .

تجارب لتحلية ماء البحر :

جرت هذه التجارب فى الشهور الواقعة بين يولية حتى سبتمبر ١٩٤٤ ومنذ عام ١٩٤١ انصب اهتمام الباحثين على مشكلة الطيارين الذين يشاء حظهم العاثر السقوط من طائرتهم فى عرض البحر واضطرارهم إلى شرب مائه المالح . وقد تمكن كل من الدكتور شافر Schafer والمهندس بركا Berka فى التوصل بشكل مستقل إلى وسيلتين مختلفتين لتحلية ماء البحر . ولكن إدارة الخدمات الفنية رفضت تطبيق أى من هاتين الوسيلتين رغم نجاحهما ، فقد رفضت اتباع طريقة سكافر لأن تنفيذها يتطلب كثيرًا من المواد الخام ، كما أنها رفضت الطريقة الأخرى لأنها رأت فيها خطرًا ، على حياة الطيارين . وحسمًا لهذا الخلاف ومن أجل الوصول إلى حل عملى اقترح الدكتور بيكر - فريسنج Becher - Freysing العامل فى تفتيش الخدمات الصحية على رئيسه البروفيسور شرودر Schroder استخدام سجناء معسكر داكاو كحقول تجارب . واختير معسكر داكاو لما فيه من مبانٍ مناسبة لإجراء التجارب . وطلب شرودر من هملر أن يوافق من حيث المبدأ على إمداده بأربعين سجينًا أصحاء البدن ووضعهم تحت تصرفه لمدة أربعة أسابيع . وكتب الدكتور جراويتز Grawitz خطابًا فى ٢٨ يولية ١٩٤٤ عَبَّر فيه عن رغبته فى أن يكون اختيار السجناء ممثلاً من الناحية العرقية لكل سكان أوروبا . كما أنه رفض اقتراح نيبى Nebe رئيس البوليس الجنائى باستخدام الغجر كحقول تجارب. ولكن هملر قرر استخدامهم إلى جانب استخدام سجناء آخرين من أعراق مختلفة .

وطلب من آلاف الغجر السجناء فى معسكر بوخنوالد التطوع للعمل فى هذا المشروع، فتقدم الكثيرون منهم بطلبات التطوع ظنا منهم أن الأحوال المعيشية فى معسكر داكاو أفضل من معسكر بوخنوالد . وفى داكاو صار البروفيسور بيجلبوك Beiglbock العامل بجامعة فيينا مسئولا عن إجراء هذه التجارب . وتم تنفيذ البرنامج البحثى بدءًا بتقسيم المتطوعين إلى مجموعات متنوعة تتناول غذاء مختلفًا وتتبع كلتا الطريقتين السابق ذكرهما : طريقة سكافر وطريقة بيركا . وقبل البدء فى إجراء التجارب عليهم أعطى السجناء نفس الطعام الذى يعطى للطيارين لمدة عشرة أيام . وفى أثناء التجارب أعطيت المجموعات ٢ ، ٣ ، ٤ تموين الطوارئ الذى يعطى للطيارين الذين يسقطون فى عرض البحر . وكانت هذه التجارب فى العادة تستغرق بين خمسة وسبعة أيام وتصل أحيانًا إلى تسعة أيام .

ويصف لنا أحد الدارسين فى هذه المؤسسة البحثية واسمه ف . بيلوين F. Pillwein سير هذه التجارب ، وانتهت محاكمة الأطباء يوم ٢٠ أغسطس عام ١٩٤٧ بإصدار حكم الإعدام على سبعة من الأطباء المتورطين فى إجراء هذه التجارب الإجرامية . وصدر حكم بالسجن المؤبد على خمسة أطباء آخرين وصلت أحكام أربعة منهم إلى ما بين عشرة وعشرين سنة سجن وتبرئة سبعة متهمين .

١٠ - رجال الإكليروس فى معسكر داكاو :

عندما استولى هتلر على مقاليد الحكم فى ألمانيا النازية لم يتنبه الكثيرون إلى التعارض الكامل بين الفكر النازى والديانة المسيحية . وقبل عام ١٩٣٣ ادعى النازيون نصرة الحرية الدينية ، ولكن النظام النازى لم يسمح لهذه الحرية بحال من الأحوال أن تهدد الدولة الألمانية بالخطر أو أن تتعارض مع مذهب نقاء العرق الجرمانى .

وأعلن هتلر فى كتابه "كفاحى" أنه يتخذ موقفًا محايدًا من الدين ، ولكنه أصر على فصل الدين عن الدولة وطالب الكنيسة بألا تشغل نفسها بحياة الناس الدنيوية التى تقع على عاتق الدولة وحدها .

وبعد استيلائه على الحكم أدلى هتلر بتصريحات عديدة مناصرة للدين المسيحى . غير أنه كان يظهر عكس ما يبطن ، فقد أسر إلى أصدقائه المقربين منه برأيه الحقيقى فى المسيحية وتعارضها الكامل مع عقيدته السياسية وإيمانه بمذهب الاشتراكية القومية. وفى حقيقة الأمر رأى هتلر أنه ينبغى اجتثاث المسيحية واستبدال الاشتراكية القومية بها .وعاب الفوهرر على المسيحية دعوتها إلى الشفقة التى اعتبرها ضعفًا ينبغى استئصاله غير أنه كان يدرك مقدار استمساك الشعب الألمانى بعقيدته الدينية ، ولهذا آثر عدم المواجهة أو الاصطدام بها ، وسعى إلى هدفين أولهما القضاء على الكثلكة السياسية ، وثانيهما إنشاء نظام كنسى إيڤانجيلى خاضع لسيطرة الدولة المركزية . والجدير بالذكر أن الغالبية العظمى من الألمان يدينون بالمذهب البروتستانتى . ورغم شكوك الفاتيكان فى نوايا هتلر تجاه الألمان الكاثوليك (وهم قلة) فإنه قبل خوفًا على مصيرهم عقد اتفاق مصالحة مع النظام النازى فى ٢٠ يولية ١٩٣٣م . ومن ناحيته استفاد هتلر من هذا الاتفاق فى دعم وتعزيز نظامه . والواقع أن هتلر انتهك اتفاقيته مع الفاتيكان بعد مضى خمسة أيام فقط من توقيعها . فقد أصدر على سبيل المثال قانون التعقيم الذى يتعارض مع مبادئ الكنيسة الكاثوليكية .

وابتداء من منتصف عام ١٩٣٣ أقام الرايخ الثالث كنيسة إيڤانجيلية تخضع لسيطرة الدولة التى عينت أسقفًا مواليًا لها اسمه لـ . مولر L. Muller وحتى تتأكد من

خضوع الكنيسة لها أنشأت الدولة عام ١٩٣٥ وزارة الشئون الدينية ، ولكن انتهاج هذه السياسة أسخط عليها كثيراً من رجال الإكليروس الذين عقدوا سنودسا فى مارس ١٩٣٥ أوضحوا فيه الأخطار التى تحيق بالعقيدة المسيحية بسبب ديكتاتورية النظام النازى . ولم يسكت الرايخ الثالث على هؤلاء القساوسة المتذمرين فألقى القبض على سبعمائة منهم .

وفى عام ١٩٣٦ أرسلت الكنيسة الكاثوليكية مبعوثًا إلى هتلر يحتج لديه ضد الاضطهاد الدينى فى معسكرات الاعتقال وممارسات الجستابو القمعية ويطالب بإطلاق حرية التعبير وبخاصة فى الصحافة . وفى فبراير ١٩٣٧ اشتدت مقاومة الكنيسة ضد النظام النازى الذى بلغ ذروته فى نفس العام . وألقى القبض على الكاهن نيمولر Niemoller وزج به فى معسكرات الاعتقال وفى مقدمتها معسكر داكاو . وبعد إلقاء القبض على عدد من الكهنة وفقهاء اللاهوت صدر أمر بإغلاق الجامعات اللاهوتية .

وفى عام ١٩٣٧ شدد النظام النازى النكير على الكنيسة الكاثوليكية فتم إغلاق مدارسها وتنظيماتها وحظر نشاطها . وصادرت الدولة النازية ممتلكاتها ، كما انتزعت أطفال العائلات الكاثوليكية وقامت بتربيتهم بدلاً منها . وللإساءة إلى سمعة الإكليروس الألمانى وجهت الدولة إليهم أبشع التهم وعقدت لهم سلسلة من المحاكمات بهدف تشويه سمعة رجال الكنيسة وإظهار حبهم للمال وإفسادهم للشباب . وهاجم بابا روما هتلر لأنه انتهك الاتفاقية المعقودة بينهما . وأخيراً أصدر البابا مرسومه الشهير عام ١٩٣٧ الذى أدان وثنية الإيديولوچية النازية وممارستها الشريرة .

واستشاط النظام النازى غضبًا من الهجوم البابوى عليه فأعلن أن الكنيسة ألد أعداء الأمة الألمانية وقبض على المئات من رجال الدين وزج بهم فى معسكرات الاعتقال . ولم ينته هذا الصراع المرير بين النظام النازى والكنيسة حتى هزيمته فى الحرب العالمية الثانية . وقد انخرط فى هذه المعركة المستعرة عدد من رجال الكنيسة على رأسهم أسقف مونستر فون جالن Von Galen الذى هاجم الوثنية النازية بعنف وضراوة . ومن ناحيته سعى هتلر إلى تلطيخ اسم هذا الرجل فوصفه بالكاذب والخائن لوطنه .

كما وصفه جورنج Goring بالمخرب والمحرض، وأطلقت عليه الصحافة عدو ألمانيا رقم (١).
وانضم إلى أسقف مونستر فون بريفسنج Von Prevsing أسقف برلين والكاردينال فون فولهابر Faulhaber رئيس أساقفة ميونيخ . ولكن النظام النازى استطاع اجتذاب بعض رجال الإكليروس إليه ، فقد انبرى للدفاع عن هذا النظام أساقفة النمسا فى ١٨ مارس ١٩٣٨ .

وبعد اندلاع الحرب العالمية الثانية خفف هتلر من شدة هجومه على الكنيسة حتى لا يثير سخط المسيحيين عليه . ولكن هذا لم يمنع نفراً من زعماء النازية من التعبير عن عداوتهم الصريحة للكنيسة ، مثلما فعل هملر فى الخطاب الذى ألقاه فى بوسن Posen فى الرابع من أكتوبر ١٩٤٣م . قال هملر : «المسيحيون الحقيقيون يعارضوننا بشكل تلقائى». وللتنغيص على حياة النشطاء المسيحيين كان النازيون يطردونهم من الوظائف ويراقبون تحركاتهم عن كثب وكثيراً ما كانوا يقبضون عليهم ويزجون بهم فى معسكرات الاعتقال . وزجوا بقسيس ألمانى فى معسكر داكاو لأنه قال : إن هناك أناساً أخياراً فى إنجلترا . كما زجوا بقسيس آخر فى السجن لأنه حذّر فتاة ألمانية من الزواج برجل يعمل فى وحدة البوليس الخاصة وينبذ المذهب الكاثوليكى .

وفى الأيام الأولى فى معسكر داكاو سمحت وحدة البوليس الخاصة لقسيس بإقامة قداس أيام الآحاد ، ولكن عدد السجناء الذين حضروا هذا القداس كان قليلاً . ففى نهاية عام ١٩٣٣ لم يحضر هذا القداس أكثر من عشرين شخصاً من إجمالى عدد السجناء البالغ عددهم نحو ٢٧٠٠ سجين . وقد لعب رجال وحدة البوليس الخاصة دوراً نشطاً فى إبعادهم عن حضور الكنيسة . وأقيم أول قداس كاثوليكى هناك يوم ٩ يولية ١٩٣٣م . وما إن حضروا القداس حتى اقتادهم النازيون إلى غابة صغيرة مجاورة حيث وقفوا فى صفين أحدهما يواجه الآخر وأرغموا على البصق فى وجوه بعضهم البعض . ثم يقوم رجال الوحدة الخاصة بصفعهم على وجوههم وضربهم . وكان وضع راعى الكنيسة أصعب حيث شددت الرقابة على كل كلمة يتفوّه بها ، وكل حركة يأتى بها . ومن ناحية المبدأ سمح له النازيون بسماع اعترافات رعيته

ولكن فى حضور رجل من وحدة البوليس الخاصة ليسمع كل ما يقال . فضلاً عن أن النازيين تعمدوا إهانة راعى الكنيسة حتى يتخلى عن أداء مهمته ، ولكن الرجل تحمل الإهانات فى صبر عظيم واستمر فى سماع اعترافات رعيته .

والتجأ النازيون إلى حيلة أخرى لمنع السجناء من حضور القداس . فقد كانوا يرغمون السجناء الراغبين فى الصلاة على العمل المتواصل المنهك لمدة اثنى عشر أحداً إضافيًا . وكان قدامى السجناء ينبهون السجناء الجدد إلى هذه الحيلة ، ولهذا رفض السجناء كتابة أسمائهم فى قوائم الذين يرغبون فى حضور قداس يوم الأحد . ولهذا كان قائد المعسكر يقول لراعى الكنيسة : «هكذا ترى بنفسك أن لدينا جماعة من الكفرة الذين لا يرغبون فى حضور القداس . فلا معنى لحضورك من أجل إقامته» . وبذلك فهم راعى الكنيسة أن مجيئه غير مرغوب فيه .

وكان أول رجل دينى يزج به فى معسكر داكاو دارس لاهوت كاثوليكى من ميونيخ اسمه ويلهلم براون Wilhelm Brawn وصل إلى هذا المعسكر فى ١١ ديسمبر ١٩٣٥ ثم أطلق سراحه ليعود إلى نفس محبسه يوم ١٦ أغسطس ١٩٤٠م .

كانت معاملة النازيين لرجال الدين المسيحى تشبه فى سوئها معاملتهم لليهود . وعندما قام راعى كنيسة دورفجاشتين Dorfgastein فى النمسا بتعليق مذكرة على كنيسته الجديدة تهاجم جرائم النظام النازى تم التبليغ عنه وإرساله إلى معسكر داكاو فى ٣ أغسطس ١٩٣٨ ، واستقبله رجل وحدة البوليس الخاصة على بوابة المعسكر ليصيح فيه : «لم يعد لديك الآن أى نفع حيث إنك لن تستطيع الخروج حيا من هنا» . وأرغم على جر عربة بثلاث عجلات مليئة بالرمل والطوب . كما انتظره نازى ليسومه العذاب ويلقى عليه فى غدواته وروحاته قطعًا من الطوب والخشب ويطرحه أرضًا . ومن فرط الإجهاد فى العمل تحت شمس الصيف الحارقة أصيب الكثير من السجناء بضربة شمس وأصيب الكاهن رايزر Rieser بالعمى لمدة ثلاثة أيام . ودفع الخسف هذا القسيس إلى الاشتباك مع حارسه الذى يضايقه والتغلب عليه ، فصاح هذا الحارس قائلاً : «القس أقوى وأشد مما كنت أظن» . وذات يوم قام حارسه بضربه بالأسلاك

الشائكة فغطت الجروح النازفة بالدم جسده . عندئذ تعالت قهقهة الحارس وقال له متهكمًا : «إنك تشبه المسيح الذى تتبعه . حقًا سوف تكون صورة طبق الأصل منه . التقط الأسلاك الشائكة واصنع لنفسك بها إكليلاً» . وعندما جلس القسيس ووضع إكليل الأسلاك الشائكة على رأسه التفت الحارس إلى اليهود من حوله وقال لهم : «هذه هى الطريقة التى عاملتم بها المسيح ! ولكنه كان يهوديا عفنًا مثلكم» . وأمر النازى اليهود بأن يبصقوا على وجه القسيس الذى أُعطِى ألواح خشب ثقيلة ليحملها مثلما حمل المسيح صليبه .

وبعد إعادة افتتاح معسكر داكاو فى عام ١٩٤٠ كان فريتز سيتز Fritz Seits أول قسيس كاثوليكى يزج به فيه وسط صيحات رجال وحدة البوليس الخاصة : «سوف نقضى على هذه الخنازير الكاثوليكية إلى الأبد» .

ومع انضمام النمسا إلى ألمانيا النازية زاد عدد السجناء من القساوسة الكاثوليك ليلقوا معاملة تشبه فى سوئها معاملة اليهود والشيوعيين وتنهال عليهم الإهانات والشتائم . وسامهم لوريتز قومندان المعسكر مر العذاب .

وحتى شهر ديسمبر ١٩٤٠ ظل جميع القساوسة محبوسين فى البلوكين رقم ١٥ و ١٧ لأجل غير مسمى ، ثم تم توزيعهم على بلوكات أخرى مع سجناء آخرين ، غير أن حياة هؤلاء القساوسة تغيرت تغيرًا كبيرًا عندما أصدرت السلطات النازية فى برلين أمرًا بتجميع كل السجناء القساوسة المبعثرين فى مختلف المعسكرات فى معسكر واحد هو معسكر داكاو . وفى خلال الأعوام التالية أصبح معسكر داكاو أول معسكر التقى فيه آلاف القساوسة من مختلف الملل والنِّحل ومن المراتب الكهنوتية كافة . ووصل القساوسة المحبوسون فى معسكر بوخنوالد إلى معسكر داكاو فى ٧ ديسمبر ١٩٤٠ . وفى اليوم التالى وصل إلى داكاو القساوسة المحبوسون فى معسكرى جوسن Gusen وماثوزن . وفى ١٥ ديسمبر من نفس العام وصل إلى داكاو القساوسة المحبوسون فى معسكر ساشنهاوزن . وبعد تجميع القساوسة فى معسكر واحد تفاوض الفاتيكان مع السلطات النازية ونجح فى إقناعها بالسماح لهم بممارسة شعائرهم الدينية داخل

محبسهم وإسناد الأعمال الأقل مشقة إليهم . وطلبت الكنيسة من النازيين أن يسمحوا للقساوسة بدفن جثث موتاهم . وعلى الرغم من استجابة النازيين لعدد من مطالب الفاتيكان فإنهم أصروا على ضرورة حرق جثث القساوسة بدلاً من دفنها . غير أن تجميع كل القساوسة فى معسكر داكاو كانت له آثاره السلبية فقد حرم ذلك المعسكرات الأخرى من الخدمات الروحية والكهنوتية .

وفى يوم ١٢ ديسمبر ١٩٤٠ تم سحب آخر القساوسة من البلوكين ١٥ و ١٧ وتم الزج بهم فى البلوكين رقم ٢٦ و ٢٨ (وكذلك مؤقتًا فى البلوك ٣٠) . وفى نهاية الأمر تم تخصيص البلوك رقم ٢٨ لإيواء القساوسة البولنديين الذين شكلوا السواد الأعظم من السجناء الكنسيين وتخصيص البلوك رقم ٢٦ للإكليروس من البلاد الأخرى . وبدأ العمل المتحمس لبناء كنيسة صغيرة فى معسكر داكاو يوم ١٥ يناير ١٩٤١ فى الغرفة رقم (١) من البلوك ٢٦ ، وأظهر رجال وحدة البوليس الخاصة اهتمامًا بعملية بناء الكنيسة عندما أعلن هملر أنه سيقوم بنفسه بزيارة معسكر داكاو ، ولكن قواد هذا المعسكر كانوا يضمرون العداء لأى نشاط كنسى . وظل هذا العداء قائمًا حتى تعيين فيس Weiss قائداً لمعسكر داكاو ابتداء من عام ١٩٤٢م . وقد تم بناء كنيسة داكاو الصغيرة فى ٢٠ يناير ١٩٤١ ، ثم أقيم فى اليوم التالى أول قداس فيها . وكان القسيس ب . برابوتسكى P. Prabutski أول من أقام قداسًا فى هذه الكنيسة يوم ٢٢ يناير ١٩٤١ . ولكن المنية وافته بعد مرور شهور قلائل فقد أسلم الروح يوم ٣٠ أغسطس ١٩٤٢م .

وكان رجال الوحدة الخاصة يعاملون القساوسة بالازدراء والتهكم فى أثناء أدائهم القداديس كما كانوا فى خلالها يدخنون السيجار ويبصقون على أرض الكنيسة ويدوسون بأقدامهم على المسابح . وذات مرة انتزع أحد رجال البوليس الخاصة المناولة من يدى القسيس وألقى بها على الأرض وهو يصيح : «إذا كان هذا إلهكم فليأت إلهكم ويساعدكم» .

وبحلول شهر مارس ١٩٤١ تم فى داكاو عزل القساوسة وتطويقهم بالأسلاك الشائكة ولم يسمح للسجناء الآخرين بمخالطتهم . وتم إيصاد الأبواب على القساوسة لمنعهم من الاختلاط بعامة السجناء ، ولكن هذا لم يمنع اتصالهم ببقية السجناء فى أثناء فترات العمل . وبطبيعة الحال أوغر صدور بقية السجناء تمتع القساوسة ببعض الامتيازات مما سبب الوقيعة بينهم وبين السجناء العاديين .

وفى ١٥ مارس ١٩٤١ أصدرت السلطات النازية فى برلين أوامرها بإعفاء القساوسة من أى عمل، الأمر الذى أدخل نوعًا من التحسن فى ظروف معيشة الإكليروس السجناء . وكذلك صدرت الأوامر بإعطائهم فراشًا يماثل فراش رجال وحدة البوليس الخاصة ، كما أسندت إلى السجناء الروس والبولنديين مهمة العناية بمسكنهم . ومن الامتيازات التى تمتع بها القساوسة السجناء أحقيتهم فى الاستيقاظ المتأخر ساعة بعد استيقاظ بقية السجناء ، إلى جانب الاسترخاء فى فراشهم لمدة ساعتين فى فترتى الصباح وبعد الظهيرة ، وبسبب إعفائهم من العمل تمكن القساوسة الكاثوليك من الانصراف إلى الدراسة والتأمل ، وأيضًا سمح لهم النازيون بقراءة الصحف واستخدام المكتبة ، فضلاً عن صرف وجبة طعام كافية لهم . وكانوا أحيانًا يتلقون نحو ثلث رغيف من الخبز يوميا ، كما كان يصرف لهم أحيانًا نصف لتر من الكاكاو فى الصباح وثلث زجاجة خمر يوميا . ويبدو أن هذه الامتيازات ترجع أساسًا إلى وساطة الفاتيكان ، وبين الفينة والأخرى منحت إدارة المعسكر هؤلاء القساوسة الكاثوليك كميات إضافية من الخمر التى لعبت برءوسهم وجعلتهم يتراقصون مما أعطى النازيين فرصة للتشهير بهم والتشنيع عليهم .

وفى ١٩ سبتمبر ١٩٤١ تم عزل جميع القساوسة فى البلوك رقم ٢٦ ، وبعد مضى يومين صدر أمر بمنع السجناء البولنديين من الذهاب إلى الكنيسة والتوجه إلى أعمالهم فى معسكرات العمل . ولا شك أن القساوسة الكاثوليك الألمان تلقوا معاملة أفضل من زملائهم المنتمين إلى جنسيات أخرى . فهم لا يعانون فى مسكنهم من الاكتظاظ الذى يعانى منه زملاؤهم ، فضلاً عن أن دورات مياههم كانت أحسن حالاً ، ونفس الشىء

ينطبق على غرف استحمامهم . وعلى أية حال كانت الظروف المعيشية فى البلوك رقم ٢٦ بوجه عام مقبولة بالنسبة إلى القساوسة الألمان فى حين كانت أسوأ بكثير فى حالة غيرهم من رجال الدين . وكان حال القساوسة البولنديين بالغ السوء . فقد قال رئيس الأساقفة البولنديين كوسلافيكى Koslawiecki عام ١٩٦٧ أنه كان يعتبر نفسه محظوظًا فى فترة اعتقاله في معسكر أوشويتز ، إذ اكتفى النازيون بصفعه مرة أو مرتين . وقد سبق لهذا الرجل أن أمضى أربعة أعوام فى معسكر داكاو للاعتقال قبل ترحيله إلى أوشويتز . يقول كوسلافيسكى عن فترة اعتقاله فى أشويتز : «كنا على مدى أعوام نستيقظ فى الظلام، كما كنا نذهب إلى طابور النداء وإلى العمل وقلوبنا مثقلة بالهم والغم . وكان محظوراً علينا أن نصلى أو نمارس أى نشاط دينى على الإطلاق . وكانوا ينزلون أشد العقاب بأى سجين يحاول الاعتراف للقسيس وبأى قسيس يستمع إلى اعتراف أى سجين» .

وفى ديسمبر ١٩٤٠ وفد إلى معسكر داكاو ٦٩٧ قسيسًا من معسكرات ساشنهاوزن وبوخنوالد . وفى ٢٩ أكتوبر ١٩٤١ وصل إلى داكاو خمسمائة قسيس معظمهم من كبار السن والمعتلين صحيا دون معاطف أو أغطية رأس أو أحذية وهم يرسفون فى الأغلال ويسيرون حفاة على الصقيع فى زمهرير الشتاء ، ولم يبق على قيد الحياة من هذا الفوج الأخير سوى ٨٢ قسيسًا . وفى فبراير عام ١٩٤٢ قام رجال الوحدة الخاصة باختيار مجموعتين من شباب القساوسة لتدريبهم على أعمال النجارة والبناء بالأحجار لمدة ثلاثة شهور . واختار النازيون عددًا كبيراً من القساوسة البولنديين لإجراء أبشع التجارب الطبية عليهم . ففى ١٠ نوفمبر ١٩٤٢ مثلا وقع الاختيار على عشرين منهم لإجراء التجارب الخاصة بالبلغم ولم يبق على قيد الحياة منهم سوى ثمانية قساوسة نتيجة الحقن المميتة التى كانت رئيسة الممرضات تعطيها لهم . وقد استطاع أحد القساوسة تهريب عينة من هذه الحقن المميتة فى ليفركوسن Leverkusen إلى خارج المعسكر . وفى الفترة الواقعة من يولية ١٩٤٢ حتى مايو ١٩٤٤ أجرى الدكتور شلنج تجارب لحقن مائة وعشرين قسيسًا بولنديا بميكروب الملاريا ، الأمر الذى أدى إلى موت الكثيرين منهم رغم تمتعهم بموفور الصحة والعافية . وأيضًا تمت تصفية القساوسة البولنديين المرضى داخل المعسكر فى غرف الاستحمام والثكنات التى

يسكنونها . وكان النازيون يستخرجون للمتوفين شهادات وفاة تعزو الوفاة إلى «ضعف القلب» أو الالتهاب الرئوى ، ويبلغ عدد القساوسة البولنديين المتوفين بهذه الطريقة وبطرق أخرى ٣٠٤ أشخاص .

عاش القساوسة فى البلوك رقم ٢٨ أسبوعًا صعبًا للغاية حين عثروا عند تفتيش أحدهم يوم ٢٢ مارس ١٩٤٢ على ثمانين دولارًا كان قسيس قد عهد بها إلى أحد زملائه كى يحفظها له . وعاقب النازيون كل قساوسة البلوك بإرغامهم على إخلائه من المنقولات ثم إعادتها إليه وترتيبها فى أسرع وقت . حدث ذلك مرتين فى اليوم الواحد . فضلاً عن تكليفهم بأداء التدريبات المنهكة من الساعة السادسة حتى الحادية والنصف صباحًا ، ومن الواحدة والنصف حتى السابعة مساء . وتتكون هذه التدريبات من السير بخطى عسكرية والقفز والجرى . وبلغ الإنهاك بهم كل مبلغ ، فشكا مسئول الوحدة الخاصة من أنهم لم يعودوا قادرين على السير النشيط ، فإذا برئيسه ينهره قائلاً : «ولكنهم يستطيعون دائمًا الزحف على بطونهم» . وأدت هذه القسوة إلى وفاة ثمانى ضحايا على الفور ، كما توفى عدد آخر منهم فى غضون أيام قليلة فى وقت لاحق . وأوسع النازيون القسيس الذى خبأ الدولارات ضربًا حتى فاضت روحه بعد مضى يومين فقط من اكتشاف أمره .

قلنا إن السلطات النازية سمحت للقساوسة الألمان بممارسة جانب من نشاطهم الدينى ، ولكنها حظرت على القساوسة البولنديين ممارسة مثل هذا النشاط ، ومع ذلك فقد تفتقت أذهانهم عن حيل يلجأون إليها لأداء شعائرهم الدينية مثل تظاهر القسيس البولندى بالركوع من أجل انتزاع الأعشاب من الأرض فى حين أنه فى واقع الأمر يؤم المصلين . وكان سجناء البلوك رقم ٢٦ يمدون المصلين البولنديين بالقربان والخمر المقدس اللذين يستخدمان فى التناول . كانت هذه الطريقة الوحيدة التى تفتقت عنها أذهان القساوسة البولنديين لأداء الصلاة فى الخفاء ، ولكن هذه الظروف السيئة تحسنت فى نهاية عام ١٩٤٣ بعد أن سمح النازيون للقساوسة البولنديين بإقامة القداس مرة كل يوم أحد . وفى خريف عام ١٩٤٤ خفف النازيون القيود المفروضة على البولنديين أكثر

من ذى قبل . وبحلول نهاية شهر نوفمبر من العام المشار إليه سمح النازيون للبولنديين مرة أخرى بحضور القداديس فى الكنيسة المقامة فى البلوك رقم ٢٦ .

وعلى أية حال كان عام ١٩٤٢ حتى حلول فصل الخريف عامًا أليمًا فى حياة السجناء فى معسكر داكاو . ففى هذا العام ارتفعت معدلات الوفيات من الإكليروس . فقد مات منهم فى البلوك رقم ٢٦ ستون قسيسًا فى الفترة من يونية حتى سبتمبر من العام المشار إليه . كما حدثت مئات الوفيات فى البلوك رقم ٢٨ والبلوك رقم ٣٠ ؛ وتضافر سوء التغذية والإنهاك (مثل إزاحة الثلوج) فى الفتك بهم . وبدأ التحسن فى ظروفهم المعيشية يلوح فى الأفق عند تعيين فايس قائدًا لمعسكر داكاو وروديتز Rodwitz مسئولاً عن وحدة البوليس الخاصة فيه . ولم يدخر فايس وسعًا فى جعل حياة سجنائه أقل شقاء مما كانت عليه فى عهد سلفه .

وأيضًا ابتداء من نوفمبر من العام المذكور تحسنت ظروف القساوسة الغذائية بشكل ملحوظ ، وبخاصة بعد السماح لهم باستلام طرود الطعام . واستفاد من هذا الوضع الجديد كل من القساوسة الألمان والبولنديين . وتسلم البلوك ٢٦ أحيانًا مائة طرد فى اليوم الواحد . وعندما لاحظ النازيون أن القساوسة يوزعون جانبًا من طرود الطعام على السجناء الجياع لم يترددوا فى الاحتفاظ به لأنفسهم ، الأمر الذى اضطر هؤلاء القساوسة إلى توزيع الطعام سرا على المحتاجين ، غير أنه من الخطأ الاعتقاد بأن جميع القساوسة اتسموا بروح العطف مع التعساء والمساكين ، فبعضهم بلغت بهم الأثرة مبلغًا جعلهم يفضلون الاحتفاظ بالطعام فاسدًا على توزيعه على المحتاجين . واستمرت الأحوال الغذائية فى تحسن حتى نهاية عام ١٩٤٤ عندما تسبب انهيار خطوط الاتصالات فى عدم إرسال طرود الطعام إلى معسكرات الاعتقال . ولكن هذا لم يؤثر فى وضع القساوسة الألمان الذين تلقوا الأطعمة بفضل فانزلت Pfanzelt رئيس أساقفة داكاو الذى قام بصرف كوبونات الغذاء لهم حتى يتمكنوا من شراء الأطعمة بها من مقصف المعسكر .

وحتى عام ١٩٤٣ استبعد النازيون القساوسة من تولى المهمات الإدارية . وهى مهمات اضطلع بها فى الفترة من عام ١٩٤١ حتى عام ١٩٤٤ أحط أنواع السجناء مثل بيكر Becher المعروف بقسوته وسوء خلقه وهو المسئول الإدارى عن البلوك رقم ٢٦

وفى بداية عام ١٩٤٣ أخذت مستشفى معسكر داكاو فى قبول القساوسة للعمل فى مجال التمريض ، الأمر الذى أعطاهم فرصة لتوفير الرعاية الروحية للسجناء المرضى والمحتضرين . ومات من هؤلاء القساوسة عدد كبير من جراء انتشار وباء التيفوس فى داكاو ، مات منهم فى شهر يناير سبعة من القاطنين فى البلوك رقم ٢٦ ؛ فضلاً عن أن قومندان هذا المعسكر فايس وثق بهم وأسند إليهم أعمالاً إشرافية خارج المعسكر وبخاصة فى آلاخ Allach حيث حرص القساوسة على إقامة كنيسة فى هذا الموقع الهام ، ولكن برلين رفضت إقامة مثل هذه الكنيسة لأنها لم ترغب فى اتساع نطاق النشاط الكنسى إلى أبعد من معسكر داكاو .

وقرب نهاية عام ١٩٤٢ قامت مسئولة كبيرة من وحدة البوليس الخاصة بزيارة البلوك رقم ٢٦ . ويقال إن اسمها شويتز بيا Schweste - Pia ، هذه المرأة احتفت بهتلر أيام أن كان مغموراً . وقد رافقها ريدويتز Redwitz قائد المعسكر آنذاك فى زيارتها فى أثناء توزيعها للملابس التى أرسلها لها دير إيتال Ettal لتوزيعها على قاطنى البلوك ٢٦ غير أنها كانت تحمل الاحتقار لرجال الإكليروس من غير الألمان . والغريب أن قائد المعسكر عامل القساوسة بلطف ورقة ، ومن المفارقة أن هذه المرأة الزائرة كانت شديدة التعصب للنازية .

كانت الكنيسة التى سمح النازيون للقساوسة ببنائها بدائية للغاية عندما أقيم فيها القداس لأول مرة يوم ٢٢ يناير ١٩٤١ ، وقد عثر المؤرخون على الأدوات والأوانى البسيطة المستخدمة فى إقامة هذا القداس فى صندوق يملكه كاهن انضم إلى صفوف الجيش البولندى . والجدير بالذكر أن هذه الأدوات البدائية والبسيطة أحضرت إلى داكاو من معسكر ساشنهاوزن ، واستُخدِمَت منضدتان كمذبح ، واحتفظ القساوسة بهاتين المنضدتين العزيزتين إلى قلوبهما (إلى جانب الأدوات البسيطة الغالية عليهم) وظلوا

يستخدمونها كمذبح . وبحلول عام ١٩٤٤ أى بعد مرور ثلاثة أعوام استطاع الإكليروس تجهيز كنيستهم على نحو أفضل فزودوها بخيمة وشمعدان وتماثيل ، بل ومحطات فى الطريق المعروف بدرب الصليب ، وتحمس السجناء لإقامة الكنيسة فتفانوا جميعًا فى تجهيزها حتى بعض السجناء الشيوعيين لم يتوانوا عن الاشتراك فى تجهيز هذه الكنيسة . ومن أجل هذا تضافرت جهود السجناء الحرفيين مثل النجارين والكهربائيين والمتخصصين فى أعمال الديكور .

وأصبحت هذه الكنيسة بعد إدخال التحسينات عليها ٢٠ مترًا طولاً و ٩ أمتار عرضًا وقادرة على استيعاب ثمانمائة من المصلين . ولكن هذه الكنيسة سرعان ما اكتظت بالمصلين فبلغ عددهم ألف شخص وازدانت جدران الكنيسة بالصلبان وزهرة الليلى. وبدت نوافذها محلاة بالزجاج المعشق . وكانت أرضية الكنيسة شديدة اللمعان ، فضلاً عن حسن إضاءتها . وأهدى رئيس أساقفة داكاو إلى الكنيسة آلة الهارمونيوم ، كما أهدتها أبرشية برانتز Branitz فى عيد القيامة المجيد عام ١٩٤٣ تمثالاً بديعًا للسيدة مريم العذراء ، وحتى عام ١٩٤٢ لم يكن مسموحًا بدخول الكنيسة بالأحذية .

وبطبيعة الحال لم تنعم هذه الكنيسة بالاستقرار ، ففى أحد أيام الربيع فى عام ١٩٤٤ قامت وحدة البوليس الخاصة بشن غارة على الكنيسة وفتشتها واتهمت القساوسة بامتلاك جهاز إرسال لاسلكى . ولكن اتضح من التفتيش أنه ليس هناك وجود لمثل هذا الجهاز داخل الكنيسة . وفى أوائل شهر ديسمبر من العام المشار إليه واجه القساوسة موقفًا عصيبا عندما طلب إليهم النازيون التنازل عن كنيستهم بحجة عدم توفر أماكن كافية لإيواء السجناء . وأثار هذا الاقتراح اعتراض شلنج Schelling راعى الكنيسة الذى احتج لدى قائد المعسكر بوتشر Bottcher بأنه لا يمكن إلغاء الكنيسة بأى حال من الأحوال وأن هذا ليس رأيه وحده ، بل رأى جميع زملائه . وذهب المعترضون إلى وجود أماكن خالية يمكن تخصيصها لإيواء أية زيادة فى عدد السجناء مثل محل رتق الأحذية الموجود فى البلوك رقم ٢٩ أو بيت الدعارة فى البلوك رقم ٣١ ، ثم إن الكنيسة

لا تزيد طاقتها الاستيعابية على ٢٥٠ شخصاً . وهو عدد تافه بالمقارنة بأعداد الأفواج الغفيرة القادمة ، وتفادياً لإثارة المشاكل أبقى النازيون على الكنيسة حتى النهاية . وفى الأيام الأولى من إنشاء الكنيسة اختص كبير القساوسة بإقامة القداس ، ولكن اعتباراً من مارس ١٩٤٣ أصبح من حق القساوسة العاديين إقامته ، كما أصبح من حق القسيس الذى يقضى مدة طويلة فى زنازين المعسكر أن يقيم قداساً عن كل سنة يمضيها فيه . وفى عام ١٩٤٤ توالت دون انقطاع إقامة القداديس فى جميع أيام الآحاد ، ولم يصبح إقامة القداس من حق القساوسة الكاثوليك الألمان وحدهم ، بل من حق جميع القساوسة الكاثوليك المنتمين إلى جنسيات أخرى ، فضلاً عن أن الملل المسيحية الأخرى غير الكاثوليكية أصبحت تقيم شعائرها الدينية فى هذه الكنيسة .

وفى أكتوبر عام ١٩٤٤ استدعى النظام النازى الإكليروس الألمانى للالتحاق بصفوف القوات المسلحة . وانطبقت شروط التجنيد على نحو ٢٥٠ قسيساً ألمانياً ، كما أن عدداً ضئيلاً منهم تطوع للخدمة الطبية فى الجيش . ولكن معظم رجال الإكليروس رفضوا الاشتراك فى القتال على الجبهة وفضلوا على مضض الخدمة فى وحدات الجيش الطبية .

وفى ديسمبر عام ١٩٤٤ حدَثَ حدثٌ بارز ولافت للنظر وهو رسم أحد سجناء معسكر داكاو قسيساً . كان الشماس كارل ليستر Karl Leister سجيناً فى داكاو منذ عام ١٩٣٩ ، وتدهورت صحته ولم يعد هناك أمل فى شفائه من مرض السل الفتاك ، وكان أمله الوحيد فى الحياة أن يصبح كاهناً ويقيم قداساً قبل وفاته. توسط بيجويت Piguet لدى أسقف كليرمونت فيرراند Cleymont - Ferrarnd كى يحقق لهذا الرجل المريض أمنية حياته ، فاتصل بأبرشية مونستر وأبرشية ميونيخ لاتخاذ الإجراءات الخاصة بتنصيب هذا الرجل المريض قسيساً ، وتم إعداد الترتيبات والملابس اللازمة لذلك فى تكتم شديد . وفى يوم ١٨ ديسمبر ١٩٤٤ حضر حفل التنصيب عدد من رجال الكنيسة وغير رجال الكنيسة . وتقدم الأسقف بكل وقار لرسم الرجل قسيساً فى سرية تامة ، ثم أذنت له الكنيسة بإقامة أول قداس ، ولم يكتب لهذا الرجل أن يعيش طويلاً حيث إنه

توفى بعد أسابيع قليلة من تحرير القوات الحليفة لصحة داكاو وكان الرجل آنذاك يستشفى فى مصحة بالقرب من ميونيخ . وقد أخذ رفاقه صوراً فوتوغرافية لحفل تنصيبه قسيساً .

وفى ربيع عام ١٩٤٥ اعترت الدهشة الجميع عندما تم إطلاق سراح كثير من السجناء فأطلق سراح ثمانية منهم فى ٢٧ مارس و ٢٤ قسيساً فى اليوم التالى و ١٧ فى اليوم الذى يليه . وفى ٣ أبريل من نفس العام تم إطلاق سراح عشرة قساوسة بروتستانت ورسم ١٨ قسيسًا كاثوليكيا يوم ٤ أبريل و ٢١ آخرين يوم ٥ أبريل . بالإضافة إلى رسم ٢٠ كاهنا يوم ٦ أبريل ١٩٤٥ . وقد حدث هذا الإفراج عن السجناء القساوسة فجأة وبدون مقدمات أو تفسير من جانب السلطات النازية . وفى ١١ أبريل من العام المذكور تم إطلاق سراح ١٣ قسيساً كاثوليكيًا . وقد بلغ مجموع القساوسة المفرج عنهم فى الأسابيع الأخيرة من وجود معسكر داكاو ١٧٣ قسيساً .

ويبدو أن الأمر بالإفراج عن القساوسة المحبوسين انطبق على الجنسيات كافة ، كما أن إعداد قوائم المفرج عنهم تم فى عجالة ، فقد أصدر النازيون أمراً يوم ٥ فبراير بإعداد قائمة بأسماء جميع السجناء القساوسة فى خلال أربع ساعات فقط . وكان عددهم آنذاك ١٤٧٨ قسيساً .

ولا شك أن القساوسة السجناء لعبوا دوراً عظيمًا فى إدخال الراحة والطمأنينة الروحية فى نفوس المتدينين وهم على فراش الموت . يقول إدموند ميشيليه Edmond Michelet فى هذا الشأن : «سوف أذكر حتى ساعة وفاتى تلك الابتسامة المشرقة التى ترتسم على وجه المحتضر الوضاء والتى تعبر عن فرحته السرمدية وأنا أضع المناولة بين شفتيه». ولم يكن المرضى وحدهم هم الذين استقبلوا التناول بالبشر والفرحة . فهى فرحة لم تقتصر على المرضى وحدهم ، بل امتدت إلى السجناء الأصحاء أيضاً . وكان بمقدور القساوسة الكاثوليك السجناء فى معسكر داكاو التفاهم والاتصال ببعضهم البعض

بغض النظر عن اختلاف جنسياتهم بفضل معرفتهم جميعًا باللغة اللاتينية فى حين وجد السجناء الآخرون عسرًا فى فهم بعضهم البعض بسبب اختلاف لغاتهم .

وعلى الرغم من تجميع كل القساوسة الكاثوليك فى مكان واحد فى معسكر داكاو فإنه من الخطأ الاعتقاد بأن هذا التجميع كان كاملاً وشاملاً حيث إن بعضهم أخفوا حقيقة مذهبهم الدينى خوفًا من خسف وبطش النازيين لهم مفضلين العيش تحت سقف واحد مع السجناء العاديين . وتشير الأبحاث التى أجريت مؤخرًا إلى أن إجمالى عدد الإكليروس من جنسيات مختلفة فى معسكر داكاو كان ٢٢٧١ قسيسًا مات منهم فى المعسكر نحو ٧٠٠ قسيس وأصابت العلل والأمراض أكثر من ثلاثمائة قسيس أقلَّتهم قطارات الموت إلى معسكر داكاو .

١١ - مقاومة السجناء للنظام النازى فى معسكر داكاو :

فى معتقل داكاو تصدى لمقاومة النظام النازى وزبانيته كثير من الشيوعيين وأعضاء فى نقابات العمال والمؤمنين بالديمقراطية الاجتماعية . وكان الشيوعيون من أوائل ضحايا النظام النازى . الأمر الذى أعطاهم خبرة واسعة وطويلة فى مقاومة وحدة البوليس الخاصة فتولوا نقل خبرتهم إلى بقية زملائهم من السجناء . وكان رجال الوحدة الخاصة يعرفون أسماء عدد من هؤلاء الشيوعيين فى أثناء المصادمات التى جرت فى الشوارع بينهم وبين رجال هذه الوحدة أو فى أثناء الاجتماعات السياسية التى قام هؤلاء الرجال بفضها ، ولهذا لم يتردد رجال الوحدة الخاصة فى أخذ مثيرى الشغب بمنتهى القسوة والشدة . ففى أول أكتوبر ١٩٣٣ أصدر قائد معسكر داكاو إيك مرسومًا بإنزال أشد العقاب بالسجناء إذا عنّ لثلاثة منهم أو أكثر الاجتماع ، فضلاً عن زرع الجواسيس بين السجناء لمعرفة أخبارهم .

وبعد احتلال ألمانيا النازية للنمسا فى مارس ١٩٣٨ تعرف النمساويون على الألمان المعارضين للنظام النازى الذين زج بهم هتلر فى غياهب معسكر داكاو لعدة أعوام . وكان السجناء القدامى فى هذا المعسكر ينقلون للسجناء الجدد تجاربهم فى كيفية التعامل مع رجال وحدة البوليس الخاصة وتجنب شرهم وأذاهم عن طريق الاعتناء بترتيب محتويات زنازينهم حتى لا يتذرعون بمعاقبتهم على إهمالهم .

وكان السجناء الألمان المنشقون على النازية يمدون يد العون لبعضهم البعض بإعطائهم شيئًا من الطعام والملبس والتبغ فى سرية تامة وبدون لفت نظر رجال وحدة البوليس الخاصة . ولاحت فى الأفق مظاهر مناهضة النظام النازى منذ البداية ، الأمر الذى شجع الجنسيات الأخرى وأصحاب الاتجاهات السياسية المختلفة على اتباع نفس المنهج . وشجع هذا على إنشاء جمعية دولية ، داخل معسكر داكاو لمقاومة السلطات النازية ، وتولت الجنسيات المختلفة فى السر اختيار قيادات لها من العناصر الصلبة والشديدة المراس فى شتى الأنشطة المتصلة بالمقاومة مثل الاستماع إلى الراديو وإمداد الطعام وتخريب المنشآت والورش المنتجة . وبمرور الزمن بدأت هذه الجنسيات المختلفة

فى التعاون فيما بينها . ففى عام ١٩٤٢ نجحت المقاومة الألمانية ضد النازية فى مد جسور الاتصال والتعاون مع الجماعات السوفييتية واليوغسلافية ثم الجماعة التشيكية بعد ذلك .

كانت مساعدة السجين لرفاقه أول خطوة عن طريق المقاومة . ويتجلى لنا هذا عند وصول عدد كبير من السجناء المرضى إلى داكاو فى ربيع عام ١٩٤٠ قادمين من معسكرات فلوسنبرج وساشنهاوزن وماثاوزن ونوينجهام فى حالة يرثى لها . فأصدرت اللجنة الدولية للمقاومة تعليمات بإعطائهم المال لمساعدتهم على شراء ما يرغبون من مقصف المعسكر . ولكن رجال الوحدة الخاصة علموا بأمر هذه المساعدة فأنزلوا العقاب بالمنخرطين فيها . غير أن السلطات النازية أخطأت عندما ظنت أن هذه المساعدات تقتصر على الشيوعيين حيث إنها شملت الديمقراطيين الاجتماعيين والليبراليين والكاثوليك وأعضاء النقابات العمالية والعاملين فى قطاع الخدمة المدنية إلى جانب بعض أساتذة الجامعات النمساوية . وهكذا يتجلى لنا تآلف المقاومة داخل معسكر داكاو مع الفصائل السياسية الأخرى المختلفة معها فى الرأى والفكر مثل تآلف الشيوعيين مع الاشتراكيين والليبراليين ورجال الإكليروس البروتستانت والكاثوليك . ونسى الفرقاء خلافاتهم من أجل مقاومة عدوهم المشترك المتمثل فى النظام النازى . وبالنظر إلى أهمية الغذاء فى حياة السجناء المرضى والضعاف عملت لجنة المقاومة كل ما فى وسعها لتوفيره لهم . وقد لعب رئيس قساوسة ميونيخ - الدكتور إميل موهلر **Emil Muhler** دوراً نشيطاً فى توفير الطعام للمحتاجين إليه . واستطاع هذا الرجل جمع المال اللازم لذلك بمساعدة كل من الكاردينال فولهابر **Foulhaber** ويفلانزلت **Pflanzelt** رئيس قساوسة داكاو . وفى أحد المعسكرات الفرعية وهو معسكر ولفيرت **Wulfert** قامت المقاومة بتهريب الطعام وإخفائه فى شاحنة تستخدم فى نقل ملابس السجن إلى المغسلة .

وكذلك اضطلعت لجنة المقاومة بكشف الجواسيس الذين يزرعهم رجال الوحدة الخاصة بين السجناء مثل الجاسوس بولديز **Boldes** الذى وشى بزملائه وسلمهم إلى جلاديهم لإبادتهم .

بذل السجناء فى معسكر داكاو قصارى جهدهم لتبليغ العالم الخارجى بمحنتهم . وأعد الراهب الفرانسيسكانى كارل مانجولد Karl Mangold أول قائمة تضم أسماء القساوسة الكاثوليك والبروتستانت المحبوسين فى داكاو . واستطاع هذا الرجل قبل وفاته بوقت قصير من تسريب هذه القائمة إلى الخارج ومرفق بها خطاب باللغة اللاتينية وجّهه إلى رئيس دير ميونيخ . وقد مهر كارل مانجولد هذا الخطاب بتوقيع «واحد من المائتين وخمسة وعشرين قسيساً ألمانيا المحبوسين فى داكاو» . وقام راديو الفاتيكان وصحيفته بنشر الخطاب مما سبّب حرجًا للنظام النازى الذى كان دائمًا يخفى حقيقة عدد القساوسة المحبوسين . وأيضًا سعى قسيس من ووبرتال Wuppertal يدعى هانز كارلس Hans Carls إلى إبلاغ العالم الخارجى بحقيقة التجارب الطبية الفظيعة التى كانت تجرى على السجناء . ولسوء الحظ وقع أحد هذه البلاغات فى يد السلطات النازية فى برلين فقامت بتشكيل لجنة تحقيق لتقصى الأمر وسؤال عدد كبير من القساوسة ولكنهم رفضوا الإدلاء بأية معلومات .

ونتيجة تكاتف السجناء وتضامنهم رفض بعض رفاقهم التعاون مع النازيين فى التنكيل بهم وتوقيع أشد العقوبة عليهم . فعلى سبيل المثال رفض واجنر أقدم سجناء معسكر آلاخ الفرعى الاستجابة لأمر السلطة النازية له بضرب سجين زميل له فانتقمت منه بأن زجت به فى ملجأ فى معسكر داكاو حيث تم جلده نتيجة عصيانه للأوامر الصادرة إليه ، ثم تم نقله إلى معسكر فلوسنبرج ، فضلاً عن أن بعض المرضين أخفوا بعض السجناء فى المستشفى وادعوا موتهم حتى تكتب لهم الحياة من جديد . وبالإضافة إلى ذلك نجح بعض السجناء الأطباء وبخاصة فى وقت انتشار الأوبئة فى إنقاذ حياة الكثيرين من زملائهم من الموت معرضين بذلك أنفسهم للخطر ، كما أنهم نجحوا فى إثناء بعض رفاقهم عن الانتحار وحثوهم بدلاً من ذلك على مقاومة وحدة البوليس الخاصة .

وللترفيه عن السجناء والتسرية عنهم قامت لجنة المقاومة فى معسكر داكاو بتنظيم الأنشطة الثقافية والرياضية والحفلات الموسيقية والمسرحية . ورفع السجناء روحهم

المعنوية بترديد بعض الأغانى الحماسية الجماعية التى ذاع صيتها حتى وصلت إلى إنجلترا ، الأمر الذى طمأن السجناء بأنهم ليسوا بمفردهم فى هذا العالم .

ولم يتورع النازيون عن حبس الأطفال فى معسكر داكاو ، ولهذا أنشأت لجنة المقاومة مدرسة لتعليم الأطفال الروس تولى التدريس فيها معلم من يوغسلافيا . فضلاً عن أن بعض السجناء علموا هؤلاء الأطفال المبادئ الأولية فى بعض الحرف .

ومن المعروف أن النازيين أعدموا آلاف سجناء الحرب الروس بالرصاص فى حلبة الإعدام التابعة لوحدة البوليس الخاصة فى منطقة هيرتسهاوزن . واحتفظت لجنة المقاومة بأوراق المحكوم عليهم بالإعدام فى مكان أمين وسرى وسلموها إلى الأمريكان عندما قاموا بتحرير معسكر داكاو .

ومن أحداث معسكر داكاو البارزة ذلك الأمر النازى الصادر بإعدام ٩٢ ضابطًا سوفييتيا دفعة واحدة . وبهذه المناسبة قررت لجنة المقاومة إضراب جميع سجناء المعسكر عن العمل وبالفعل استجاب السجناء لهذا القرار وامتنعوا فى اليوم المحدد لإعدام زملائهم عن التوجه إلى أعمالهم . وكادت تحدث لهم مجزرة حيث تأهب النازيون لإطلاق رصاص المدافع الرشاشة عليهم لولا أن المحكوم عليهم بالإعدام أقنعوا زملاءهم المضربين عن العمل والبالغ عددهم نحو ٢٢ ألف سجين على إنهاء الإضراب والذهاب إلى عملهم . وخطب أحد الضباط السوفييت المحكوم عليهم بالإعدام واسمه تساروف Tasrav فى زملائه المضربين قائلاً : «أيها الرفاق اذهبوا إلى أعمالكم . إننا نموت مثلما عشنا ، ونحن نحارب من أجل سلامة جمهوريات الاتحاد السوفييتى . الوداع أيها الرفاق وانصرفوا إلى حال سبيلكم» . ولولا هذا لحدثت مجزرة تقشعر لها الأبدان وتودى بحياة آلاف المساجين ، وبإعدام سجناء الحرب الروس يكون النازيون قد ضربوا بالقانون الدولى عرض الحائط . وزاد هذا الانتهاك من شدة المقاومة ضد الخسف النازى ، وقد أبلى السجناء الروس بلاء حسنًا فى مقاومة هذا الخسف ، كما بذلت المقاومة هناك جهدًا جهيدًا لكشف النقاب عن الجواسيس الذين تؤدى خستهم ونذالتهم إلى القضاء المبرم على زملائهم .

وأيضًا كان التخريب وسيلة من وسائل المقاومة ضد الطغيان النازى . ومن أبرز أعمال التخريب ذلك التخريب الذى طال بناء المحرقة (التى أطلقت عليها وحدة بوليس داكاو «الثكنة رقم ١٠») عن طريق امتناع المشرف على السجناء استخدام العمال المهرة فى تشييدها وتعطيل وصول مواد البناء إليها . فضلا عن استغلاله للخلافات القائمة بين مسئول الوحدة الخاصة وقائد المعسكر . وبهذه الطريقة تمكن الكابو (المشرف على زملائه السجناء) - واسمه كارل واجنر - من تأخير موعد الانتهاء من بناء المحرقة لمدة ثلاثة أشهر . وقد أضيفت غرفة غاز إلى هذه المحرقة ، ولكنه لم يقيض لها أن تُستخدَم أبدًا . وكان السجناء يتغنون فى الاحتفال بمناسباتهم وأعيادهم القومية دون أن يلفتوا أنظار النازيين إليهم . فعلى سبيل المثال احتفل السجناء الفرنسيون يوم ١٤ يولية ١٩٤٤ بعيدهم القومى . بدأوا احتفالهم بدقيقة صمت جماعى فى مساكنهم فى البلوكات ، ولم يكتف السجناء الفرنسيون فى داكاو بهذا ، بل تمادت المقاومة الفرنسية فى تحدى السلطات النازية . فعندما سمع السجناء الفرنسيون صوت النداء للطابور ران عليهم صمت عميق وكنوع من التحدى اصطفوا فى تشكيل عسكرى دقيق يخالف التشكيل الذى فرضه النازيون عليهم .

وعندما استشعرت المقاومة قرب وقت تحرير معسكر داكاو على أيدى القوات الحليفة كونت لجان المقاومة السرية مجموعات قتالية . واستطاعت المقاومة أن تحكم سيطرتها على المعسكر وأن تمهد السبيل إلى تحريره . يقول شاهد عيان فى هذا الشأن : «أظهرت النتيجة النهائية المتمثلة فى تحرير معسكر داكاو مدى أهمية وفاعلية هذا التنظيم القتالى. ولم يسع أى طرف إلى فرض وجهة نظره على الأطراف الأخرى ، بل تَمثَّل هذا السعى فى دمج رغبات السجناء المختلفة ممن يدينون بآراء متباينة فى إرادة مشتركة واحدة» .

والذى لا شك فيه أن صمود المقاومة ساعد على تماسك السجناء الذين حاول النازيون تفريقهم وشرذمتهم بكل الطرق . وإذا دل هذا على شىء فهو يدل على دقة تنظيمات المقاومة داخل معسكرات الاعتقال النازية . ويلخص القسيس الأب روث Roth روح الصمود والتحدى التى أظهرتها المقاومة فى كلماته التالية التى سطرها فى

٩ سبتمبر ١٩٥٦ : «كانت تجربتنا الأساسية كالتالى : كنا رجالا ننتمى إلى جنسيات مختلفة ، ورغم اختلافنا كنا - باستثناء حالات قليلة - رفاقًا تربطنا وشائج الزمالة . صحيح أننا كنا ألمانًا وفرنسيين وهولنديين وروسًا ، ولكننا كنا تشكيلة متوائمة من القساوسة الكاثوليك والبروتستانت ، كما أن بعضنا آمن بالمذهب الشيوعى . ومهما كان الخلاف فى جنسياتنا وأوضاعنا الاجتماعية ونظرتنا الفلسفية فقد كنا رجالاً وإخوة ، ونشعر بذلك ، وكسجناء استطعنا إثبات أنه يمكننا أن نحترم بعضنا البعض بدلاً من تمزيق بعضنا البعض إربًا إربًا . وكان من الشائع أن ترى قسيسًا كاثوليكيًا وراعيًا بروتستانتيًا يقتسمان آخر كسرة خبز مع روسى بلشفى وأن ترى شيوعيًا يستدعى قسيسًا ليصلى من أجل رفيق يحتضر . كان القسيس الكاثوليكى يولى الشيوعى اهتمامه ويبذل قصارى جهده لإنقاذ حياته... وجدنا أن خلافاتنا الإيديولوچية لا تمنع الحب من أن يوحدنا ويؤلف بيننا ، وأنه من الممكن أن نفهم ونساعد بعضنا البعض . وكم من شيوعى أنقذ قسيسًا من الموت ، وكم من قسيس اختلى بشيوعى فى ركن ليتحدث معه ساعات ويناقشه كصديق حقيقى فى مشاكل الحياة . وبذلك انهارت الحواجز وظهرت محلها إمكانات التفاهم والاتفاق» .

١٢ - أيام معسكر داكاو الأخيرة وتحريره :

فى ربيع عام ١٩٤٥ أصدر هملر أوامره بالحيلولة دون وقوع أى سجين حيًا فى أيدى قوات الحلفاء . وحين تاكد حراس معسكر داكاو من هزيمة بلادهم فى الحرب العالمية الثانية انهارت روحهم المعنوية وبخاصة عندما شاهدوا طائرات العدو تحلق فوق أرض المعسكر على ارتفاع منخفض. وتوالت غارات الحلفاء على هذا المعسكر على نحو متصل وألقت طائراتهم منشورات فى كل مكان تدعو إلى استسلام القوات النازية . وأخذ اليأس يفت فى عضد إدارة معسكر داكاو . وتباسط النازيون مع سجنائهم قائلين لهم : «الأمر أضحى بسيطًا بالنسبة إليكم لأنكم سوف تصبحون أحرارًا عندما يصل الأمريكيون. ولكن ماذا سيكون عليه حالنا؟ وماذا عسانا أن نفعل إذا نحن لذنا بالفرار؟ سوف يطلق بنو جلدتنا علينا الرصاص . وإذا نحن بقينا فسوف يلقى الأعداء القبض علينا». وانصرف رجال الوحدة الخاصة فى مكاتبهم إلى إخفاء كل أثر للجرائم التى اقترفوها والتخلص من كل الوثائق التى تدينهم ، ولكن السجناء القدامى تمكنوا من إخفاء بعض الوثائق عن عيونهم» .

وفى الأيام الأخيرة من داكاو انصرف رجال الوحدة الخاصة إلى جمع أمتعتهم وممتلكاتهم القيمة استعدادًا لمغادرة هذا المعسكر الذى صار معزولا تمامًا عن العالم الخارجى حيث لم تعد الصحف تصل إليه . واختفت أجهزة الراديو من المكاتب حتى لا يتتبع السجناء نشرات الأخبار . وزاد من تعقيد الموقف أن ترحيل السجناء إلى معسكر داكاو استمر على قدم وساق دون أن يتوقف حتى وقت استسلامه ، وأن معدلات وفياتهم كانت فى تصاعد مستمر .

واحتار رجال الوحدة الخاصة وأسقط فى أيديهم لأنه لم يكن هناك معسكر آخر قريب منهم يكفى لإيواء كل هذا العدد الهائل من السجناء المرحلين إليه . وتوقعت المقاومة أن ينتهز النازيون هذه الفرصة لإبادة جميع السجناء فى معسكر داكاو . ولكن مثل هذه الإبادة لم تكن ممكنة من الناحية العملية وبخاصة لأن غرف الغاز السام لم تكن مجهزة تجهيزًا كافيًا للقضاء على هذا العدد الغفير من السجناء .

ولاح فى الأفق حلان لهذه المشكلة الماثلة أولهما الإجلاء الكلى أو الجزئى لمعسكر داكاو طبقًا للوقت المتوفر لدى المسئولين عنه وترحيل السجناء سيرًا على الأقدام إلى جهة غير معلومة، وثانيهما تسليم المعسكر برمته إلى قوات الحلفاء. وأمام هذين الخيارين الصعبين جنح رجال الوحدة الخاصة إلى تسليم السجناء فى داكاو إلى قوات الحلفاء المنتصرة. وفى نفس الوقت احتكم السجناء إلى العقل ولم يفكروا فى الثورة على جلاديهم لأنهم كانوا يدركون أن هذا سوف ينتهى إلى مجزرة تقضى عليهم جميعًا .

وفى مثل هذا الجو كثرت الشائعات . وأراد العقلاء من السجناء تفادى حدوث انهيار مفاجئ للمعسكر فى حالة مغادرة وحدة البوليس الخاصة له . ولهذا فكروا فيما بينهم فى إنشاء هيئة إدارية وشرطة بديلة فى حالة رحيل هذه الوحدة عن المعسكر .

وبالنظر إلى أنه لم يكن فى الإمكان إبادة سجناء داكاو عن بكرة أبيهم لنقص التجهيزات من ناحية وضيق الوقت من ناحية أخرى فقد نبذ النازيون فكرة الإبادة الجماعية ولكنها لم تختف تمامًا عن أذهانهم ، بل ظلت تراود بعضًا منهم من آن إلى آخر .

ويشرح لنا هوس (الذى عين مفتشًا عامًا على معسكرات الاعتقال) الأوامر التى أصدرتها القيادة العليا بشأن مصير هذه المعسكرات . ويبدو أن هتلر بعد تحرير معسكر اعتقال بوخنوالد أصدر أوامر إلى هملر بعدم السماح بوقوع أى معسكر آخر فى أيدى الحلفاء . ولهذا صدرت تعليمات بترحيل السجناء من المعسكرات إلى أماكن أخرى سيرًا على الأقدام . ولكن هوس عجز عن الإدلاء بأية معلومات عن مصير معسكر داكاو على وجه التحديد بسبب تقطع سبل الاتصال بين شمال ألمانيا وجنوبها . فضلاً عن أن السلطات النازية المركزية فى أورانينبرج **Oranienburg** فقدت سيطرتها على معسكرات الاعتقال الواقعة فى مقاطعة بافاريا . ورغم ذلك فإن الشهادات التى أدلى بها الشهود فى محاكمة كالتنبرونر **Kaltenbrunner** من نورمبرج تعطينا بعض المؤشرات . فقد ذكر فرايهر فون إبرشتين **Freihery Von Eberstein** لرئيس البوليس فى بافاريا أن جيسلر **Giesler** ورئيس وزارة بافاريا ووزير دفاعها ومسئول الدفاع

فى الرايخ طلبوا منه فى مارس ١٩٤٥ أن يقنع قائد معسكر داكاو بإطلاق الرصاص على جميع سجنائه البالغ عددهم آنذاك ٣٠ ألف سجين عند قدوم القوات الأمريكية لاحتلاله . وزعم إبرشتين أنه رفض هذا الاقتراح رفضًا باتًا متعللاً بأنه ليس من صلاحياته إعطاء أية أوامر إلى قواد معسكرات الاعتقال فرد عليه جيسلر بقوله : إنه بوصفه مسئولا عن الدفاع يستطيع إصدار أمر بقذف معسكر داكاو بالقنابل من الجو. فقال له إبرشتين أنه لا يعتقد أن أى قائد فى سلاح الطيران الألمانى سوف يطيع مثل هذا الأمر . عندئذ اقترح جيسلر إبادة سجناء داكاو بوضع السم لهم فى الحساء . واضطر إبرشتين إلى الاتصال بهملر لاستطلاع رأيه فيما عساه أن يفعل بالسجناء إذا تقدم الجيش الأمريكى إلى المعسكر ؟ فرد عليه هملر بضرورة تسليم معسكرات الاعتقال إلى قوات الحلفاء ، الأمر الذى أثار حنق جيسلر .

وأيضًا كشف جيردز Gerdes النقاب عن نوايا جيسلر فى إبادة السجناء . ففى منتصف أبريل ١٩٤٥ أخبره جيسلر بأن كالتنبرونر كلفه بناء على التعليمات التى تلقاها من الفوهرر بعدم تضييع أى وقت فى معسكر داكاو ومعسكريه التابعين فى كل من لاندسبرج Landsberg وموهلدورف Muhldorf اللذين اقترح بعض النازيين تدميرهما لكثرة ما تعرضا له من هجمات من جانب القوات الحليفة . غير أن جيردز عارض هذه الفكرة بشدة رغم الضغوط والتهديدات التى مارسها كالتنبروز عليه . وتعلل جيردز باستحالة قصف المعسكر من الجو بسبب سوء الأحوال الجوية من ناحية وقلة الوقود والقنابل من ناحية أخرى . وأمر كالتنبروز بنقل اليهود من معسكر لاندزبرج الفرعى إلى معسكر داكاو الرئيسى حيث اقترح إبادته وتصفيته بصورة نهائية . وكانت الخطة تهدف أيضًا إلى أن يتولى الجستابو (أو البوليس السياسى) تصفية سجناء معسكر داكاو الفرعى فى هوهدورف . واقتضت خطة الإبادة التى أمر كالتنبروز بتنفيذها تسميم كل سجناء معسكر داكاو باستثناء العناصر الآرية القادمة من الدول الغربية . وتلقى جيسلر التعليمات من كالتنبروز بتنفيذ هذه الخطة ، كما أنه تمت مناقشة موضوع توفير كميات السم اللازمة مع كبير أطباء السموم الدكتور هارفلد Harfeld فى حضرة جيردز . وتعهد طبيب السموم بتوريد الكميات الكافية من

السموم بمجرد وصول الأوامر إليه ، ثم انتظر صدور هذه الأوامر إليه ولكن جيسلر لم يقم أبداً بإصدارها .

وفى نفس الوقت تم نقل السجناء من معسكر لاندزبرج الفرعى إلى معسكر داكاو الرئيسى . وأرسل كالتنبروز رسولاً إلى جيسلر لتنفيذ هذه الخطة ، ولكن كالتنبروز استطاع إقناعه باستحالة تنفيذها بسبب قرب المعسكر من ميدان القتال وخطر ذلك على الألمان الذين يحاربون على الجبهة . وأضاف أنه قام بتحذير كالتنبروز من هذا الخطر ومن مغبة مثل هذا العمل ، ثم قام كالتنبروز بإرسال توجيهاته المكتوبة إلى قائد معسكر داكاو بفصل السجناء القادمين من الدول الغربية عن سواهم ، وترحيل السجناء غير الأوروبيين سيراً على الأقدام إلى التيرول ، غير أن كالتنبروز تنصل فيما بعد من إصدار التعليمات القاضية بإبادة سجناء داكاو مدعيا أنه لم تكن لديه أية سلطة على معسكرات بافاريا وأن بيرجر Berger – وهو أحد رجال وحدة البوليس الخاصة – كان المسئول عن تسيير أمورها مضيفًا بأن مسئوليته اقتصرت على معسكرات النمسا وحدها .

وبسؤال بيرجر ذكر أن رؤساءه أرسلوه إلى ميونيخ بالطائرة ليلة ٢٢/٢٣ أبريل ١٩٤٥ . وعند دخول هذه المدينة شاهد ١٢٠ سجينًا يرتدون ملابس السجن فى طريقهم إلى جبال الألب . وأمر بيرجيه هذه المجموعة بالتوجه إلى معسكر داكاو ، وكتب إلى قائد هذا المعسكر بعدم السماح لأى من السجناء بمغادرته آمراً إياه بتسليم المعسكر إلى الحلفاء . وأضاف أنه جاء لتوه من برلين وأنه يتصرف على مسئوليته تاركًا عنوان عمله فى ميونيخ للاتصال به إذا لزم الأمر . وقرب حلول الظهيرة اتصلت قيادة معسكر داكاو ببيرجيه لتبليغه بأنها تلقت أوامر من كالتنبروز بإخلاء المعسكر من السجناء بناء على الاتصال الذى تم بينه وبين مندوب وزارة الدفاع فى ميونيخ وهذه حالة من الفوضى والارتباك لا مثيل لها .

ويبدو من الاعترافات التى أدلى بها المسئولون النازيون أن الخطة كانت متجهة إلى إبادة سجناء معسكر داكاو ، ولكن ضيق الوقت وتعذر الوسيلة حال دون ذلك .

وعلى أية حال تضاربت التعليمات الصادرة فى هذا الشأن، فقد صدرت الأوامر بإخلاء معسكر داكاو من سجنائه وترحيلهم إلى أماكن أخرى حتى لا يقعوا فى قبضة الحلفاء ، ولكن لحسن حظ السجناء لم تكن هناك إمكانية تنفيذ ذلك .

ويوم ٢٢ أبريل ١٩٤٥ نما إلى علم السجناء أن الأمريكان يتقدمون نحو داكاو وأن وحدة البوليس الخاصة عاجزة عن مقاومتهم أو صدهم ، الأمر الذى حدا بهم إلى أن يحلموا بالتحرير فى القريب العاجل . وقرب ظهيرة اليوم التالى (٢٣ أبريل ١٩٥٤) صدرت أوامر إلى بعض القساوسة السجناء فى داكاو بالاستعداد للرحيل . وكان قد سبق صدور أوامر بنقل مجموعة منهم تشمل كليرمونت – فيراند Clermont - Ferrand ونوهوزلر Neuhausler ونيمولر Niemoller من الملجأ المخصص لهم إلى مكان مخصص أصلاً لحبس النساء اللواتى تم ترحيلهن فى أول يناير ١٩٤٥ إلى معسكر النساء فى رافنزبروك . وفى يوم ٢٤ أبريل من نفس العام رحلت هذه المجموعة عن معسكر داكاو ولحقت بها مجموعة أخرى جاءت من معسكر فلوسنبرج فى لوريات . والجدير بالذكر أن هذه المجموعه الأخيرة اشتملت على سجناء زج بهم فى معسكر ساشنهاوزن وتتكون أساسًا من جماعة من الطيارين البريطانيين أعيد إلقاء القبض عليهم بعد هروبهم من معسكر أسرى الحرب فى ساجان Sagan ومن الضباط الطليان واليونانيين والضباط الروس فى جيش فلاسوف Vlassov وبعض أفراد القوات الحليفة مثل الكابتن بيتر تشرشل . وفى ٢٥ أبريل وصلت هذه القافلة إلى إنزبروك Innsbruck حيث زج بالسجناء فى كوخ تحت إشراف الجستابو دون أن يكون لديهم أدنى فكرة عما سوف يفعلون بهم . وفى يوم ٢٧ وصلت أعداد أكبر من السجناء . وفى ليلة ٢٨/٢٧ أبريل اتجهت القافلة نحو برنر Brenner . وفى يوم ٢٨ تم إيواؤهم فى فيلا باسا Bassa (فى نيدردورف Niederorf) . وتم توزيع الرجال على مبانى المديرية فى حين وضع النساء فى الفنادق والحانات . وفى يوم الأحد الموافق ٢٩ أبريل سمح النازيون للقسيس بيجويت Piguet بإقامة القداس فى كنيسة القرية . وأخيرًا اختفى عن الأنظار رجال وحدة البوليس الخاصة فى ٣٠ أبريل ١٩٤٥ . فقام الجنود الألمان النازحون إلى الشمال باقتيادهم ، غير أن الجيش الأمريكى القادم من كورتينا Cortina قام فيما بعد

فى ٤ مايو عام ١٩٤٥ بإطلاق سراح جميع أفراد هذه المجموعة (أى قبل خمسة أيام فقط من استيلاء الأمريكان على معسكر داكاو) ، ثم تم ترحيلهم إلى نابولى عن طريقى بيلونو Belluno وفيرونا ليعودوا إلى بلادهم فى غضون الأسابيع التالية .

وفى يوم ٢٦ أبريل ١٩٤٥ حدثت مفاجأة لم تكن فى الحسبان عندما صدرت الأوامر للسجناء المصطفين فى الطابور بعد طول انتظار بالعودة إلى تكناتهم . وأصدرت سلطات معسكر داكاو فى الفترة من التاسعة إلى العاشرة صباحًا أمرًا بإخلاء المعسكر من جميع سجنائه واصطفافهم جميعًا فى أرض الطابور تأهبًا للرحيل فى ظهر ذلك اليوم ، الأمر الذى يدل على أن وحدة البوليس الخاصة كانت لا تزال تنوى إخلاء المعسكر من سجنائه حتى لا يقعوا فى يد الجيش الأمريكى تمهيداً لإبادتهم . وقرر زعماء المقاومة داخل معسكر داكاو تعطيل المخططات النازية عن طريق نسف وتخريب استعدادات الرحيل ، وكانوا بذلك يرغبون فى كسب الوقت واستغلال انقسام السلطة النازية فى الرأى والاستفادة من الفوضى التى عاثت فى صفوف النازيين المندحرين .

وفى نفس اليوم تلقى السجناء أخباراً هامة نقلتها امرأة تابعة لوحدة البوليس الخاصة تعمل فى قسم التطهير من الحشرات فى معسكر داكاو . مفادها أن هملر رفض طلب قومندان هذا المعسكر بتسليمه إلى الجيش الأمريكى الظافر .

وتم تنظيم عملية إجلاء معسكر داكاو على أساس التقسيمات القومية . وكان من المفترض بدء عمليات الإجلاء بترحيل الألمان والروس ، ثم الطليان فى الساعة الثانية عشرة ظهراً ، غير أن الوقت كان متأخراً حيث اقترب من الساعة الثانية بعد الظهر حين تمكن النازيون من تجميع السجناء الذين ينوون ترحيلهم ، واختبأ بعض هؤلاء السجناء فى المستشفى . وزاد من الفوضى الضاربة أطنابها فى المعسكر قيام السجناء بتغيير الشارات الدالة على جنسياتهم . وتم توزيع جراية الطعام على المساجين ولكن السجناء الألمان والروس لم يتسلموا حصتهم إلا نحو الثانية مساء . كان السجناء يأملون فى انطلاق صفارات الإنذار كى تعطلهم عن الرحيل ، ولكن طائرات الحلفاء لم تُحلّق

فى سماء داكاو رغم صفائها . وفى الظلام سلط النازيون أضواءهم الكاشفة على حشد من السجناء قوامه سبعة آلاف رجل اصطفوا على أرض الطابور لعدة ساعات . وأخيراً تحرك هذا الحشد فى الساعة العاشرة مساء متجهًا إلى جهة غير معلومة فى طوابير يتكون كل صف فيها من خمسة رجال تحت حراسة وحدة البوليس الخاصة وكلابها . واشتمل هذا الجمع على تسعين قسيسًا . وقيل آنذاك إن القوات الأمريكية كانت آنذاك فى فريزنج Freisirg على بعد عشرين كيلومتراً من داكاو .

وفى صبيحة ٢٧ أبريل ١٩٤٥ سرت شائعة تقول إن طابور السجناء الذين بدأ ترحيلهم فى اليوم السابق لم يتقدم قيد أنملة خلال فترة الليل بسبب اختناق الطريق بالقوافل العسكرية . وظن السجناء أن وحدة البوليس الخاصة قررت وقف عملية الإخلاء . ورغم ذلك فسرعان ما صدر أمر إلى كل السجناء بالتجمع تمهيداً للرحيل . واكتظت الطوابير بحشود السجناء الذين حملوا أمتعتهم . ولكن الأمر بالرحيل سرعان ما ألغى ليحل محله أمر بعودة السجناء إلى زنازينهم . وبطبيعة الحال زاد هذا من الفوضى الضاربة أطنابها فى أرجاء المعسكر ، كما زاد عدد السجناء الراغبين فى البقاء فيه . ونحو منتصف اليوم المشار إليه حاول رجال وحدة البوليس الخاصة تجميع السجناء الألمان والروس والطليان كى يبدأوا الرحيل ، فبدا للسجناء أن وحدة البوليس الخاصة لا تزال تفكر فى إخلاء المعسكر من قاطنيه .

لم يكن أحد يعرف مكان القوات الأمريكية كما لم يكن هناك ما يشير إلى قرب قدومها ، ولم تحلق طائرة أمريكية واحدة فى الجو . وزاد من ارتباك معسكر داكاو أن أفواج السجناء لم تتوقف قط عن الوصول إليه من أماكن أخرى جاءوا فى حالة إعياء شديد وعلى شفا الموت نتيجة الجوع والعطش ، ورغم سوء ظروفهم ربطت بينهم وشائج التضامن .

وفى الساعة الثامنة من مساء يوم ٢٧ أبريل ، بينما رجال المقاومة السرية يعقدون اجتماعًا فى البلوك رقم ٩ (فى مبنى المستشفى) قام النازى باخ باستدعاء ثلاثة منهم أحدهم فرنسى والثانى هولندى والثالث بلچيكى . وخشى زملاؤهم أن يكون باخ قد

اكتشف نشاطهم السرى المناهض للنازية . ولهذا غمرتهم الفرحة عندما عاد إليهم زعماؤهم سالمين ليقولوا لهم إن باخ ومساعده روبرت Ruppert أبلغاهم فى حضرة مورر Maurer مندوب الصليب الأحمر بوصول خمسة لوريات مليئة بطرود الطعام لتوزيعها على سجناء الدول الغربية ولكن الزعماء الثلاثة امتنعوا عن توزيعها على زملائهم لحين التأكد من مغادرة رجال الوحدة الخاصة المعسكر بالفعل خشية استحواذهم عليها .

واستعد رجال الوحدة الخاصة للرحيل من معسكر داكاو تحسبًا لوصول القوات الأمريكية بعد أن نهبوا ما يمكنهم من طرود الطعام التى أحضرها الصليب الأحمر لمساعدة المساجين من مواطنى الدول الغربية . ولاحظ السجناء انقسام قواد معسكر داكاو حول السياسة الواجب انتهاجها نحو السجناء . فقد أراد بعضهم تجنب إراقة الدماء دون داع فى حين حبذ بعضهم تصفيتهم الجسدية . وأثلج صدور السجناء أن يتأكدوا من تخلِّى النازيين عن فكرة إجلائهم من المعسكر وأن يروا جلاديهم من النازيين على أهبة الرحيل ، الأمر الذى منح المقاومة فرصة لإدارة شئون المعسكر بنفسها .

كان المعسكر آنذاك يكتظ بأكثر من ثلاثين ألف سجين معظمهم فى حالة إعياء شديد لدرجة أن أجسامهم تكومت فوق بعضها البعض ، مما جعل مراعاة الشروط الصحية أمرًا مستحيلاً ، وكان مخزون الطعام يكفى ليوم واحد كما كان الانفلات الأمنى واردًا فى أية لحظة .

وفى الساعة الحادية عشرة والنصف فى مساء يوم ٢٨ أبريل اجتمع فى البلوك رقم ٢٤ خمسة عشر رجلاً ينتمون إلى جنسيات مختلفة وقرروا فيما بينهم تشكيل لجنة موسعة كى تحل محل وحدة البوليس الخاصة فى إدارة شئون المعسكر وتنقذ حياة أكبر عدد من السجناء وتعيدهم إلى أوطانهم بطريقة منظمة ، فضلاً عن تقديم الخدمات اللازمة لاستمرار الحياة . وقررت هذه اللجنة منع تحركات السجناء خلال الساعات الخطرة السابقة على تحرير المعسكر باستثناء عدد محدود من المشرفين الذين يحملون تصاريح خاصة حتى لا يحدث ما يُعكِّر صفو الأمن . وفى مساء ذلك اليوم تحدث

قسيس جيزويتى بلچيكى اسمه دى كونينك De Coninck باللغة اللاتينية حتى يتمكن زملاؤه من الجنسيات الأخرى من فهمه . قال : «ارفعوا رءوسكم فقد حان وقت الخلاص» .

وفى نفس اليوم (٢٨ أبريل ١٩٤٥) وقعت أحداث هامة فى مدينة داكاو المجاورة ، حيث توقع الأهالى لأيام عديدة وصول القوات الأمريكية وشعر سكانها بالقلق الشديد بسبب قرب معسكر الاعتقال منهم . وأيضًا خشى سكان مدينة داكاو من اندلاع أحداث الشغب بين السجناء وانخراطهم فى أعمال التشفى والانتقام . وفى اليوم السابق (٢٧ أبريل ١٩٤٥) تم تعيين عمدة جديد لمدينة داكاو اضطلع بمباشرة مسئولياته فور تعيينه .

وقد عجّل بتحرير القوات الأمريكية لمعسكر داكاو أن مجموعة تتكون من نحو ثمانين عاملاً وسجينًا استطاعت نزع سلاح فصيل نازى اتخذ من إحدى المدارس مقرا له ، وأيضًا تمكنت هذه المجموعة من السجناء من احتلال قاعة المجلس البلدى والأبنية المجاورة . وبعد أن أجرى عمدة داكاو مشاورات مع قادة الشرطة عاد نحو الساعة التاسعة صباحًا ليعتقله السجناء دون أية صعوبة . ويبدو أن أحد النازيين استطاع تنبيه وحدة البوليس الخاصة إلى حدوث هذا التمرد فبادرت بإرسال ثلاث فرق إلى المدينة .

وأيضًا حدثت مناوشات بين رجال الوحدة الخاصة الذين يحرسون الجسور والكبارى وبين السجناء عندما انطلقت صفارات الإنذار فى المعسكر. وتضاربت الأقوال فى سبب انطلاق صفارات الإنذار ، فالبعض يذهب إلى أن رجال وحدة البوليس الخاصة هم الذين أطلقوها عندما رأوا المدنيين المسلحين يهاجمونهم . ويقول البعض الآخر إن الثوار والمتمردين هم الذين قاموا بإطلاقها حتى يلزم الناس بيوتهم ويبتعدون عن مناطق الخطر . وأيا كان أى من هذين التفسيرين صحيحًا فمن الثابت أن رجال وحدة البوليس الخاصة بدأوا يمارسون أعمالهم القمعية فى الساعة الحادية عشرة صباحًا وتمكنوا من إخماد ثورة السجناء بسبب تفوقهم فى العدد والسلاح .

وأمضى سكان داكاو ليلتهم فى قلق واضطراب . فقد خشى الجميع بطش وحدة البوليس الخاصة والغارات التى شنتها الطائرات الأمريكية ودباباتهم القريبة منهم . وانتهز مثيرو الشغب فرصة رحيل رجال الوحدة الخاصة فأغاروا على المخازن وسلبوا ونهبوا محتوياتها . وأدت الاشتباكات فى هذا اليوم إلى وفاة ثلاثة سجناء هم فردريش دير Friedrich Durr وأنطون هاكل Anton Hackl وأريخ هوبمان Erich Hubmann .

حدث هذا خارج معسكر داكاو ، ولكن هذا المعسكر خلا من الحوادث فى ليلة ٢٨/٢٧ أبريل، وفيها لم يذق معظم السجناء طعم النوم. كان الصباح مشرقًا وجميلاً ، كما كان اليوم من أبدع أيام الربيع ولدهشة الجميع شوهدت الرايات البيضاء (رايات الاستسلام) وهى ترفرف على صوارى المعسكر بدلاً من الأعلام التى تحمل الصلبان المعقوفة . ورغم رفع الرايات البيضاء كان الجنود الألمان لا يزالون يحتلون أبراج الحراسة وقد صوَّبوا بنادقهم الرشاشة فى اتجاه مبانى المعسكر . ولم يكن رجال الوحدة الخاصة يحرسون الأبراج هذه المرة ، فقد حلَّت محلهم قوات قتالية نازية تتكون من مائتى جندى بقيادة ضابط كبير . وعندما توجه السجناء المشرفون على معسكر داكاو إلى بوابته لأداء خدماتهم اليومية اللازمة للسجناء ردهم رجال الوحدة الخاصة على أعقابهم وأرجعوهم من حيث أتوا ، فذهب مندوبان عن لجنة المقاومة أحدهما بلچيكى اسمه آرثر هولوت Arthur Haulot والآخر اسمه أوسكار مولر Oskar Muller للاجتماع بضابط الوحدة الخاصة والتفاوض معه . وهدد هذا الضابط بإطلاق الرصاص إذا رأى أية بادرة فوضى أو تمرد من جانب السجناء مهما كانت تافهة . ولكن المندوبين عن السجناء حذرا الضابط بشدة من مغبة أية حماقة يرتكبها وقالا له : « إن الثورة سوف تندلع فى المعسكر إذا لم يتلق آلاف السجناء حصتهم من الطعام التى تصرف لهم فى منتصف اليوم . وجاء تحذير مندوبى السجناء مفحمًا ومقنعًا . والجدير بالذكر أن اللجنة الدولية (أى لجنة المقاومة) استطاعت الحفاظ على الأمن والنظام فى معسكر داكاو فى الشهور الأخيرة من الحرب حتى الأيام الأخيرة فيها . ورغم التنافر فى جنسياتهم فقد نجحوا فى ذلك إلى حد كبير .

والواقع أن الجيش الأمريكى ظل لعدة أيام على بعد أربعين كيلومترًا لا يتحرك صوب معسكر داكاو ، الأمر الذى سبب قلقًا شديدًا بين السجناء . وفى يوم ٢٦ أبريل وهو اليوم الذى توجهت فيه أول قافلة من سجناء داكاو إلى جبال الألب أصدرت المقاومة الأمر إلى فريق من السجناء الموثوق بهم بقيادة الكابو إيخمولر Eichmuller بحرق جميع الشاحنات التى تحمل طرود الطعام التى بعثت بها منظمة الصليب الأحمر والتى تعرضت للنهب والسلب من قِبَل رجال الوحدة الخاصة . ورغم أن قافلة السجناء المتجهة إلى جبال الألب كانت بحراسة أحد رجال وحدة البوليس الخاصة فقد قامت دورية نازية بتفريقها ، ولكن اثنين من السجناء الشديدى المراس والأقوياء فى شكيمتهم هما نيكولاوس هوسنر Nicolaus Hausner وكارل ريمر Karl Riemer لم يباليا بالأخطار التى تحيق بهما وواصلا السير حتى نجحا فى الوصول إلى منطقة فافنهوفن Pfaffan-hofen المجاورة التى تبعد أربعين كيلومترًا شمال داكاو . وفى حين اختبأ هوسنر فى هذه المنطقة التى أتى منها ويعرفها جيدًا فى بيت أحد الفلاحين توجه رايمر لا يلوى على شىء إلى المنطقة الواقعة تحت الاحتلال الأمريكى ، وأبلغ القائد الأمريكى بالخطر الذى يحيق بالسجناء فى معسكر داكاو . وعلى الفور أمر القائد الأمريكى مفرزة من سلاح المشاة والدبابات التابعة للقسم ٤٥ بالتوجه إلى داكاو تحت إمرة الجنرال ليندن Linden .

كانت المدينة الألمانية المجاورة لمعسكر داكاو تستعد للتسليم ورفع الراية البيضاء بسبب توقعها وصول القوات الأمريكية فى أية لحظة . وهدد القائد النازى سكان هذه المدينة بالويل والثبور وعظائم الأمور إذا أقدموا على الاستسلام للعدو ، غير أن هذا القائد ما لبث أن فرّ هاربًا نحو الثامنة صباحًا . وفى نحو الساعة العاشرة صباحًا قام القائد العسكرى فى هذه المدينة – واسمه برتشنيدر Brettschneider – بالانسحاب منها ونقل مركز قيادته إلى موقع آخر . وفى منتصف النهار تقريبًا ظهرت أول دبابة أمريكية فى الميدان الذى تطل قاعة المجلس عليه قادمة من أوجسبرج Augsburg ، ثم تحركت بعد وقفة قصيرة فى اتجاه جسر نهر الأمبر Amper . ولم تستطع الدبابة الأمريكية عبور الجسر بسبب تفجيره تفجيرًا شديدًا أصاب المبانى المجاورة بالضرر .

وفى نفس الوقت تمكنت خمس أو ست دبابات أمريكية أخرى من اختراق المدينة . فتقدم رئيس البوليس حاملاً الراية البيضاء لاستقبالها . وفى نحو الثانية بعد ظهر هذا اليوم وصلت كتيبة مشاة أمريكية وسيطرت على المدينة المكتظة بسكانها نتيجة تدمير معظم خطوط الاتصال .

وبطبيعة الحال بلغ اضطراب سجناء معسكر داكاو ذروته وهم يشاهدون الأمريكان يحتلون المدينة ، ولكن لجنة المقاومة التى شكلها السجناء طلبت من زملائهم عدم الخروج من المبانى حتى لا يتعرضون للأذى . وفى حوالى الساعة الثالثة ظهراً سمعت طلقات الرصاص من بعيد ، ولم تمض ساعة حتى دافع الحراس من أبراج المراقبة باستخدام الرشاشات رغم أنهم كانوا قد رفعوا الراية البيضاء . واستمر تبادل إطلاق النار بين القوات الأمريكية القادمة وبين الحراس الألمان لفترة من الوقت . وفى تلك اللحظة سقط آخر الضحايا من السجناء فى معسكر داكاو . وكان السجين القتيل بولندياً وقاتله أحد رجال الوحدة الخاصة الذى أردى ضحيته قتيلاً عندما رآه يجرى نحو بوابة المعسكر لاستقبال أول مركبة أمريكية تظهر فى الأفق ، ثم عادت هذه المركبة من حيث أتت . وفجأة فى الثالثة والربع من ظهر ذلك اليوم رأى السجناء من مخابئهم ثلاث مركبات استطلاع أمريكية مسلحة عند مدخل بوابة المعسكر ، ولم تمض لحظات حتى احتشد السجناء ليروا الأمريكان يتقدمون ، وكانت من طليعة القادمين شابة أمريكية تعمل مراسلة حربية .

وبعد انقضاء ربع ساعة انطلقت رصاصات لم يعرف مصدرها فى بادئ الأمر ، ثم اتضح أن الجنود الأمريكان أطلقوها على الحراس النازيين الذين نزلوا من أبراجهم وهم يحملون السلاح . رأى السجناء عدداً من جثث وحدة البوليس الخاصة : خمس جثث بالقرب من البرج (ب) ، وثمانى جثث بالقرب من بوابة المزرعة . وبقيت هذه الجثث فى مكانها لبضعة أيام . واقتاد الأمريكان مجموعات أخرى من رجال وحدة البوليس الخاصة رفعوا أيديهم للدلالة على استسلامهم . وبينما كان آلاف السجناء يروحون ويغدون فى المعسكر ظهر أمريكى مرتدياً زيه العسكرى فى أعلى البرج .

وتبين أن هذا المجند قسيس طلب من الجمهور الواقف أن يتوجه بالشكر لله لأنه سمح بتحرير السجناء وبعودتهم السريعة إلى أوطانهم . وعمت معسكر داكاو أجواء احتفالية تطفح بالبشر . فقد رحب الجميع بمقدم القوات الأمريكية ، وبأعجوبة صنعت أعلام جميع دول السجناء من الأقمشة المتروكة . وفى مساء يوم التحرير وضعت الزينات فى بعض مبانى المعسكر .

وعكّر صفو هذا الاحتفال سماع أصوات عدد من الأعيرة النارية أطلقت بعد الساعة الثامنة بوقت قصير ، بينما كان القساوسة يقيمون القداس فى الكنيسة الصغيرة يتقدمهم قسيس ليتوانى طاعن فى السن فى الثانية والثمانين من عمره يدعى بويدو Puido ، وإلى جانب طلقات الرصاص سمع الحاضرون أصوات بعض الانفجارات المدوية. ولكن الهدوء سرعان ما عاد إلى المعسكر ، واتضح فيما بعد أن هذه الانفجارات حدثت نتيجة الهجوم الفاشل الذى شنته كتيبة فايكنج التابعة لوحدة البوليس الخاصة والذى تمكن الأمريكان من دحره .

وفى معسكر يوم ٢٩ أبريل ١٩٤٥ قام الأمريكان بتحرير آلاف السجناء من معسكر داكاو . ورغم ذلك فقد ظل مصير آلاف السجناء الآخرين ممن تم ترحيلهم فى عربات القطار غامضًا ، وقد تأخر تحرير الكثيرين منهم إلى يوم ٦ مايو ١٩٤٥م .

والجدير بالذكر أن ترحيل بعض سجناء داكاو لم يتم وفقًا للخطة الموضوعة ، فعلى سبيل المثال غادر يوم ٢٣ أبريل ١٩٤٥ القطار حاملاً نحو ألفى رجل ومتجهًا إلى محطة أويتزال Oetztal ولكنه لم يسافر إلى أبعد من محطة سيفلد Seefeld ليرجع بالسجناء من حيث أتى . وقد تم تحرير هذه المجموعة يوم ٣ مايو ١٩٤٥ فى مدينة ميتنوالد Mittenwald . ونفس الشىء حدث لشحنة أخرى من السجناء المرحلين على متن أحد القطارات والبالغ عددهم نحو ثلاثة آلاف سجين . فقد غادر هذا القطار داكاو يوم ٢٥ أبريل ليصل إلى محطة سشويت Seeshaupt حيث قام الجيش الأمريكى بتحريرهم ، وهناك أفواج كثيرة من السجناء المرحلين حررتهم القوات الأمريكية بنفس الطريقة .

ولعلنا نذكر أن فوجًا من السجناء تم ترحيلهم من معسكر داكاو فى طابور فى مساء يوم ٢٦ أبريل ١٩٤٥ وبلغ بهم الإعياء كل مبلغ وبخاصة بعد هطول السيول الغزيرة عليهم طيلة الليل . وبعد وصول هذا الفوج إلى غرب ورمسى Wurmsce قام النازيون بتقسيمهم إلى مجموعتين اتجهتا إلى بلدة باد تولز Bad Tolz عبر طريقين مختلفين . وأخيرًا قام الأمريكان بتحريرهم على مدار خمسة أيام مختلفة ، وفى تواريخ مختلفة أيضًا ، فقد تم تحرير البعض فى بلدة بويربرج Beuerberg يوم ٣٠ أبريل ١٩٤٥ والبعض الآخر فى بلدة فوكيرشن Waakirchan فى أول مايو إلى جانب تحرير سجناء آخرين يوم ٢ مايو ١٩٤٥ فى كل من ديرنباخ Duernbach وروتباخ Rottbach وتيجرنسى Tegernsee. غير أن بعض أفراد هذا الفوج السائر على الأقدام لقوا حتفهم على جانب الطريق إما نتيجة الإنهاك الشديد أو الضرب بالرصاص على أيدى حراسهم النازيين. وبطبيعة الحال استطاع بعض السجناء الهرب من الطابور تحت جنح الظلام. وأشفق بعض الأهالى الألمان على هؤلاء السجناء فى أثناء سيرهم فحاولوا تقديم الأطعمة إليهم ولكن الحراس زجروهم . والجدير بالذكر أن عدد الذين ماتوا فى أثناء سيرهم فى الطابور يبلغ ٩٨٧ رجلاً لم تعرف هوية ٨٩٧ منهم . واضطر أهالى القرى الألمانية المجاورة إلى دفن أعداد كبيرة من هؤلاء الموتى فى مقابر القرية ولكن قبورهم نبشت فيما بعد واستخرجت جثثهم منها .

١٣ - داكاو بعد التحرير :

عندما احتلت القوات الأمريكية معسكر داكاو وجدته فى حالة زرية للغاية . وأعد الأمريكيون تقارير عن حالة هذا المعسكر بعد احتلاله مباشرة ، جاء فى واحد منها أنهم (أى الأمريكان) شاهدوا سلسلة من عربات النقل من جميع الأنواع تنتظر خارج المعسكر حاملة السجناء فى ملابس السجن المقلمة أو المخططة وهم يرقدون على برازهم. وكان فى مقدمة العربات جثث لاثنين أو ثلاثة من السجناء أسلموا الروح بمجرد نزولهم من هذه العربات. ووصل القطار الذى يقل السجناء بعد ظهيرة يوم ٢٨ أبريل ١٩٤٥ غير أنه لم يكن هناك متسع من الوقت لنقل الجثث ، كما كانت هناك أيضًا سلسلة من عربات البضائع على خط السكة الحديد المؤدى إلى مقر رجال الوحدة الخاصة . ورغم خلو هذه العربات من السجناء فإن البراز كان لا يزال يلطخها .

وكانت حالة معسكر داكاو مفزعة للغاية ، ولهذا شكَّل الكونجرس الأمريكى لجنة استقصاء زارت المعسكر يوم ٢ مايو ١٩٤٥ وكتبت التقرير التالى :

«وجدنا فى ثكنة من أفضل الثكنات ٣٩٠ سجينًا مكتظين فى مساحة صممت لاستيعاب خمسين سجينًا كان معظمهم مصابين بالتيفوس أو بالسل . وبدا جميعهم هياكل عظمية بسبب نقص الطعام . وفى الخارج كانت هناك كومة من الجثث مكونة من ثلاثمائة جثة تم نقلها من الثكنات فى ذلك الصباح بالقرب من غرفة الغاز . كانت هناك حجرتان مساحتهما ٣٠ قدمًا × ٥٠ قدمًا ، وعند قيامنا بزيارة المعسكر وجدنا هاتين الحجرتين مملوءتين بالجثث ، وفى إحدى هاتين الغرفتين كانت هناك أكوام غير منتظمة من الجثث فى حين كانت كومة الجثث فى الغرفة الثانية منظمة بعناية . وبلغ ارتفاع الكومة غير المنتظمة نحو عشرة أقدام ، كما غطت هذه الكومة جزءًا كبيرًا من أرضية الحجرة المصنوعة من الحجارة ، وكانت كل الجثث عارية . وكان من الواضح أن معدل الوفيات اليومى الراجع إلى الإعدامات وغيرها من الأسباب فاق قدرة المحرقة على استيعاب الجثث وحرقها . والجدير بالذكر أن الجنود الأمريكان أظهروا ولعًا غير عادى بتصوير ما شاهدوه فى معسكر داكاو فى أفلام قبل ترتيب الغرف والمبانى المختلفة ،

الأمر الذى مكنهم من تقديم وثائق مصورة لا يرقى إليها الشك إبان محاكمة مجرمى الحرب النازيين .

لم يكن من الممكن إعادة السجناء إلى أوطانهم الأصلية على وجه السرعة بسبب تفشى وباء التيفوس ووفاة عدد كبير من هؤلاء السجناء نتيجة هذا الوباء . ومن ثم تقرر تأجيل عمليات إعادة السجناء إلى أوطانهم الأصلية حتى لا تنتقل العدوى إلى المدنيين والجنود على حد سواء ، ولهذا تم وضع المعسكر بأسره فى الحجر الصحى لحين تحسن أحواله .

وإلى جانب هذا كان هناك نقص حاد فى وسائل المواصلات ، فمعظم القطارات محطمة ، كما أن استمرار العمليات العسكرية أعاق إجلاء آلاف السجناء من المعسكرات المحررة ، وتعين عليهم الانتظار حتى تمد الحكومات المختلفة إليهم يد المعونة . ولكن قوات الحلفاء عملت فى نفس الوقت على تحسين ظروف السجناء المعيشية وتقديم وجبات طعام أفضل ، كما أنها بذلت جهداً لاستتباب الأمن والنظام فى المعسكرات المختلفة . ومن جانبها اعتنت القوات الأمريكية بالسجناء المرضى فى داكاو فأقامت لهم المستشفيات لعلاجهم وتلقيحهم بالأمصال الواقية من الأمراض .

وفى مساء يوم تحرير معسكر داكاو (٢٩ أبريل ١٩٤٥) قدم جيش التحرير الأمريكى للسجناء كميات وفيرة من الخبز واللحوم المحفوظة فى علب ، ولكن هذا التحسن المفاجئ فى نوعية الطعام جرّ فى أذياله مشكلات صحية جديدة ، حيث إن معدة السجناء السقماء لم تتحمله . ولم تقتصر المشكلة على الطعام وحده ، بل امتدت إلى توزيع الملابس والملاءات النظيفة . وعيَّن جيش الاحتلال الأمريكى عدداً كبيراً من الحراس لمنع السجناء من الخروج من المعسكر دون تصريح ، كما تكفَّل هذا الجيش بدفن الجثث الكثيرة المتناثرة على نحو لائق وكريم . وطلب الجيش الأمريكى من سكان مدينة داكاو المجاورة مساعدة سجناء المعسكر لاجتياز محنتهم . وحتى يستجيب هؤلاء السكان لهم أخذوا نفراً منهم لمشاهدة محنة السجناء فى الواقع وعلى الطبيعة . ولم تكن معسكرات داكاو الفرعية أحسن حالاً من المعسكر الرئيسى وبخاصة معسكرى

ألاخ وكوفرنج ، ولم يجد الجيش الأمريكى مناصًا من استخدام السجناء الأصحاء للعناية بزملائهم المرضى .

وفى اليوم التالى لتحرير معسكر داكاو (أى يوم ٣٠ أبريل ١٩٤٥) عقدت لجنة المقاومة بالمعسكر المعروفة باسم اللجنة الدولية أول اجتماع لها بقائد جيش الاحتلال الأمريكى . وتولى الجيش الأمريكى حراسة المعسكر من الخارج فى حين تولت اللجنة الدولية حراسته من الداخل وذلك تحت إشراف رئيسها بات أوليرى Pat O' Leary ونائبيه الجنرال ميخائيلوف Michailov (من الاتحاد السوفييتى) وآرثر هولوت Arthur Haulot (من بلچيكا) . وعلى الفور تم تشكيل عدد من اللجان الأخرى اللازمة لتسيير دفة الحياة فى المعسكر (مثل العناية بالطعام والصحة والأمن ...) . وكانت اللجنة الدولية تمثل جميع جنسيات السجناء الموجودين فى داكاو . وقد تولت لجانها الفرعية تسجيل رعايا هذه الجنسيات سرا حتى قبل أن يسقط المعسكر فى أيدى الأمريكان . واضطلعت كل جنسية بمهمة إصدار نشرة بلغتها تحتوى على المستجدات الخاصة بأخبار كل جنسية وعلى الإجراءات التى تتخذ لتحسين ظروف الحياة فى المعسكر . فضلاً عن تناول الطرق التى تمكن السجناء من إزجاء وقت فراغهم بعد سنوات طويلة من التوتر العصبى .

وقررت اللجنة الدولية أن تحتفل بيوم تحرير المعسكر فى أول مايو . وفى خلال ثمانية وأربعين ساعة أقيمت منصة كبيرة رفعت عليها أعلام جميع القوميات والجنسيات . وفى صبيحة اليوم الأول من شهر مايو ١٩٤٥ اصطف السجناء وفقًا لجنسياتهم تسبقهم الأعلام ليسيروا لآخر مرة على أرض الطابور . ورغم ابتهاجهم بالحرية فإنهم لم ينسوا مطلقًا تكريم موتاهم . ولسوء الحظ لم تنخفض نسبة الوفيات بين سجناء داكاو حتى بعد تحريره . ففى شهر مايو وحده سقط ميتًا ٢٢٦٦ سجينًا ، كما سقط فى الفترة من ١ حتى ١٦ يونية ١٩٤٥ مائتان من السجناء . وأيضًا ارتفعت أعداد المرضى ارتفاعًا كبيرًا . وبلغ عدد المرضى يوم ١٥ مايو ١٩٤٥، ٣٨٦ مريضًا فى المستشفى رقم ١ و ٢٨٠٤ فى المستشفى رقم ٢ .

وأخيراً تم إلغاء الحجر الصحى بالمعسكر يوم ١٢ مايو ١٩٤٥ . وفى اليوم التالى (١٣ مايو) غادر المعسكر فى لوريات رهط من السجناء البلچيكيين . واستمرت عمليات ترحيل السجناء على يد الأمريكان . وفى غضون نحو شهر واحد من تحرير داكاو تمكنت القوات الأمريكية من إعادتهم إلى أوطانهم . وبطبيعة الحال واجهت السلطات الأمريكية مشاكل شائكة مثل استحالة إعادة بعض السجناء السياسيين إلى أوطانهم لما انطوى عليه ذلك من خطر على حياتهم .

وفور تحرير المعسكر أطلقت السلطات الأمريكية النار على بعض السجناء المشرفين لما ارتكبوه من جرائم مثل مينساريان Meanssarian وويرنيك Wernicke . وقبل نهاية عام ١٩٤٥ تم القبض على مجموعة من رجال وحدة البوليس الخاصة بتهمة ارتكاب جرائم حرب إلى جانب القبض على الدكتور شلنج الذى أجرى تجارب حمى الملاريا على بعض السجناء. وقد تمت محاكمتهم فى نفس الأماكن التى ارتكبوا فيها جرائمهم. وأمر قائد الجيش الثالث الأمريكى بتقديمهم إلى المحاكمة فى ٢ نوفمبر ١٩٤٥ ؛ وترأس هذه المحاكمة البريجادير جون م. لنتز John M. Lentz . وشملت المحاكمة ٤٢ متهماً من بينهم فايس أحد قواد معسكر داكاو وأربعة أطباء تابعين لوحدة البوليس الخاصة والطبيب المدنى شيلنج . وبلغ عدد الشهود فى هذه المحاكمة نحو ٧٠ شاهداً ساندوا الادعاء وأكثر من ٥٠ شاهداً يساندون الدفاع . وقد تولى محام ألمانى الدفاع عن الثلاثة المتهمين المشار إليهم . وعقدت المحكمة أولى جلساتها يوم ١٥ نوفمبر ١٩٤٥ . وصدرت الأحكام على المتهمين يوم ١٤ ديسمبر من نفس العام ، وتم إعدام ٣٦ منهم شنقًا ، وصدرت أحكام بالسجن على أربعة منهم . وفى ٢٤ يناير ١٩٤٦ قام الجنرال الأمريكى ترسكوت Truscott بتخفيف ثلاثة أحكام بالإعدام إلى الحبس . كما خفف الحكم على واحد منهم من عشرة أعوام سجن إلى ٥ أعوام سجن ، وبعد أقل من ساعتين من صدور الحكم قامت القوات الأمريكية بنقل المذنبين إلى سجن لاندزبرج Landsberg الذى سبق الزج بهتلر فيه عام ١٩٢٣ . وفى الشهور التالية صدر عفو عن بعض السجناء فى حين تم إعدام الآخرين فى نهاية مايو ١٩٤٦م .

وكذلك صدرت فى داكاو أحكام على بعض أفراد الوحدة الخاصة بسبب ارتكابهم جرائم فى معسكرات أخرى ، فضلاً عن أن بعض المحاكم الألمانية أصدرت فيما بعد أحكامًا على بعض العاملين فى وحدة البوليس الخاصة فى معسكر داكاو على رأسهم هوفمان Hoffman وزيل Zill . وكان معسكر داكاو مسرحًا لعدة محاكمات أخرى مثل محاكمة بعض رجال وحدة البوليس الخاصة الذين أقدموا على ذبح أسرى الحرب الأمريكان فى نهاية ١٩٤٤ ، ومعنى ذلك أن الزنازين التى كان السجناء يشغلونها أصبحت بعد التحرير تأوى أعدادًا غفيرة من رجال الوحدة الخاصة .

وفى خلال الأعوام التالية تحول معسكر داكاو بفضل جهود اللجنة الدولية (لجنة المقاومة) وبعض المؤسسات الدينية والمدنية إلى مكان للتأمل والعبادة والصلاة . وقامت هذه اللجنة بنقل مقابر السجناء الجماعية فى كل من ليتنبرج Leitenberg ووالدفريدهوف Waldfriedhof إلى مقابر كريمة لائقة ، ولهذا تم استخراج جثث ٦٢٢٣ سجينًا من مقابر ليتنبرج ليعاد دفنها بكرامة ، كما دفنت هناك ١١٢٤ جثة بعد نقلها من تسعة أماكن مختلفة . وفى بلدة والدفريدهوف استخرجت ٢٥٦ جثة من تسعة عشر مكانًا مختلفًا لدفنها بجوار ١٦٣ جثة كانت مدفونة أصلاً هناك .

١٤ – أعداد الموتى فى معسكر داكاو :

فى يوم ١٣ يونية ١٩٦٦ توفرت إحدى لجان الصليب الأحمر فى أروسلن Aroslen بألمانيا على نشر نتائج الأبحاث التى أجريت فى نهاية الحرب العالمية الثانية عن إحصائيات الوفيات فى معسكر داكاو ومعسكراته الفرعية . وطبقًا لما نشرته هذه اللجنة بلغ عدد السجناء الذين توفوا نتيجة تطبيق برنامج القتل الرحيم فى عام ١٩٤٢ خمسة آلاف ومائة وسبعة وعشرين سجينًا . وبفحص الوثائق الموجودة فى أروسلن اتضح أن النازيين لم يسجلوا فى دفاترهم وفاة ١٨٣٣٣ سجينًا ، الأمر الذى يشير إلى أن مجموع الوفيات بلغ ٣١٩٥١ (١٣٦١٨ + ١٨٣٣٣) .

وأيضًا لم تقم السلطات المدنية فى مدينة داكاو بتسجيل وفيات السجناء قبل وبعد تحرير المعسكر . ويجدر بالذكر أن معسكرات داكاو الفرعية لم تقم بتبليغ المعسكر الرئيسى بالوفيات ، وحتى إذا سلمنا بوجود قوائم كاملة بأعداد الوفيات فى معسكر داكاو الرئيسى حتى فبراير ١٩٤٥ فإنه من المؤكد أن إعداد مثل هذه القوائم ابتدأ من شهر مارس ١٩٤٥م .

وليس هناك فى أروسلن إحصاء دقيق أو كامل بعدد الموتى ، وفى محكمة جرائم الحرب فى نورمبرج قدرت الدكتورة بلاها Blaha عدد الوفيات فى عام ١٩٤٢ وحده بنحو خمسة آلاف أو ستة آلاف سجين .

وكذلك تسببت المحاولات السابقة التى بذلها النازيون لإجلاء معسكر داكاو فى شهرى مارس وأبريل ١٩٤٥ فى مقتل أعداد كبيرة من السجناء فى عربات البضائع بالقطارات وفى مسيرات الموت وطوابيرها المتجهة نحو الجنوب . غير أن معرفة عدد الوفيات الناجمة عن عمليات الترحيل من داكاو يصبح أمرًا عسيرًا إذا علمنا بوجود عدد من المعسكرات الأخرى مر عليها سجناء داكاو فى أثناء مسيرتهم . ومما يزيد من صعوبة معرفة أعداد الموتى أن السلطات النازية توقفت منذ شهر أكتوبر ١٩٤٣ – باستثناء حالات قليلة – عن تسجيل وفيات السجناء الروس والبولنديين . وتعقدت الأمور

أكثر وأكثر حين عثر الباحثون على قوائم مختلفة لأعداد الوفيات بين سجناء داكاو ، فضلاً عن أن الجنسيات المختلفة داخل هذا المعسكر تركت لنا عدداً من الإحصائيات المتضاربة التى تشتمل على أسماء مكررة ، فهى تسجل أحياناً بعض الأسماء على أنها يهودية وتسجلها أحياناً أخرى على أنها بولندية ، أضف إلى ذلك تضارب البيانات والأرقام التى أدلى بها السجناء أنفسهم . ويزيد أيضاً من نسبة الأخطاء أن بعض السجناء كانوا يعتبرون فى عداد الموتى فى حين أنهم انتقلوا للعمل فى أماكن أخرى . ولهذا اعترف الصليب الأحمر العامل فى أروسلن بعدم دقة سجلات الوفيات وأورد فى تقريره ما يلى : «على الرغم من احتفاظ الزمن بسجلات معسكر داكاو سليمة إلى حد كبير وحتى إذا أخذنا فى الاعتبار وجود ثغرات واضحة فى هذه السجلات فإن عدد الوفيات التى حدثت فى معسكر داكاو لا يمكن معرفته على وجه الدقة» .

ورغم هذا فإنه يزيد بعدة آلاف عن العدد المذكور آنفاً وهو ٣١٩٥١ .

الجزء الثانى

إحصائيات وبيانات عن معسكر داكاو وتوابعه

(١) إحصائية بعدد السجناء طبقاً لجنسياتهم
يوم ٢٦ أبريل ١٩٤٥

الجنسية	عدد السجناء
بولنديون	١٤٩٩٤
روس	١٣٥٣٦
مجريون	١٢٠٦٧
ألمان	٦١١٨
فرنسيون	٥٧٠٦
طليان	٣٣٨٨
ليتوانيون	٣٢٥٠
تشيكيون	١٩٧٤
سلوفينيون	١٧٤٦
بلچيكيون	٩٨٩
هولنديون	٨٣٦
كروات	٨١٨
صربيون	٥١٦
يونانيون	٣٣٨
إسبان	٢٨٦
سلوفاك	٢٤٤

ليتوانيون	٢٣٠
لوكسمبورجيون	٢١١
أتراك	٨٦
نورويجيون	٧٧
رومانيون	٦٩
بلغاريون	٥٤
ألبان	٤٤
غير المنتمين إلى أى دولة	١٧
بريطانيون	١٣
سويسريون	١٢
أمريكيون	١١
بورتغاليون	٨
سويديون	٧
إستونيون	٥
أرمن	٤
عرب	٣
صينيون	٢
دانيماركيون	١
فنلنديون	١
يابانيون	١
كنديون	١
إيرانيون	١

(٢) معسكرات فرعية خارجية للرجال تابعة فى إدارتها لمعسكر داكاو الرئيسى من واقع وثائق أروسلن

Name of Kommando	Work	Average number	First mention	Last mention
Ampermoching, Teichbau-Kdo	S.S. factory	113	1935	
Dachau, Torfstecher-Kdo	" "		"	
München-Schwabing, Sch. Pia.	—	2	9.3.37	1.12.42
Tölz, Zbl.	Construction work	95	1.5.40	18.4.45
Tölz, S.S.-Junkerschule	S.S. factory	37	"	"
Nürnberg, S.S.-Nachr. Ers. Batl.	" "	10	12.5.40	1942
Radolfzell, S.S.-Unterf. Sch.	" "	100	19.5.40	16.1.45
Sudelfeld, S.S.-Berghaus	" "	10	22.6.40	20.4.45
Sudelfeld, Luftw.	—	10	"	"
Ellwangen, SS-Krad. Ers. Batl.	S.S. factory	35	30.6.41	17.10.42
Schleissheim, Berufsschule-Entl.-Stelle	" "	60	5.10.41	31.3.45
Heidenheim, Polizeischule	" "	50	20.10.41	26.11.42
München, Standortverw. Freimann, ZBL.	Construction work	27	10.11.41	14.4.45
München, RF-SS-Hauptkasse	S.S. factory	10	5.2.42	31.1.45
Bad Ischl, Umsiedlerlager	" "	60	9.2.42	20.12.42
Augsburg-Pfersee, Me	Aeronautical	1,500	14.2.42	14.4.45
Augsburg-Pfersee-Jugendliche	"	200	"	"
München-Sendling, Arch. Bückler	Construction work	40	16.3.42	1.12.42
Feldafing, Hoch-Tief AG	" "	40	6.4.42	23.4.45
München, Ehrengut	—	20	7.4.42	11.9.42
Nürnberg, SS-Unterkunft	S.S. factory	42	12.5.42	1942
St. Lambrecht	—	56	13.5.42	—
St. Gilgen am Wolfgangsee	—	20	15.5.42	18.12.42
Heppenheim, Deutsche Versuchs.	—	28	28.5.42	"
München, Lebensborn	S.S. factory	20	15.6.42	—
Bad Ischl, Holzfäller-Kdo	—	20	18.6.42	20.12.42
Lind, Schloss	—	18	22.6.42	1943
München, Thomae, Grosschlächterei	Food production	—	25.8.42	1942
München, Dyckerhoff u. Widmann	Construction work	25	19.9.42	10.12.42
Traunstein	—	20	8.10.42	10.11.42
Innsbrück, Reichsrassenbauamt	Construction work	30	13.10.42	24.4.45
Neustift, SS-Hochgebirgsch. Zbl.	" "	20	"	14.4.45
Passau, Obermilzmühle	Food production, Agriculture	24	19.10.42	1943
Valepp, Zbl.	Construction work	21	1.11.42	1.12.42
München, Akdo Maler	" "	7	5.11.42	1942
München, Mannschaftshäuser	S.S. factory	—	10.11.42	—
München, Bartholitwerke	Machinery	30	12.11.42	1943
Halfing	—	10	19.11.42	18.12.42
Salzburg, Fa. Schurich	—	2	11.12.42	"
München, Akdo Feuerwehr	—	—	11.3.42	—
Allach, BMW	Aeronautical	3,800	19.3.43	15.4.45

Name of Kommando	Work	Average number	First mention	Last mention
Nürnberg, Bauvorhaben, Zbl.	Construction work	50	11.6.43	22.3.45
Dachau, Fa. Präzifix	Metal industry	400	30.6.43	14.4.45
Dachau, Wülfert	Food-production	300	,,	,,
Augsburg, Messerschmidt	Aeronautical	—	,,	—
Kottern, ,,	,,	750	mid-43	20.4.45
Eisenach, Dürerhof, BMW	,,	400	14.3.44	17.2.45
Thansau, RF-SS-Gut.	S.S. factory	50	5.3.44	17.1.45
Saulgau, Fa. L. Bautz	Aeronautical	400	8.4.44	14.4.45
Friedrichshafen	,,	400	,,	—
Allach, Porzell. Manuf.	S.S. factory	50	3.3.44	17.1.45
Germering-Neuaubing.	Machinery	100	9.5.44	6.9.44
Seehausen-Uffing, Zbl.	Construction work	8	18.5.44	14.4.45
Seehausen, Feinmech. Dr. Jung	Metal industry	26	,,	—
Salzburg, SS-QA. Alpenland, Zbl.	Construction work	10	22.5.44	14.4.45
Kaufbeuren, BMW	Aeronautical	300	23.5.44	20.4.45
Pfersee, Horgau, Mc	,,	200	,,	Nov. 44
Gmund, RF-SS.-Zbl. Stollenbau Ackerberg	Construction work	14	,,	14.4.45
Ottobrunn, Luftfahrtforsch.	Aeronautical	450	24.5.44	17.4.45
Schlachters-Siegmarszell	—	6	25.5.44	7.4.45
Gendorf, Anorgana	—	250	26.5.44	14.4.45
Kempton, Oberbürgermeister	—	500	,,	23.4.45
München-Oberföhring, Zbl.	Construction work	6	1.6.44	14.4.45
Kaufering, OT-AL.-III	,, ,,	1,340	,,	,,
Lauingen, Birksackerhof, Mc	Aeronautical	712	6.6.44	25.4.45
Hallein, SS-Geb. Jg. Ausb. U. Ers, Btl. Zbl.	Construction work	60	9.6.44	22.4.45
München, Gestapo	S.S. factory	45	13.6.44	14.4.45
Dachau, Rohrmattenfabrik, BMW-Fertigung	Aeronautical	100	11.6.44	—
München, SS-OA. Süd	S.S. factory	10	,,	31.3.45
München, Loden-Frey	—	30	13.6.44	14.4.45
Mühldorf, OT-Obl.	Construction work	4,300	27.4.44	28.4.45
Allach, OT-Bau	,, ,,	382	30.7.44	—
Karlsfeld, OT-Arbeitslager	,, ,,	745	,,	14.4.45
Rotschwaige, ,,	,, ,,	512	31.7.44	31.3.45
Bäumenheim-Asbach, Mc	Aeronautical	500	1.8.44	14.4.45
Blaichach, BMW	,,	700	25.8.44	,,
Kaufering, OT-Arb. Lager I-Landsberg	Construction work	2,500	27.8.44	,,
Kaufering, OT-Arb. Lager IV	,, ,,	3,080	,,	,,
Weissee	Railway	450	1.9.44	12.12.44
Markt Schwaben, Zbl.	Construction work	17	2.9.44	23.4.45
Kaufering, OT-Alg. V, Utting	,, ,,	510	,,	,,
Kaufering, OT-Alg. VII, Erpfting	,, ,,	1,180	,,	,,
Türkheim, OT-Alg.	,, ,,	405	,,	,,
München, Chem. Werke Bärlocher	—	32	,,	,,
München, Gartenbaubetr. Nützle	Food-production, Agriculture	26	,,	,,
München, Musikverl. Bote & Bock	—	1	,,	,,
München, Standortkdtr.	S.S. factory	10	,,	,,
Dachau, Versuchsg. Papenschw.	Food-production, Agriculture	9	1.1.45	—

Name of Kommando	Work	Average number	First mention	Last mention
Dachau, Standortkdtr.	S.S. factory	1,445	"	—
Dachau, Angorazucht	" "	80	"	—
Dachau, Hauptwirtschaftslager d. Wa-SS	" "	24	"	—
Dachau, Institut f. Wehrwirts.	" "	5	1.1.45	—
Dachau, Lazarettverw.	" "	35	"	—
Dachau, Waffentechn. (WTL)	" "	100	"	—
Dachau, WTL-Rüfer	" "	51	"	—
Dachau, Häftlinge f. Versuchsz.	" "	428	"	—
Burgau, Messerschmitt	Aeronautical	1,000	"	14.4.45
Dachau, Bürgermeister	—	1	"	—
München, Reichsbahndir.	—	2	"	—
Augsburg, Oberbürgerm.	—	4	"	—
Landshut, OT-Obl., Amt B/G	Construction work	6	"	—
München, Reichsbahndir.	Railway	63	"	—
Dachau, Unertl, Schumacher	—	17	"	—
Dachau, Weberei Geschw. Binderll	—	13	"	—
Dachau " " "	—	15	"	—
Dachau, Entomolog. Institut	S.S. factory	4	"	—
Dachau, Amperwerke	—	1	1.2.45	—
Ingolstadt, Bahnbetriebsw.	Railway	1	"	—
Neuburg/Donau, Fliegerhorst	Aeronautical	1	"	—
Freising, Landrat	—	1	"	—
Sandhofen, Landrat	—	2	"	—
Weilheim, Landrat	—	3	"	—
Augsburg, Reichsbahnbetriebs.	Railway	4	"	—
Dachau, Spiegelberger	—	8	"	—
München, Bombensuch-Kdo	Construction Engineering	50	5.2.45	—
Landsberg, Deutsche Dynamit	—	100	11.2.45	5.4.45
Fr. Dr. Schwenningen, Wurach	Food-production, Agriculture	1	28.2.45	14.4.45
SS-Pz.-Div. 'Wiking'	S.S. factory	7	24.4.45	—
Pollnhof	—	6	1.3.45	31.3.45
Bayr. Zell, SS-Lazarett	S.S. factory	10	5.3.45	—
Zangberg, Weingut-Betr.-Ges.	Food-production, Agriculture	60	13.3.45	14.4.45
Lochau (früher Schlachters)	—	24	7.4.45	—
Eching, OT-Alg.	Construction work	500	10.4.45	23.4.45
Überlingen, Magnesit	Machinery	700	"	19.4.45
Königsee	—	—	"	—
München-Riem, OT	Construction work	1,000	"	14.4.45
Moschendorf, Hof, SS-Bekleidungslager	—	40	3.9.44	30.9.44
Landsberg/Lech, Fliegerhorst	Aeronautical	50	6.9.44	—
Fischhorn, SS-Remonteamt, Zbl.	Construction work	150	"	22.4.45
München, RF-SS. Pers. Stab.	S.S. factory	28	20.9.44	14.4.45
Steinhöring, Lebensborn	" "	28	"	"
Brüningsau	—	8	7.9.44	—
Fischbachau	Food-production	24	12.9.44	21.1.45
München-Riem, SS-Reit u. Fahrs.	S.S. factory	28	27.9.44	20.12.44
München, RF-SS, Zbl.	Construction work	15	4.10.44	14.4.45

Name of Kommando	Work	Average number	First mention	Last mention
Riederloh, Kaufbeuren, Teill.	Aeronautical	364	1.10.44	25.1.45
Kempten, Fa. Sachse	—	500	11.10.44	23.4.45
München, Höchlstr. Standortver.	S.S. factory	13	12.10.44	9.12.44
Tutzing-Trutzkirch, Dornier	Aeronautical	30	27.10.44	—
Valepp, Ochsenalm, Marx	Agriculture	1	30.10.44	14.4.45
Trostberg, BMW	Aeronautical	465	2.11.44	,,
Obersdorf-Birgsau, Zbl.	Construction work	30	5.11.44	,,
Fischen, Me	Aeronautical	250	6.11.44	,,
München, Parteikanzlei	—	36	19.11.44	,,
Ulm, Klöckner-Humboldt-Deutz	Machinery	40	1.12.44	11.3.45
Salzburg, Polizeidirektion	S.S. factory	90	,,	14.4.45
Stephanskirchen, BMW	Aeronautical	230	4.12.44	31.3.45
Garmisch-Part. SS-Laz. Zbl.	Construction work	54	9.12.44	23.3.45
München, Standortkdtr. Bunkerb.	,, ,,	10	10.12.44	31.1.45
Landsberg, Me	Aeronautical	500	12.12.44	—
Liebhof	—	—	20.12.44	—
Eschelbach, Parteikanzlei	—	40	12.12.44	4.4.45
Landshut, OT-Gerätelager	Construction work	500	28.12.44	6.2.45
Dachau, SS-Waffenamt, Werkst.	S.S. factory	160	31.12.44	14.4.45
Dachau, SS-Waffenamt, Fertig.	,, ,,	350	,,	,,
München, Standortkdtr, Bergmannschule	Construction work	10	,,	,,
München, RF-SS, Adjutantur	S.S. factory	50	,,	,,
Dachau, Hauptzeugamt.	,, ,,	22	,,	31.1.45
Dachau, Bekl.-Werk, Heimarb.	,, ,,	560	,,	14.4.45
Dachau, Belk.-Werk	,, ,,	524	,,	,,
Dachau, Vers.-Anst. f. Essen u. Verpfleg.	,, ,,	500–1,300	,,	,,
Dachau DAW, Kabelzerlegung	,, ,,	600	,,	,,
Dachau, DAW, Gurtenweberei	,, ,,	550	,,	,,
Dachau, Zbl.	Construction work	—	,,	—
Dachau, D. Lebensmittel GmbH	S.S. factory	80	,,	14.4.45
Dachau, DAW, Werkstätten	,, ,,	400	,,	,,
Dachau, DAW, Heereszeugamt	,, ,,	200	,,	,,
München-Freimann, RAW	Railway	400	,,	,,
Kaufering, OT-Alg. XI	Construction work	1,925	,,	,,
Neufahrn, SS-Alg.	—	—	15.4.45	—
Oberdorf, Ilse Hess	—	1	,,	24.4.45
Ötztal	Construction work	1,755	23.4.45	—
Reichskripoamt	S.S. factory	12	24.4.45	4.5.45

(٣) معسكرات داكاو الفرعية للنساء

2. Kommandos—women

Name of Kommando	Work	Average number	First mention	Last mention
Unterschleissheim, Flachsröste Lohhof	—	—	July 41	1942
Hausham-Vordereckart	—	10	9.6.42	14.4.45
Friedolfing, SS-Hptst. Rehrl	—	2	30.4.43	,,
Kaufering, OT-Alg. III	Construction work	144	1.6.44	,,
Itter, Schloss	—	9	6.6.44	,,
Mühldorf, OTObl	Construction work	300	24.7.44	28.4.45
Kaufering, OT-Arb. Lag. I, Landsb.	,, ,,	270	27.8.44	14.4.45
Kaufering, OT-Arb. Lag. IV	,, ,,	12	,,	,,
Plansee, Hotel Forelle, Zbl.	,, ,,	—	2.9.44	,,
München, Agfa-Kamerawerke	Machinery	500	10.10.44	,,
Augsburg, Michelwerke	,,	450	6.11.44	,,
Kaufering, OT-Alg. XI	Construction work	199	31.12.44	,,
Kaufering, OT-Alg. V, Utting	,, ,,	15	,,	,,
Kaufering, OT-Alg. VII Erpfting	,, ,,	195	,,	,,
Türkheim, OT-Alg.	,, ,,	154	,,	,,
Landsberg, Deutsche Dynamit	—	75	11.2.45	5.4.45

(٤) إحصائية بأعداد السجناء فى ٢٦ أبريل ١٩٤٥

العدد الكلى للسجناء		٦٧٦٦٥
منهم	٣٧٢٢٥	فى المعسكرات الخارجية
و	١٧٥٤	فى عربات البضائع بالقطارات
و	٢٨٦٢٨	فى المعسكر الرئيسى

وهذا العدد الأخير يشمل الآتى :

٤٦٢٦	من النساء
٢٢١٠٠	من اليهود
١٢٥٥	من رجال الإكليروس
٢٥٥	من الغجر
٦٩٦	من أسرى الحرب الروس
٥٩	سجينًا لهم وضع مميز
٣١٦	(بينهم خمسة نساء) هاربون
٣٤٤٥	فى المستشفى
١٣٠٥	يتغيبون بأعذار عن الطابور

(٥) عدد السجناء طبقاً لأرقام البلوكات بتاريخ ٢٦ أبريل ١٩٤٥

رقم البلوك	عدد السجناء	الموجودون فى المستشفى	الجنسية
٢	٩٣٩	٦٥	ألمان
٤	٨٤٢	٤٧	ألمان وغيرهم من المواطنين
٦	١٤٠٣	١٤٩	روس
٨	١٣٥٦	١٣٦	متنوعون
١٠	١١١٧	٧٧	متنوعون
١٢	١١٤٠	٨٥	صرب وكروات وسلوفين وأخرون
١٤	٩٩٠	٣٠	ألمان وبولنديون وتشيكيون وأخرون
١٦	١١٣٧	٨٦	بولنديون
١٨	١١٣٨	٨٥	بولنديون
٢٠	١١٥٢	٨٤	تشيكيون وأخرون
٢٢	١٤٤٦	١٩٣	روس وأخرون
٢٤	١٠٣٠٦	٨٥	جنسيات متنوعة
٢٦	١٠٩٠	٥١	بولنديون وألمان وإكليروس
٢٨	١٥٤٧	٢٠٣	متنوعون
٣٠	١٧٧٠	٤٨٥	مرضى متنوعو الجنسيات

(٦) زيادة أعداد السجناء فى بعض البلوكات
فى الفترة من ٢٨ نوفمبر ١٩٤٤ إلى ٢٦ أبريل ١٩٤٥

رقم البلوك	تاريخ ٢٨ نوفمبر ١٩٤٤	تاريخ ٢٦ أبريل ١٩٤٥
٢	٦٥٤	٩٣٩
٤	٧٣٣	٨٤٢
٦	٩٠١	١٤٠٣
٨	٨٥٤	١٣٥٦
١٠	٨٨٩	١١١٧
١٢	٨٥٥	١١٤٠
١٤	٦٨٢	٩٩٠
١٦	٨٦٩	١١٣٧
١٨	٨٦١	١١٣٨
٢٠	٨٨٩	١١٥٢
٢٢	٧٨٣	١٤٤٦
٢٤	٩٦٨	١٣٠٦
٢٦	٥٢٤	١٠٩٠
٢٨	٧٠٧	١٥٤٧

(٧) أعداد السجناء طبقاً لتصنيفاتهم
فى ٢٦ أبريل ١٩٤٥

سجناء سياسيون	٤٣٣٤٤
سجناء سياسيون (عدد إضافى)	٥٧
حملات التطهير	١٢٨
شواذ الجنس	١٠٩ + ١
شهود يهوا	٨٥ (منهم ٢٦ امرأة)
يهود	٢٢١٠٠
مهاجرون لم تسجل أسباب اعتقالهم	١٦
معادون للمجتمع	١٠٦٦
مجرمون	٧٥٩

(٨) أعداد السجناء فى المعسكرات الخارجية الفرعية فى ٢٦ أبريل ١٩٤٥ من الرجال والنساء

MEN

Allach	8,970
Augsburg	1,632
Baumenheim	126
Blaichach	416
Dachau Präzifix	362
„ Wulfert	54
Friedrichsh. Saulgau	229
Kaufbeuren	21
Kempten	454
Kottern	588
Lauingen	302
Landsberg	429
Ottobrunn	337
Überlingen	808
Trostberg	234
Burgau	109
Wurach	1
Karlsfeld	694
Kaufering	9,021
Mühldorf	4,929
Pollnhof	6
Bayrisch Zell	1,754
Oberstdorf	1
Dachau HKK	4
„ Hausham	4
„ Liebhof	
Fischhorn	50
Gmund	13
Hallein	50
Itter	2
Markt Schwaben	10
München Stov	32
„ Gestapo	4
„ Lebensborn	27
„ Lodenfrey	27
„ Oberfohring	2
Neustift	34
Oberstdorf Birgsau	26
Plansee	23
Salzburg	4
Sudelfeld	22
Schleissheim	32
Bad Tölz DBL	52
„ Junkerschule	95
Uffing	33
Marx	1
Fischen	127
Laz. Garmisch-Partenkirchen	34
Weingut Zangberg	60
Rosenheim	217
Bruningsau	6
München Riem	1,543
Innsbrück	23
Lochau	24
Landsberg	10
Eching OT	483

WOMEN

Augsburg	496
Entomol. Bar.	4
Fridolfing	2
Hausham	9
Itter	7
Kaufering	1,093
Mühldorf	295
Papenschwand	9
Plansee	15
Kamera, München	539
Landsberg DAG	100
Burgau	962
Allach	1,027

(٩) أعداد السجناء فى معسكر داكـاو
فى الساعة السادسة صباحاً من يوم ٢٨ أبريل ١٩٤٥

عدد السجناء صباح ٢٧ أبريل ١٩٤٥	٢٣٤٩٢
عدد السجناء القادمين	٦٧٧١
عدد السجناء المغادرين	٢٢٠
مجموع السجناء صبيحة يوم ٢٨ أبريل ١٩٤٥	٣٠٠٣٤

(١٠) تفاصيل القادمين إلى المعسكر والراحلين منه

(١) السجناء الذين وصلوا إلى معسكر داكاو يوم ٢٧ أبريل ١٩٤٥ حتى السادسة صباحًا

من يوم ٢٨ أبريل	ذكور	إناث
كدو وولفرت kdo Wulfert	٤٩	
بوبريجاد Baubrigade	٤١٤	
نكراجيراخ Neckargerach	٤٤١	
باد جاندر شايم Bad Gander sheim	١٢٢	
أوبرتروبنج (يهود) Obertraubing	١٥٥	
بوخنوالد Buchenwlald	١٥٩٦	
ستابو ميونيخ Stapo Munich	١٤	
فلوسنبرج Flossenburg	٢٤٠١	١١٦
ستابو ميونيخ	٥	
لاندزبرج Landsberg	١٠٥	
بوخنوالد	٨١٦	
كوفرنج Kaufering	٥٣٩	
المجموع	٦٦٥٥	١١٦
رحيل		
موتى ومفرج عنهم	٢٢٠	

(١١) أعداد السجناء فى داكـاو
من عام ١٩٣٣ حتى عام ١٩٤٥

فى ١٢ مـــايو عـــام ١٩٦٠ أصـــدر الصليب الأحـــمـــر فى أروســـلين بألمـانيـا الإحصائية التالية :

سجناء لهم بطاقات تسجيل فى المعسكر	١٧٧٤٤٧
يهود تم ترحيلهم إلى داكاو فى الفترة من ١٩٣٨ حتى ١٩٣٩ دون أية بطاقات تسجيل	١٠٩١١١
المجموع	١٨٨٣٥٨

فضلاً عن وصول أعداد غير معروفة من السجناء إلى معسكر داكاو قبل تحريره بفترة قصيرة دون تسجيلهم فى السجلات .

وفيما يلى إحصائية سنوية بأعداد السجناء فى الفترة من ١٩٣٣ حتى ١٩٣٩ :

١٩٣٣ : ٤٨٢١ سجينًا

١٩٣٤ : ٦٨١١ سجينًا

١٩٣٥ : ٨٩٢٢ سجينًا

١٩٣٦ : ١١٢٤٥ سجينًا

١٩٣٧ : ١٥٢٦٠ سجينًا

١٩٣٨ : ٣١٩٤١ سجينًا

١٩٣٩ : ٣٥٨٦٢ سجينًا

وتغطى الإحصائية التالية سجناء معسكر داكاو فى الفترة من ١٩٤٠ حتى ١٩٤٥ :

١٩٤٠	٢٢٩٨٥ سجينًا
١٩٤١	٢٨٩٨٠ سجينًا
١٩٤٢	٤١٥٦٤ سجينًا
١٩٤٣	٦٠٨٦٩ سجينًا
١٩٤٤	١٣٧٢٤٤ سجينًا

وطبقًا لعدد من الوثائق تراوحت أعداد سجناء معسكر داكاو قبل تحريره بين ١٦١٨٩٦ سجينًا و ١٦١٨٧٩ سجينًا .

ويقال إن عدد السجناء الذين وصلوا إلى معسكر داكاو فى فترته الأخيرة كان نحو ستة آلاف فى حين يقدر جولد شميت Goldschmitt عددهم بنحو ٦٢٧٥ سجينًا .

فضلاً عن وصول ٦٣٠٦ سجناء إلى هذا المعسكر يوم ٢٦ أبريل ١٩٤٥ من البلدان التالية : فلوسنبرج - بوخنوالد - ليبزج - تروبنج Traubing - نيكاجراخ - جرانر شايم - بوكنج Pocking . ووصل إلى معسكر داكاو عشية تحريره يوم ٢٨/٢٩ أبريل ٢١ سجينًا إلى جانب وصول ٤٨ سجينًا بعد التحرير .

ويذهب مصدر آخر إلى أن السجناء الذين وصلوا إلى معسكر داكاو يوم ٢٨ أبريل ١٩٤٥ ولم يتم تسجيلهم كانوا على النحو التالى :

المرحلين من ليبزج	١١٦
من أوبرتروبنج Obertraubing	١٥٨
من فلوسنبرج	٢٣٥٦ + ٤٥ = ٢٤٠١
من بوخنوالد	١٥٩٦ + ٩٤ + ٨١٦ = ٢٥٠٦
من نكارجراخ	٤١٤
من باد جراندرشيم	١٢٢
وبذلك يكون المجموع	٥٧١٧ (بالمقارنة بعدد ٦٣٠٦ سجناء الآنف الذكر)

وطبقًا لمصدر آخر يصل عدد سجناء معسكر داكاو منذ بدايته حتى نهايته ٢٠٦٢٠٦ سجناء تقسمه سجلات نوهاوزلر Neuhausler على النحو التالى :

السنة	عدد السجناء
١٩٣٣	٤٨٢١
١٩٣٤	١٩٩٠
١٩٣٥	٢١١١
١٩٣٦	٢٣٢٣
١٩٣٧	٢٠١٥
١٩٣٨	١٨٦٨١
١٩٣٩	٣٩٣٢
١٩٤٠	٢٢٦٧٥
١٩٤١	٦٢٣٥
١٩٤٢	١٢٥٧٢
١٩٤٣	١٩٣٥٨
١٩٤٤	٧٦٦٣٥
١٩٤٥	٣٠٩٥٨

(١٢) إحصائية بشحنات السجناء التى وصلت بالقطار إلى معسكر داكاو فى الفترة من ٢٢ مارس ١٩٣٣ حتى ١٥ سبتمبر ١٩٣٩

	1933	1934	1935	1936	1937	1938	1939
January	—	273	117	167	122	171	456
February	—	193	120	126	211	158	193
March.	171	198	164	189	413	154	259
April	978	175	176	108	144	309	205
May	890	426	154	117	117	938	545
June	399	109	109	124	118	2,916	871
July	662	135	212	807	149	430	268
August	467	101	263	157	133	184	218
September	303	74	201	92	129	176	735
October	374	97	208	163	184	681	—
November	339	90	242	144	128	11,953	—
December	238	119	165	129	167	611	—
TOTALS	4,821	1,990	2,111	2,323	2,015	18,681	3,750

GRAND TOTAL 35,691

(١٣) إحصائية بشحنات السجناء التى وصلت بالقطار إلى معسكر داكاو
فى الفترة من ١٦ سبتمبر ١٩٣٩ حتى ٢٩ أبريل ١٩٤٥
(شاملة السجناء الجدد والمرحلين من معسكرات أخرى)

1939	September	16	43	
		23	112	
		—	27	Various
1940	February	18	390	Mauthausen
	March	2	921	Flossenburg
		5	1,500	Sachsenhausen
		—	23	Various
	April	15	760	
		19	1,176	
		25	604	
		26	796	
		28	760	
		—	74	Various
	May	5	737	
		6	1,093	
		9	733	
		10	680	
		24	945	
		26	1,497	
		—	88	Various
	June	—	583	„
	July	—	403	„
	August	15	1,000	Mauthausen
		24	160	Neuengamme
		29	996	Sachsenhausen
		—	546	Various
	September	3	1,000	Sachsenhausen
		6	1,000	
		17	1,000	Sachsenhausen
		—	362	Various
	October	10	300	Neuengamme
		25	371	Buchenwald
		—	297	Various
	November	—	399	„
	December	8	275	Buchenwald
		14	535	Sachsenhausen
		—	386	Various

1941	January	22	350	Neuengamme
		—	271	Various
	February	—	479	”
	March	—	326	”
	April	29	455	
		—	298	Various
	May	30	440	
		—	622	Various
	June	20	163	
		—	240	Various
	July	—	278	”
	August	—	316	”
	September	14	400	Neuengamme
		—	264	Various
	October	30	487	Clergy
		—	327	Various
	November	—	218	”
	December	—	201	”
1942	January	—	191	”
	February	—	180	”
	March	—	325	”
	April	—	224	”
	May	—	409	”
	June	—	503	”
	July	7	350	Buchenwald
		22	300	Ravensbrück
		24	155	
		31	195	
		—	896	Various
	August	1	500	
		6	129	Wewelsburg
		9	270	Gross-Rosen (by 23.8 46 dead)
		14	241	
		17	251	Natzweiler
		21	233	
		28	212	
		—	1,038	Various
	September	4	202	
		10	201	
		12	298	Gross-Rosen (by 27.9 56 dead)
		—	700	Various
	October	11	210	Sachsenhausen (19 dead)

		30	184	Buchenwald
		31	279	Flossenburg
		—	545	Various
	November	3	200	Ravensbrück
		9	880	Mauthausen
		15	293	Sachsenhausen
		19	298	Stutthof
		24	150	,,
		—	472	Various
	December	6	200	Natzweiler
		9	130	Gross-Rosen
		—	565	Various
1943	January	8	194	
		15	249	
		30	176	
		—	1,042	Various
	February	11	252	
		23	212	
		26	682	
		—	549	Various
	March	5	918	
		6	528	
		—	339	Various
	April	—	823	,,
	May	—	619	,,
	June	—	503	,,
	July	1	241	
		3	471	Flossenburg and Neuengamme
		—	740	Various
	August	—	542	,,
	September	11	259	
		14	1,489	
		15	929	
		22	1,857	
		—	686	Various
	October	5	219	
		13	417	
		30	285	
		—	737	Various
	November	4	196	
		20	287	
		—	969	Various
	December	3	203	
		6	694	
		17	243	

		—	808	Various
1944	January	8	302	
		16	499	
		20	380	
		30	204	
		—	617	Various
	February	6	480	Gross-Rosen
		12	252	
		28	212	
		—	932	Various
	March	4	300	Natzweiler
		19	165	
		23	189	
		—	1,011	Various
	April	24	221	
		—	1,062	Various
	May	26	792	
		—	1,162	Various
	June	2	352	
		15	344	
		19	500	Auschwitz (Jews)
		21	2,140	Paris
		22	1,000	Auschwitz (Jews)
		26	273	
		30	190	
		—	1,115	Various (including 5 women)
	July	2	980	
		6	1,630	Paris
		12	1,300	Auschwitz
		13	178	
		17	608	Sachsenhausen
		21	1,883	Kowno
		31	200	Auschwitz (Jewesses)
		31	200	Kowno
		—	1,088	Various (including 5 women)
	August	4	800	Auschwitz
		6	3,954	Warsaw
		10	294	
		13	1,800	Kowno
		13	800	Auschwitz (women)
		21	550	Stutthof (including 50 women)

	23	250	
	24	162	
	26	203	
	28	602	
	29	197	
	30	172	(including 38 women)
	—	1,281	(including 1 woman)
September	2	160	
	4	2,400	Natzweiler
	6	1,990	„
	6	3,100	Auschwitz
	6	400	Stutthof (including 50 women)
	6	235	
	7	1,127	Natzweiler
	7	500	Auschwitz (Jews)
	12	3,042	
	14	191	Natzweiler
	14	182	
	16	1,000	Auschwitz
	18	600	„ (Jews)
	18	500	Ravensbrück (women)
	21	401	Natzweiler
	21	164	
	23	500	
	25	248	Natzweiler
	28	400	Auschwitz
	30	156	
	—	1,584	Various (including 3 women)
October	4	748	Natzweiler
	5	268	(including 2 women)
	9	493	Bozen
	9	1,089	Strasbourg
	9	160	Flossenburg
	10	1,500	Auschwitz
	14	233	
	16	163	Natzweiler
	16	250	Ravensbrück (women)
	21	360	Schirmeck
	22	295	
	23	292	Natzweiler

		23	400	Flossenburg (Jews)
		26	1,600	Auschwitz (including 400 women)
		29	250	Schirmeck
		—	1,564	Various (including 6 women)
	November	1	400	Natzweiler
		3	153	
		7	1,172	Auschwitz (Jews)
		10	199	
		11	1,300	(including 1 woman)
		14	1,512	Budapest
		16	461	(women)
		17	1,094	Sachsenhausen
		17	263	Trieste
		18	233	
		19	2,229	Budapest (including 1,045 women)
		20	1,711	(including 1,200 women)
		23	371	
		26	284	Saarbrücken
		29	351	
		—	1,423	Various (including 4 women)
	December	2	245	Auschwitz
		2	202	
		2	324	Trieste
		21	629	Budapest (including 1 woman)
		21	154	
		—	1,573	Various (including 59 women)
1945	January	7	338	Budapest
		28	1,391	Gross-Rosen
		28	183	
		—	1,443	Various (including 10 women)
	February	16	235	Augsburg
		22	248	Copenhagen
		28	240	Gross-Rosen
		28	341	Trieste
		—	1,254	Various
	March	3	151	
		5	234	Veldes

	5	510	Ravensbrück (Jewesses)
	5	468	Bergen-Belsen (Jewesses)
	6	380	Bergen-Belsen (38 dead)
	9	307	Bergen-Belsen
	16	300	Mauthausen
	16	690	Gross-Rosen
	16	153	
	—	1,612	Various
April	2	1,655	Natzweiler
	6	265	"
	8	757	"
	9	2,303	"
	11	336	Buchenwald
	17	658	Various
	—	14,546	Trainloads from 18.4 to 29.4.45
TOTAL		170,515	

(١٤) إحصائية بالسجناء البولنديين الذين وصلوا إلى معسكر داكاو
فى الفترة من ١٦ سبتمبر ١٩٣٩ حتى ٢٩ أبريل ١٩٤٥

1939	September	16	17	
		23	54	
1940	February	18	4	Mauthausen
	March	5	187	Sachsenhausen
	April	15	760	
		19	1,176	
		25	604	
		26	796	
		28	760	
		—	2	Various
	May	5	737	
		6	1,093	
		9	733	
		10	680	
		24	945	
		26	1,497	
		—	17	Various
	June	—	162	,,
	July	—	103	,,
	August	15	430	Mauthausen
		24	47	Neuengamme
		29	347	Sachsenhausen
		—	133	Various
	September	6	360	
		17	410	Sachsenhausen
		—	100	Various
	October	10	79	Neuengamme
		25	107	Buchenwald
		—	111	Various
	November	—	49	,,
	December	8	250	Buchenwald
		14	490	Sachsenhausen
		—	102	Various
1941	January	22	141	Neuengamme
		—	28	Various
	February	—	56	,,
	March	—	33	,,
	April	29	160	Neuengamme

		—	42	Various
	May	30	95	
		—	159	Various
	June	20	49	
		—	38	Various
	July	—	20	„
	August	—	16	„
	September	14	195	Neuengamme
		—	16	Various
	October	30	487	Clergy
		—	60	Various
	November	—	22	„
	December	—	20	„
1942	January	—	12	„
	February	—	17	„
	March	—	23	„
	April	—	30	„
	May	—	30	„
	June	—	101	„
	July	7	113	Buchenwald
		22	75	Ravensbrück
		31	1	
		—	42	Various
	August	1	111	
		6	24	Wewelsburg
		9	123	Gross-Rosen
		14	4	
		17	49	Natzweiler
		21	1	
		—	13	Various
	September	4	2	
		12	75	Gross-Rosen
		—	52	Various
	October	11	66	Sachsenhausen
		30	26	Buchenwald
		31	37	Flossenburg
		—	45	Various
	November	9	224	Mauthausen
		15	42	Sachsenhausen
		19	75	Stutthof
		24	24	„
		—	22	Various
	December	6	11	Natzweiler
		9	23	Gross-Rosen
		—	31	Various

1943	January	8	42	
		15	49	
		30	52	
		—	262	Various
	February	13	2	
		—	67	Various
	March	5	5	
		6	1	
		—	31	Various
	April	—	224	"
	May	—	113	"
	June	—	82	"
	July	1	99	
		3	346	Flossenburg and Neuengamme
		—	73	Various
	August	—	51	"
	September	11	24	
		22	4	
		—	55	Various
	October	5	2	
		13	10	
		30	3	
		—	60	Various
	November	4	9	
		20	8	
		—	83	Various
	December	6	2	
		—	140	Various
1944	January	8	29	
		16	1	
		20	41	
		30	2	
		—	107	Various
	February	6	314	Gross-Rosen
		12	7	
		—	176	Various
			251	
	March	3	47	Natzweiler
		19	1	
		23	1	
		—	77	Various
	April	29	7	
		—	152	Various
	May	26	2	

	—	105	Various
June	21	8	Paris
	26	48	
	30	8	
	6	114	Various
July	2	37	
	6	30	Paris
	17	134	Sachsenhausen
	21	18	Kowno
	31	8	Auschwitz (Jewesses)
	—	60	Various
August	10	14	
	13	130	Auschwitz (women)
	21	59	Stutthof
	23	1	
	24	12	
	26	4	
	28	20	
	30	2	
	—	85	Various
September	2	10	
	4	305	Natzweiler
	6	192	Auschwitz
	7	270	Natzweiler
	12	3,039	
	14	25	Natzweiler
	18	500	Ravensbrück (women)
	21	31	Natzweiler
	23	97	
	25	73	Natzweiler
	30	38	
	—	170	Various
October	4	73	Natzweiler
	5	14	
	14	73	
	16	1	Natzweiler
	22	28	
	23	119	Natzweiler
	23	394	Flossenburg (Jews)
	—	136	Various
November	1	238	Natzweiler
	3	11	
	10	21	
	11	2	
	18	2	
	19	1	Budapest
	23	123	

		26	30	Saarbrücken
		29	8	
		—	149	Various
	December	2	190	Auschwitz
		21	10	
		—	180	Various
1945	January	28	389	Gross-Rosen
		—	193	
	February	28	75	Gross-Rosen
	March	3	133	
		5	1	Veldes
		5	302	Ravensbrück (Jewesses)
		5	464	Bergen-Belsen (Jewesses)
		6	145	Bergen-Belsen
		9	178	„
		16	77	Mauthausen
		16	127	Gross-Rosen
		16	12	
		—	266	Various
	April	2	555	Natzweiler
		6	164	„
		8	287	„
		9	820	„
		11	72	Buchenwald
		7	103	Various
		—	4,364	Trainloads from 18.4 to 29.4.45
	Total		35,606	

(١٥) إحصائية بوصول السجناء الفرنسيين إلى معسكر داكاو في الفترة من ٢١ يونية ١٩٤٤ حتى ٢٩ أبريل ١٩٤٥ والتى سبق ذكرها ضمن شحنات القطارات

1944	June	21	1,926	Paris
		26	198	
		30	18	
		—	63	Various
	July	2	672	
		6	1,501	Paris
		17	156	
		—	357	Various
	August	6	36	Warsaw
		10	2	
		23	3	
		24	21	
		26	9	
		28	210	
		29	11	
		30	1	
		—	133	
	September	2	47	
		4	1,241	Natzweiler
		6	905	„
		7	303	„
		21	10	„
		23	12	
		30	8	
		—	114	Various
	October	4	46	Natzweiler
		5	1	
		9	1,083	Strasbourg
		14	26	
		16	156	Natzweiler
		21	337	Schirmeck
		22	78	
		23	12	Natzweiler
		29	230	Schirmeck
		—	266	Various

	November	1	16	Natzweiler
		10	14	
		11	2	
		18	3	
		23	34	
		26	101	Saarbrücken
		29	6	
		—	291	Various
	December	2	73	
		21	11	
		—	242	Various
1945	January	28	155	Gross-Rosen
		—	189	Various
	February	16	32	Augsburg
		28	20	Gross-Rosen
	March	3	128	
		6	10	Bergen-Belsen
		9	6	”
		16	9	Mauthausen
		16	180	Gross-Rosen
		16	3	
		—	266	Various
	April	2	81	Natzweiler
		6	12	”
		8	61	”
		9	365	”
		11	35	Buchenwald
		—	47	Various
		—	2,909	Trainloads of 18.4 to 29.4.45
	TOTAL		15,375	

(١٦) إحصائية بشحنات السجناء التى رحلت بالقطارات من داكاو فى الفترة من ١٨ فبراير ١٩٤٠ حتى ٢٩ أبريل ١٩٤٥

1940	May	25	1,083	Mauthausen-Gusen
	June	5	1,584	,,
		26	1,002	,,
	August	2	1,500	,,
		16	1,000	,,
		25	160	Neuengamme
		30	1,000	Sachsenhausen
	September	3	1,000	,,
		7	500	,,
	December	11	500	Buchenwald
		13	500	Auschwitz
1941	January	23	484	Neuengamme
	February	27	34	Sachsenhausen
	March	10	150	Mauthausen
	April	2	1	Sachsenhausen
		16	2	,,
	June	22	42	Mauthausen
	July	12	1,000	Buchenwald
	November	2	38	Ravensbrück
	December	17	120	Sachsenhausen
		21	8	,,
1942	February	11	168	Mauthausen
		16	14	,,
	June	5	93	,,
		10	50	Buchenwald
	July	2	10	Ravensbrück
		23	4	Sachsenhausen
		31	4	,,
	August	4	10	Natzweiler
		7	500	Neuengamme
		10	50	Gross-Rosen
		14	10	Sachsenhausen
		19	250	Natzweiler
		19	17	Auschwitz
	September	4	300	Sachsenhausen

		17	15	Neuengamme
		19	500	Buchenwald
		24	4	Sachsenhausen
		24	1,000	"
	October	10	120	"
		19	71	Auschwitz
		26	500	"
	November	2	600	Neuengamme
		20	124	Mauthausen
		23	25	Sachsenhausen
		30	34	"
	December	2	7	"
		7	160	Flossenburg
		9	2	Buchenwald
		9	7	Sachsenhausen
		14	300	Neuengamme
1943	January	8	150	Sachsenhausen
		18	4	"
	April	2	25	Auschwitz
		7	7	Sachsenhausen
		7	4	Flossenburg
		7	31	Ravensbrück
		9	3	Buchenwald
		12	67	Reichenau
		18	5	Auschwitz
		21	1	Flossenburg
	May	5	30	Hertogenbosch
		7	6	Neuengamme
		18	2	Buchenwald
	June	1	5	"
		1	3	Flossenburg
		1	3	Neuengamme
		2	4	Sachsenhausen
		2	2	Ravensbrück
		2	2	Gross-Rosen
		4	8	Auschwitz
		4	2	Stutthof
		4	4	Lublin
		5	3	Mauthausen-Gusen
		5	3	Hertogenbosch
		5	3	Mauthausen
		11	2	Natzweiler

		11	1	Riga
		11	1	Hintzert
		16	135	Flossenburg
		22	1	Niederhagen
		27	1	Sachsenhausen
	July	1	4	,,
		1	20	Natzweiler
		12	4	Sachsenhausen
		17	6	,,
		22	2	Bergenberg
	August	5	1	Sachsenhausen
		5	10	Ravensbrück
		11	1	Warsaw
		21	3	Flossenburg
		26	4	Mauthausen
	September	3	1	Buchenwald
		6	4	Mauthausen
		9	35	,,
		22	1	Hertogenbosch
	October	1	50	Buchenwald
		13	150	Flossenburg
		25	43	Natzweiler
	November	4	3	Sachsenhausen
		5	1	Mauthausen
		12	124	Buchenwald
		22	300	Ravensbrück
	December	21	134	Buchenwald
1944	January	11	1,000	Lublin
		28	133	,,
	February	16	4	Neuengamme
	March	3	11	Gross-Rosen
		11	89	Buchenwald
		15	500	Natzweiler
		17	2	Buchenwald
		20	1	Lublin
		21	500	Natzweiler
		23	2	Buchenwald
		23	22	Sachsenhausen
		24	39	Buchenwald
		26	500	Flossenburg
		27	301	Natzweiler
		29	160	Buchenwald

	30	700	Natzweiler
April	7	173	Buchenwald
	8	10	Plaszow
	18	122	Buchenwald
	20	398	Natzweiler
	25	129	„
May	8	43	Buchenwald
	15	190	Natzweiler
	17	2	Buchenwald
	19	1	„
	23	66	Flossenburg
	26	1	Buchenwald
	26	56	Natzweiler
June	1	17	Buchenwald
	2	50	„
	5	56	Natzweiler
	18	60	„
	19	28	Gross-Rosen
	19	537	Natzweiler
	21	3	Bergen-Belsen
	27	63	Buchenwald
July	1	219	Natzweiler
	16	5	Mauthausen (women)
	20	8	Flossenburg
	21	9	Buchenwald
	22	223	Natzweiler
	24	500	Flossenburg
	25	1,000	Natzweiler
	27	400	Flossenburg
	29	8	Neuengamme
	30	179	Natzweiler
August	3	129	Auschwitz
	5	18	Mauthausen
	7	168	Buchenwald
	8	60	„
	8	125	Natzweiler
	8	1	Ravensbrück
	10	15	Bergen-Belsen
	11	14	Natzweiler
	17	2	Gross-Rosen
	20	3	Flossenburg
	21	1,735	Mauthausen

	25	225	Natzweiler
	26	1,000	Flossenburg
	29	400	„
	30	200	Natzweiler
September	5	59	„
	6	63	Ravensbrück (women)
	7	250	Flossenburg
	9	2,100	Mauthausen
	21	6	Flossenburg
	22	1	„
	22	399	Natzweiler
	22	10	Stutthof
	23	400	Natzweiler
	29	1,460	„
October	1	764	Buchenwald
	2	1,000	Natzweiler
	2	300	Flossenburg
	5	280	Auschwitz (including 3 women)
	6	80	Natzweiler
	9	302	Auschwitz (including 5 women)
	10	1	Ravensbrück (woman)
	12	100	Natzweiler
	14	5	Sachsenhausen
	18	10	Buchenwald
	18	194	Ravensbrück (women)
	20	6	Sachsenhausen
	24	20	Flossenburg
	25	2,000	Neuengamme
	26	1	Natzweiler
November	1	554	Auschwitz
	1	1	„ (woman)
	2	1,020	„
	2	333	Buchenwald
	3	102	Natzweiler
	6	190	Stutthof
	8	207	Auschwitz
	11	200	Natzweiler
	13	200	„
	15	150	Bergen-Belsen

Year	Month	Day	Number	Camp
		16	1	Buchenwald
		17	197	Natzweiler
		22	152	Buchenwald
		23	1	Flossenburg
		23	461	Bergen-Belsen (women)
		26	180	Mauthausen
		28	200	Natzweiler
		30	1,014	Auschwitz
		30	1,500	Natzweiler
	December	1	1	Mauthausen
		1	1,049	Ravensbrück (women)
		5	150	„
		7	2,017	Buchenwald
		7	213	Natzweiler
		11	168	„
		11	15	„
		12	10	Mittelbau
		12	114	Natzweiler
		14	10	„
		15	2,500	Buchenwald
		15	10	Sachsenhausen
		15	3	Ravensbrück
		17	12	Buchenwald
		18	2	Mauthausen
		21	1,400	Bergen-Belsen (women)
		28	7	Natzweiler
1945	January	5	230	„
		7	835	Flossenburg
		9	4	Buchenwald
		12	1	„ (woman)
		12	1	Ravensbrück (woman)
		17	10	Auschwitz
		18	504	Sachsenhausen
		25	128	Natzweiler
		25	425	Buchenwald
		28	250	Natzweiler
		29	2	Ravensbrück (women)
		30	5	„
	February	2	118	Natzweiler
		2	206	Flossenburg
		3	2	Ravensbrück (women)
		5	13	Mittelbau

	10	46	Sachsenhausen
	15	78	Natzweiler
April	12	1	Ravensbrück (woman)
	26	6,887	Ötztal (evacuation trainload).
	26	1,759	Ötztal (evacuation trainload (Jews))
TOTAL		66,858	
		261	

(١٧) إحصائية بعدد السجناء البولنديين الذين تم ترحيلهم فى معسكر داكـاو فى الفترة من ٢٥ مايو ١٩٤٠ حتى ٢٩ أبريل ١٩٤٥ (شاملة شحنات القطارات)

1940	May	25	1,083	Mauthausen-Gusen
	June	5	1,584	,,
		6	1,002	,,
	August	2	1,500	,,
		16	643	,,
		25	44	Neuengamme
		30	750	Sachsenhausen
	September	3	507	,,
		7	126	,,
	December	13	493	Auschwitz
1941	January	23	77	Neuengamme
	February	27	34	Sachsenhausen
	July	12	291	Buchenwald
	November	2	13	Ravensbrück
	December	17	19	Sachsenhausen
1942	February	11	11	Mauthausen
		16	6	,,
	July	2	7	Ravensbrück
	August	7	10	Neuengamme
		10	8	Gross-Rosen
		14	1	Sachsenhausen
	September	19	111	Buchenwald
		24	1	Sachsenhausen
		24	18	,,
	October	26	48	Auschwitz
	November	2	52	Neuengamme
		20	49	Mauthausen
		23	8	Sachsenhausen
		30	13	,,
	December	2	4	,,
		7	37	Flossenburg

		9	1	Buchenwald
		9	1	Sachsenhausen
1943	January	8	16	”
		18	2	”
	April	7	15	Ravensbrück
		9	1	Buchenwald
	May	7	1	Neuengamme
	June	2	1	Ravensbrück
		4	8	Auschwitz
		4	2	Stutthof
		5	2	Mauthausen-Gusen
		16	30	Flossenburg
	July	1	1	Ravensbrück
		1	7	Natzweiler
		12	1	Sachsenhausen
		17	1	”
		22	1	Bergenberg
	August	5	4	Ravensbrück
	September	6	2	Mauthausen
		9	5	”
	October	1	15	Buchenwald
	November	4	1	Sachsenhausen
		5	1	Mauthausen
		12	12	Buchenwald
		22	11	Ravensbrück
	December	6	7	Mauthausen
		21	10	Buchenwald
1944	January	11	75	Lublin
		28	2	”
	March	15	7	Natzweiler
		21	83	”
		26	7	Flossenburg
		27	40	Natzweiler
		29	12	Buchenwald
		30	32	Natzweiler
	April	7	6	Buchenwald
		18	8	”
		20	75	Natzweiler
		25	23	”
	May	8	5	Buchenwald
		15	20	Natzweiler

	23	2	Flossenburg
	26	6	Natzweiler
June	1	1	Buchenwald
	5	15	Natzweiler
	18	7	"
	19	4	Gross-Rosen
	19	88	Natzweiler
	27	2	Buchenwald
July	1	19	Natzweiler
	22	12	"
	24	10	Flossenburg
	27	31	"
	30	9	Natzweiler
August	7	42	Buchenwald
	8	1	"
	8	14	Natzweiler
	21	110	Mauthausen
	25	26	Natzweiler
	26	35	Flossenburg
	29	12	"
	30	24	Natzweiler
September	5	7	"
	7	4	Flossenburg
	9	137	Mauthausen
	22	36	Natzweiler
	22	31	"
	29	1,460	"
	30	14	Flossenburg
October	1	163	Buchenwald
	2	1,000	Natzweiler
	2	32	Flossenburg
	5	2	Auschwitz
	6	80	Natzweiler
	12	8	"
	18	194	Ravensbrück (women)
	25	356	Neuengamme
November	2	14	Buchenwald
	3	7	Natzweiler
	13	29	"
	15	143	Bergen-Belsen
	22	11	Buchenwald

		26	11	Mauthausen
		30	31	Natzweiler
	December	1	4	Ravensbrück (women)
		5	8	,,
		7	162	Buchenwald
		7	213	Natzweiler (Jews)
		11	31	,, ,,
		12	7	,,
		15	669	Buchenwald
		21	27	Bergen-Belsen (women)
1945	January	5	3	Natzweiler
		7	191	Flossenburg
		25	31	Buchenwald
		28	21	Natzweiler
	February	1	16	,,
		2	24	Flossenburg
	TOTAL		14,730	

(١٨) إحصائية بعدد السجناء الفرنسيين الذين تم ترحيليهم من معسكر داكاو إلى المعسكرات الأخرى فى الفترة من ٢٤ يولية ١٩٤٤ حتى ٢٩ أبريل ١٩٤٥ (شاملة شحنات القطارات)

1944	July	24	246	Flossenburg
		25	929	Natzweiler
		30	13	"
	August	7	27	Buchenwald
		8	31	"
		8	6	Natzweiler
		21	278	Mauthausen
		25	6	Natzweiler
		26	440	Flossenburg
		29	44	"
		30	4	Natzweiler
	September	5	1	"
		6	56	Ravensbrück (women)
		7	17	Flossenburg
		22	259	Natzweiler
		23	208	"
		30	2	Flossenburg
	October	1	48	Buchenwald
		2	55	Flossenburg
		12	27	Natzweiler
		25	397	Neuengamme
	November	2	89	Buchenwald
		3	13	Natzweiler
		6	64	Stutthof
		8	158	Auschwitz
		11	165	Natzweiler
		13	79	"
		22	23	Buchenwald
		28	2	Natzweiler
		30	850	Auschwitz
	December	5	11	Ravensbrück

Year	Month	Day	Number	Camp
		7	76	Buchenwald
		11	2	Natzweiler (Jews)
		12	28	„
		15	405	Buchenwald
1945	January	5	2	Natzweiler
		7	3	Flossenburg
		25	64	Buchenwald
		28	4	Natzweiler
	February	1	25	„
		2	11	Flossenburg
		10	17	Sachsenhausen
	Total		5,185	

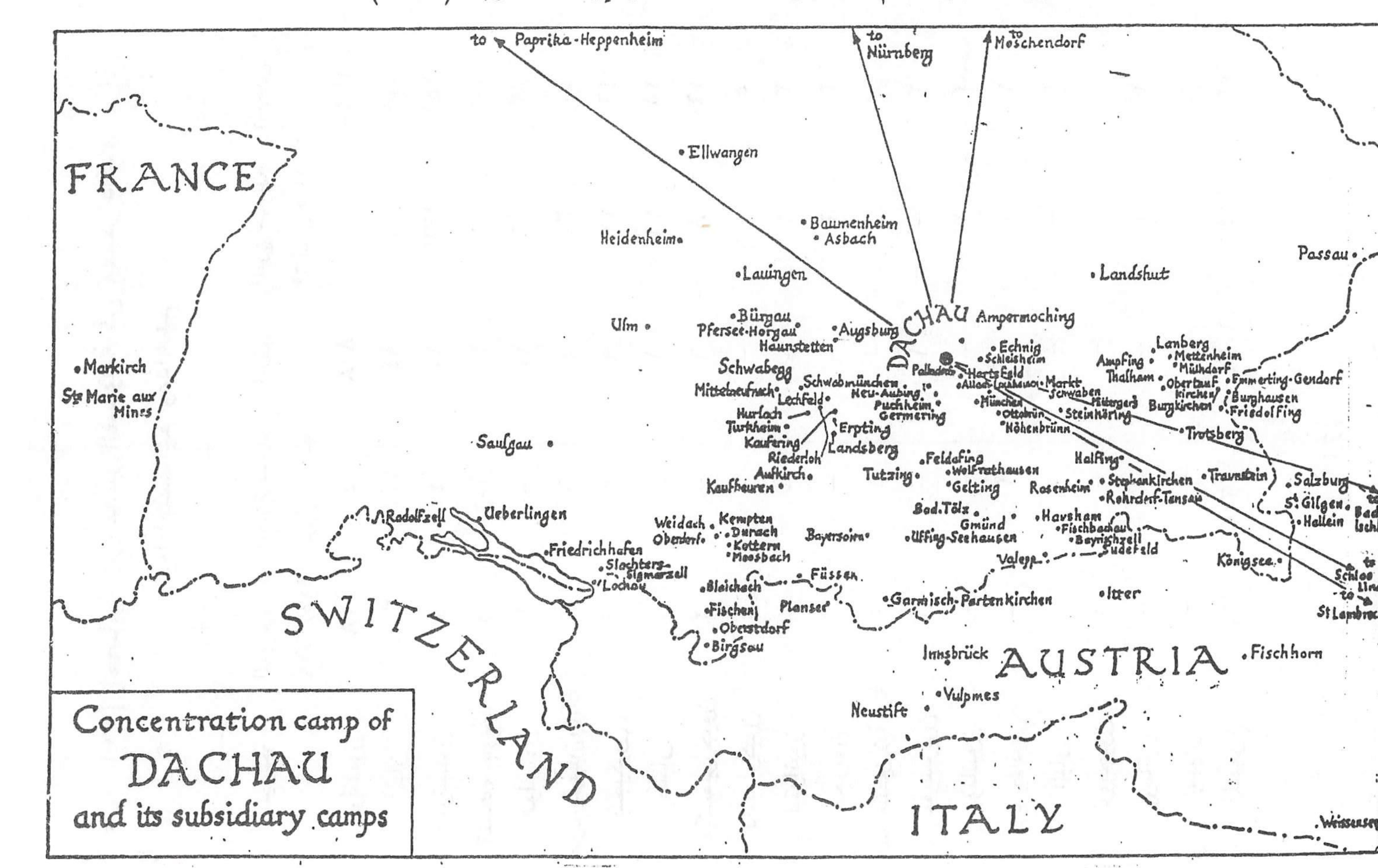
(١٩) إحصائية بعدد القساوسة فى معسكر داكـاو طبقًا لجنسياتهم ومذاهبهم

الجنسية	عدد الكاثوليك	الملل الأخرى	المجموع
البولنديون	١٧٤٨	٣٢	١٧٨٠
الألمان	٤١١	٣٦	٤٤٧
الفرنسيون	١٣٣	٣	١٥٦
التشيك والسلوفاك	٩٣	١٦	١٠٩
الهولنديون	٣٩	٢٤	٦٣
صربيون - سلوفينيون - كروات	٣٥	١٥	٥٠
بلجيكيون	٤٦	-	٤٦
طليان	٢٨	-	٢٨
لوكسمبرجيون	١٦	-	١٦
دانيماركيون	-	٥	٥
ليتوانيون	٢	١	٣
مجريون	٣	-	٣
غير منتمين لأية دولة	١	٢	٣
سويريون	-	٢	٢
يونانيون	-	٢	٢
بريطانيون	٢	-	٢
ألبان	-	٢	٢
نورويجيون	-	١	١
رومانيون	١	-	١
إسبان	١	-	١
المجموع	٢٥٧٩	١٤١	٢٧٢٠

(٢٠) إحصائية عن مصير القساوسة فى معسكر داكـاو طبقًا لجنسياتهم ومذاهبهم

الجنسية	المطلق سراحهم قبل ١٩٤٥/٤/٢٩	المرحلون إلى معسكرات أخرى أو تمت تصفيتهم	الموتى	المفرج عنهم يوم ٢٩ أبريل ١٩٤٥	المجموع
بولنديون	٧٨	٤	٨٦٨	٨٣٠	١٧٨٠
ألمان	٢٠٨	١٠٠	٩٤	٤٥	٤٤٧
فرنسيون	٥	٤	١٠	١٣٧	١٥٦
تشيك وسلوفاك	١	١٠	٢٤	٧٤	١٠٩
هولنديون	١٠	–	١٧	٣٦	٨٣
صرب وسلوفينيون وكروات	٢	٦	٤	٣٨	٥٠
بلجيكيون	١	٣	٩	٣٣	٤٦
طليان	–	١	١	٢٦	٢٨
لوكسمبررجيون	٢	–	٦	٨	١٦
دانيماركيون	٥	–	–	–	٥
ليتوانيون	–	–	–	٣	٣
مجريون	–	–	–	٣	٣
غير منتمين لأية دولة	–	١	–	٢	٣
سويسريون	١	–	١	–	٢
يونانيون	–	–	–	٢	٢
بريطانيون	–	١	–	١	٢
ألبان	–	٢	–	–	٢
نرويجيون	١	–	–	–	١
رومانيون	–	–	–	١	١
إسبان	–	–	–	–	–
المجموع	٣١٤	١٣٢	١٠٣٤	١٢٤٠	٢٧٢٠

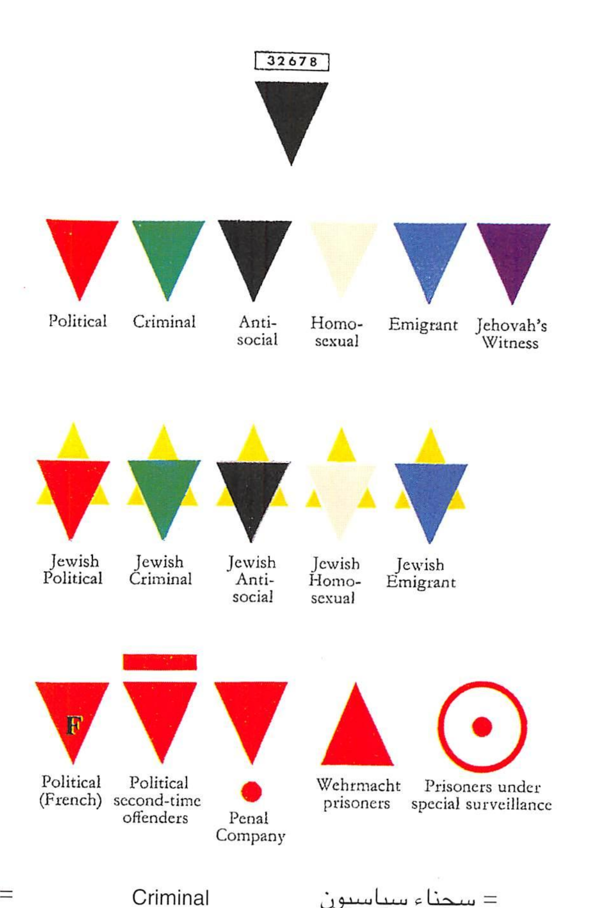
خريطة تبين أهم معسكرات الاعتقال والإبادة النازية (عامة)



خريطة تبين معسكر داكـاو الرئيسى والمعسكرات الفرعية التابعة له



الإشارات التى يلبسها سجناء داكاو طبقًا لتصنيف سلطات هذا المعسكر لهم وترجمة عربية لرموزها



Political	= سجناء سياسيون	Criminal	= مجرمون
Anti-Social	= أعداء المجتمع	Homosexual	= شواذ الجنس
Emigrant	= مهاجرون	Jehovah'o Witness	= شهود يهوا
Jewish Political	= يهود سياسيون	Jewish Criminal	= مجرمون يهود
Jewish Antisocial	= يهود معادون للمجتمع	Jewish Homosexual	= شواذ جنس يهود
Jewish Emigrant	= مهاجرون يهود	Political (F)	= سياسيون فرنسيون
Political nd crime offence	= سياسيون ومجرمون للمرة الثانية	Penal Company	= فرقة عقاب وتأديب
Wehrmacht Prisoners	= أسرى الحرب فى قبضة القوات المسلحة النازية	Under Surveillance	= سجناء تحت الحراسة الخاصة

كتب وأبحاث أخرى للمؤلف

١ - كتب باللغة العربية :

١ - برتراند راسل الإنسان ، الدار القومية ، القاهرة ١٩٦١م .

٢ - برتراند راسل المفكر السياسى ، الدار القومية ، القاهرة ١٩٦٦م .

٣ - دراسات تمهيدية فى الرواية الإنجليزية المعاصرة ، دار المعارف ، القاهرة ، ١٩٧٦م .

٤ - توفيق الحكيم الذى لا نعرفه ، مطبعة وهدان ١٩٧٤م .

٥ - اتجاهات سياسية فى المسرح قبل ثورة ١٩١٩ ، الهيئة العامة للكتاب ، القاهرة ١٩٧٩م .

٦ - برتراند راسل ، تأليف آلان ؤود (ترجمة) ، الأندلس ، بيروت ١٩٨١م .

٧ - س. ب. سنو والثورة العلمية ، الهيئة العامة للكتاب ، القاهرة ١٩٨١م .

٨ - موسوعة المسرح المصرى الببليوجرافية (١٩٠٠ - ١٩٣٠) ، الهيئة العامة للكتاب ، القاهرة ١٩٨٢م .

٩ - موقف ماركس وأنجلز من الآداب العالمية ، مكتبة الأنجلو ، القاهرة ١٩٨٤م .

١٠ - شكسبير فى مصر ، الهيئة العامة للكتاب ، القاهرة ١٩٨٦م .

١١ - ماذا قالوا عن أهل الكهف ، الهيئة العامة للكتاب ، القاهرة ١٩٨٦م .

١٢ - جورج أورويل (حياته وأدبه) ، الهيئة العامة للكتاب ، القاهرة ١٩٨٧م .

١٣ - الأدب الروسى قبل الثورة البلشفية وبعدها ، الألف كتاب الثانى ، الهيئة العامة للكتاب ، القاهرة ١٩٨٩م .

١٤ – وول سوينكا (ترجمة) ، الهيئة العامة للكتاب ، القاهرة ١٩٨٩م .

١٥ – أدباء روس منشقون فى عهد جوزيف ستالين ، الهيئة العامة للكتاب ، القاهرة ١٩٩١م .

١٦ – الأدب الروسى والبريسترويكا ، دار الهلال ، القاهرة ١٩٩١م .

١٧ – الأدب والجنس ، دار أخبار اليوم ، القاهرة ١٩٩٣م .

١٨ – الثالوث المحرم ، دار الهلال ، القاهرة ١٩٩٤م .

١٩ – الشذوذ والإبداع ، دار الهلال ، القاهرة ١٩٩٥م .

٢٠ – دراسات فى الأدبين الإنجليزى والأمريكى، كلية الألسن، جامعة عين شمس، ١٩٩٥م .

٢١ – من ستالين إلى جورباتشوف ، مكتبة الأنجلو ، القاهرة ١٩٩٦م .

٢٢ – الإلحاد فى الغرب ، سينا للنشر ومؤسسة الانتشار العربى ، القاهرة وبيروت ١٩٩٧م .

٢٣ – الهرطقة فى الغرب ، سينا للنشر ومؤسسة الانتشار العربى ، القاهرة وبيروت ١٩٩٧م .

٢٤ – العلم والدين ، تأليف برتراند رسل (ترجمة) ، دار الهلال ١٩٩٧م .

٢٥ – الرجل الذى مات ، تأليف د. هـ. لورانس (ترجمة) ، دار الهلال ، يولية ١٩٩٧م .

٢٦ – ملحدون محدثون ومعاصرون ، سينا للنشر ومؤسسة الانتشار العربى ١٩٩٨م .

٢٧ – رباعيات الشذوذ والإبداع، سينا للنشر ومؤسسة الانتشار العربى ١٩٩٨م .

٢٨ – اليهود والأدب الأمريكى المعاصر ، دار الهلال ١٩٩٨م .

٢٩ – موسوعة الرقابة والأعمال الصادرة فى العالم ، مركز الدراسات والمعلومات القانونية لحقوق الإنسان ، القاهرة ١٩٩٨م .

٣٠ – فى مدح الكسل ومقالات أخرى ، تأليف برتراند راسل (ترجمة) ، المجلس الأعلى للثقافة ، القاهرة ، ١٩٩٨م .

٣١ – سيرة حياة برتراند راسل ، تأليف آلان وود (ترجمة) ، المجلس الأعلى للثقافة ، القاهرة ١٩٩٨م .

٣٢ – اليهود والأدب الأمريكى المعاصر ، دار الهلال ، نوفمبر ١٩٩٨م .

٣٣ – صورة اليهودى فى الأدب الإنجليزى ، دار الهلال ، مارس ١٩٩٩م .

٣٤ – الهولوكوست بين الإنكار والتأكيد ، دار الهلال ، ديسمبر ٢٠٠٠م .

٣٥ – اليهود فى الأدب الأمريكى فى أربعة قرون ، مكتبة الأنجلو المصرية ٢٠٠١م .

٣٦ – الهولوكوست فى الأدب الفرنسى ، دار نهضة الشرق ، يناير ٢٠٠١م .

٣٧ – اليهود فى الأدب الروسى ، دار نهضة الشرق ، يناير ٢٠٠٢م .

٣٨ – محاكم التفتيش ، دار الهلال ٢٠٠٢م .

٣٩ – محاكم التفتيش فى إسبانيا ، مركز الدراسات والمعلومات القانونية لحقوق الإنسان ، القاهرة ٢٠٠٢م .

٤٠ – محاكم التفتيش فى إيطاليا ، دار الهلال ٢٠٠٣م .

٤١ – أبرز ضحايا محاكم التفتيش ، الهيئة العامة للكتاب ٢٠٠٤م .

٤٢ – محاكم التفتيش فى فرنسا (المجلس الأعلى للثقافة) ٢٠٠٥م .

٤٣ – ألبرت آينشتاين : سيرة حياته (المجلس الأعلى للثقافة) ٢٠٠٥م .

٤٤ – ترجمة إنجليزية لكتاب «شكسبير فى مصر» ، مكتبة الإسكندرية (٢٠٠٣) .

٤٥ – اليهود فى الأدب الإنجليزى من القرن الثامن عشر إلى القرن العشرين (الهيئة العامة للكتاب) ٢٠٠٥م .

٤٦ – محرقة اليهود : أوشويتز – بيركينو ، مكتبة الأنجلو المصرية ، ٢٠٠٦ .

٤٧ – من أدب الانشقاق : ألكسندر سولجنتسين ، دار الهلال ، ٢٠٠٦م .
٤٨ – الفجر بين المجزرة والمحرقة ، المجلس الأعلى للثقافة ، ٢٠٠٦ .
٤٩ – معسكر اعتقال برجن – بلسن ، مكتبة الأنجلو المصرية ، ٢٠٠٧ .
٥٠ – معسكر اعتقال رافنزبروك ، مكتبة الأنجلو المصرية ، ٢٠٠٧ .
٥١ – العرب ومحرقة اليهود ، كتاب اليوم ، ٢٠٠٧ .
٥٢ – معسكر اعتقال ماثاوزن (المجلس الأعلى للثقافة) (تحت الطبع) .
٥٣ – معسكر اعتقال دورا (الهيئة العامة للكتاب) (تحت الطبع) .
٥٤ – معسكر اعتقال بوخنوالد ، مكتبة الأنجلو المصرية ، ٢٠٠٨ .
٥٥ – فلاديمير نابوكوف : حياته وأدبه (تحت الطبع) .
٥٦ – معسكر اعتقال صوبيبور (تحت الطبع) .
٥٧ – معسكر اعتقال تريبلنيكا (تحت الطبع) .

٢ – مقال باللغة العربية :

نقد رواية العنقاء ، تأليف لويس عوض ، المجلة ، فبراير ١٩٧٠م .

٣ – كتب باللغة الإنجليزية :

1 - Naguib Mahfouz. The Beginning and the End (Translation), The American Univ. in Cairo. 1975.
2 - George Orwell as an Ambivalent Writer, National Bookshop. Cairo, 1968.
3 - Animal Farm, National Bookshop, Cairo 1978.
4 - Nineteen Eighty Four. National Bookshop. Cairo, 1978.
5 - Hardy's Tragic and Ironic Vision in Tess, National Bookshop, Cairo, 1978.
6 - Shakespeae in Egypt. Rapack. Cairo, 1980.
7 - English Literary Criticism, Univ. Book Tanta, 1985.
8 - Nacbeth, Anglo, Egyptian, Cairo, 1989.
9 - The Mayor of Casterbridge, Anglo. Egyptian, Cairo, 1989.
10 - Sons and Lovers, Anglo, - Egyptian, Cairo, 1989.
11 - Joseph Andrews, Anglo, - Egyptian, Cairo, 1989.
12 - King Lear, Anglo - Egyptian, Cairo, 1989.

13 - Merchant of Venicc, Anglo, Egyptian,Cairo, 1989.

14 - Jane Eyre, Anglo, Egyptian, Cairo, 1989.

15 - A Passage to India, Anglo, - Egyptian, Cairo, 1994.

16 - Robinson Crusoe, Anglo, - Egyptian, Cairo, 1994.

17 - Animal Farm, Anglo, - Egyptian, Cairo, 1995.

18 - Lord of the Flies, Anglo, - Egyptian, Cairo, 2004.

19 - As You like It, Anglo, - Egyptian, Cairo, 2004.

20 - The Adventures of Huckleberry Finn, Anglo, - Egyptian, Cairo, 2004.

21 - Oliver Twist, Anglo, - Egyptian, Cairo, 2004.

22 - The Vicar of Wakefield, Anglo, - Egyptian, Cairo, 2004.

23 - Emma, Anglo, - Egyptian, Cairo, 2004.

24 - A Midsummer Night's Dream, Anglo, Egyptian, Cairo, 2004.

25 - The Tempest, Anglo, - Egyptian, Cairo, 2004.

26 - Julius Caesar, Anglo, - Egyptian, Cairo, 2004.

27 - Hamlet, Anglo, - Egyptian, Cairo, 2004.

28 - Romeo and Juliet, Anglo, Egyptian, Cairo, 2004.

29 - Twelfth Night, Anglo, - Egyptian, 2004.

30 - Sense and Sensibility Anglo, - Egyptian, 2004.

31 - To the Lighthouse, Anglo, - Egyptian, 2004.

32 - Forthcoming: Egypt in the Modern British Novel: A Collection of Articles on Newby, Ghali, Enright, Forster, Liddell and Olivia Manning, Published in Al-Ahram Weekly in the following issues, 4 July, 5 September, 10,24 October (1991) and 23, 30 January, 1, 23 April (1992).

٤ – مقالات باللغة الإنجليزية :

1 - John Wain's "Young Visitors", Faculty of Alsun Journal, 1975.

2 - "king Lear as a Religious Play", Faculty of Alsun Journal, 1976.

3 - "Orwell as a Literary Critic", Faculty of Alsun Journal, 1976.

4 - "The Development of Liberal Culture in Modem Egypt", a series of articles Published in the Egyptian Gazette in the following issues, 23, 30 March, 6. 13. 20. 27. 28 April, 4. 11 May, 1983.

المراجعة اللغوية : آمـــال الـديـــب
الإشـراف الفنـى : راندة عبد الكريم